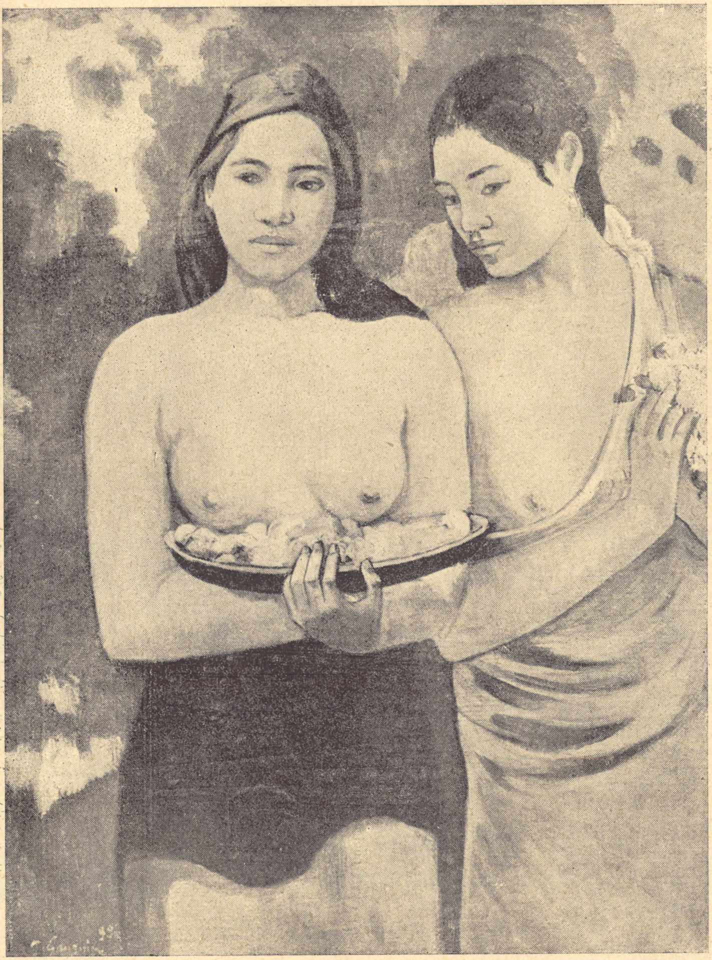


كتابي
١٠ قروش
فتاة لها ماض
وكتب أخرى
حلمي مراد



« رأس ميدوزا » - للفنانة روث هاندلي ، برمنجهام (اقرأ الاسطورة في باب « أساطير القدماء »)



بائعات المانجو
في جزيرة « هايتي »

للرسام الفرنسى الخالد « بول جوجان »

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « الكتاب »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السادس والعشرون (السنة الثالثة) : ابريل ١٩٥٤

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ ..

نتيجة استفتاء « كتابى »

◆ فى مكان آخر من هذا العدد ، تجد نتيجة الاستفتاء الذى طرحته عليك فى كتابى الثانى والعشرين ، بشأن « الزوجة التى يفضلها الرجل » : وهل هى الفتاة « المسترجلة » التى تلتحم شخصيتها مع شخصية الرجل التحام الند للند .. أم الفتاة المعتزة بانوثتها الفطرية ، اعتزازا يشبع فيها ميلها الطبيعى الى الخضوع للرجل ، خضوع القلب للرأس .. لا خضوع العبد للسيد !

وسترى من نتيجة الاستفتاء ان الكثرة الغالبة من المشتركين فيـــه قد انحازوا الى الجانب الثانى ، كما توقعت ، مبدين نفورهم من الفتاة التى تغالى فى التشبه بالرجال - فى العلم والعمل - الى الحد الذى يؤثر على شخصيتها وتفكيرها وتصرفاتها ، بحيث ينسيها ان رسالتها الاولى التى فطرتها عليها الطبيعة وأعدتها لها هى ان تكون زوجة لزوجها ، وأما لأولاده وأولادها ،قبل أن تكون موظفة أو صاحبة مهنة ، ينحصر تفكيرها ونشاطها ووقتها فى السعى الى جلب المال !

والمغزى الخطير لهذا الاتجاه الذى يبدو واضحا فى نتيجة الاستفتاء ، هو أن مغالاة بعض فتياتنا اللواتى نزلن الى مضمار الرجال - فى التعليم الجامعى ثم فى العمل المهنى - اقول ان مغالاتهن فى « الاسترجال » البغيض ، وربما بغير وعى منهن ، واسرافهن على انفسهن وعلى ازواجهن فى هذا الباب .. قد جنح بعدد كبير من الرجال الذين لمسوا آثار هذه التجربة فى سواهم ، الى اعتبار التعليم العالى للفتيات ، والمشاركة فى اعمال الرجال ، هما العاملان المسئولان عن « قتل » انوثة النساء أو اضعافها على الاقل ، واكسابهن تلك الشخصية « الايجابية » المسترجلة التى ينفر منها الرجال بطبيعة الحال !

وهذا الخطر الماثل فى أفق التعليم الجامعى للفتيات ، وأفق مشاركتهن فى أعمال الرجال ، هو الذى حفزنى الى كتابة قصتى (ضلال قلب) التى جعلتها أساسا للاستفتاء ، بغية تحذير فتياتنا من الانسياق فى تيار « الاسترجال » دون وعى ، وتبصيرهن بعواقبه الوخيمة - عليهن وعلينا - ثم التدليل على نفورنا الغريزى من المرأة التى تنحرف عن شخصيتها الانثوية الطبيعية قيد أنملة !

وبهذه المناسبة ، واستكمالا لهذا النقاش ، رأيت ان أقدم اليك فى هذا العدد قصة طويلة للكاتب الفرنسى الكبير « بول بورجيه » ، هى قصـــة « فتاة لها ماض » ، التى احب أن أهديها بصفة خاصة الى فتياتنـا اللواتى

نزلن وينزلن فى كل يوم الى خضم العمل والكفاح جنبا الى جنب مع الرجال ٠٠ لا لأطالبهن بالفرار من الميدان ، وانما لأبصرهن على العكس بعواقب الانسياق مع تيار العصر الى حد نسيان انوثتهن ، وتجاهل النتائج المحتومة التى تترتب على هذا النسيان ! ٠٠ **سيما ونحن لم نصل بعد الى المرحلة التى نجد فيها ـ بسهولة ـ شاباشرقيايتقمص فى غير غضاضةشخصية بطل القصة «جوزيف لينييه» ويسلك مسلكه ٠٠ والى أن يتطور بنا الزمن الى ذلك اليوم فلنحذر كل فتاة نزلت الى دنيا الرجال ، من التعرض للمحنة التى تعرضت لها بطلة القصة « انييس ديلاس » !**

حول سير « الخالدين » ٠٠

◆ **أكتب** هذه السطور وأمامى عشرات من الرسائل الكريمة التى غمرنى أصحابها بعبارات اعجابهم بالكتاب الثالث من (مطبوعات كتابى) الذىصدر فى منتصف مارس المنصرم بعنوان « الخالدون » ـ **الامر الذى قد يجعلنى ابكر باصدار الجزء الثانى من الكتاب ، ويضم مجموعة اخرى من سير الخالدين ، قبل الموعد الذى كنت أعتزم اصداره فيه ، وقبل دوره الذى حددته له فى ترتيب سلسلة هذه المطبوعات ٠٠**

على أن بعض أصحاب هذه الرسائل عاتبنى على الايجاز الذى عمدت اليه ـ فيما خيل له ـ عند ترجمة تلك السير ، بحيث لم تتجاوز سيرة كل شخصية من شخصيات الكتاب بضع صفحات ٠٠

ويبدو أن هؤلاء العاتبين قد فاتهم أن يقرأوا العبارة التى صدرت بها الكتاب ، والتى ذكرت فيها أن برنامج مطبوعات كتابى هو تقديم كتب طويلة « كاملة » ، فى كل موضوع ، لأشهر المؤلفين ٠٠ كما فاتهم ولا شك ان يطالعوا مقدمة الكتاب عن حياة مؤلفه الكاتب العالمى « ديل كارنيجى » ، وقد ذكرت فيها بصدد طريقة وضعه لكتابه هذا انه ابتدع فيه طريقة جديدة مبتكرة ، هى أن يركز فى صفحات قليلة زبدة ما ورد عن كل شخصية من معلومات وطرائف فى عشرات الكتب التى وضعت عنها بجميع اللغات ، بعد ان يحشد لهذا الغرض جهود عشرات من الكتاب والسكرتيرين الذين يعاونوه ٠٠

واذن فالذى اعود فاكرره هنا ـ لطمانة اصحاب هذا العتاب الرقيق ـ أن السير التى تضمنها كتاب « الخالدون » ، مترجمة بنصها الحرفى الكامل عن الأصل الذى كتبه المؤلف ، دون اختصار عبارة واحدة من أية سيرة منها ٠٠ بل لقد أضفت من عندى الى الأصل تلك المقدمات التى صدرت بها كل سيرة، والتى ضمنتها حياة صاحبها « فى سطور » ، وقد ذيلت كل مقدمة منها بتوقيع « كتابى » اشارة الى انها لم ترد فى الأصل المترجم عنه ٠٠

فلتقر بهذا الايضاح نفوس الاعزاء « المستزيدين » الذين عاتبونى فى هذا الصدد مشكورين ٠٠

حلمى مراد

كتابى

اعـــداد نفدت

كتابى الاول : ((**خطـايا الحب**)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((**قلب عذراء**)) وكتابى الثالث : ((**الهـاربة من الجنـة**)) وكتابى الرابع : ((**حـواء الجـديدة**)) وكتابى الخامس : ((**أحدب نوتردام**)) وكتـابى السادس : « **جريمة حب** » .

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

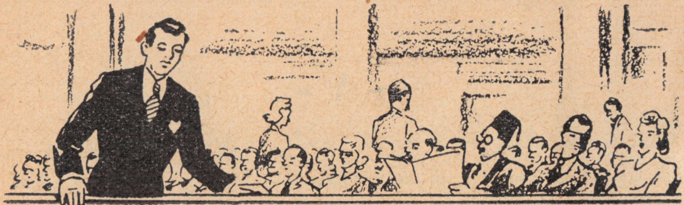
كتابى السـابع ((**عشيقة نابليـون**)) ، والثـامن ((**مـذكرات كيوبيد**)) ، والتاسع ((**صنم تحطـم**)) ، والعاشر ((**حديقة الله**)) ، والحادى عشر ((**عندما تحقد المرأة**)) ، والثانى عشر ((**لعبة الحب والموت**)) ، والثالث عشر ((**توبة خاطئة**)) ، والرابع عشر ((**ايها الربيع ترفق**)) ، والخامس عشر ((**الشيطان على الارض**)) ، والسادس عشر ((**ليدى هاملتون**)) ،والسابع عشر ((**الارملة المرحة**)) والثامن عشر ((**حياة جورج صاند**)) ، والتاسع عشر ((**حياة سارة برنـار**)) ، والعشرون ((**رباعيات عمر الخيام**)) ، والحادى والعشرون ((**حياة بيتهوفن**)) ، والثانى والعشرون ((**حياة موسولينى**)) ، والثالثوالعشرون ((**كوخ العم توم**)) والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » والخامس والعشرون « **البوهيمية** »

◆ **وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عماره الجندول)، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ،** ١٦ ، و ٢٥ ، وثمن كل منها بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرونوثمنه عشرون قرشا (تحديدا للطلبات نظرا لوشك نفاده وعدم امكان اعادة طبعه)

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER** أو بشـيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبـل العملة الاجنبيـة أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشتراكات فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسـودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة .. وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥قرشا۔ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسلالقيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية عن طـريق مكاتب البريد MONEY ORD E وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ـ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب **شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت وفى بغداد (بشارع السنك ، بغداد)**



ووَاو

قصة مصرية بقلم : الدكتور سعيد عبده



- ١ -

◆ فى ثلاث مقابلات يتلخص تاريخ غرامى المشتعل بوداد ·
ثلاث مقابلات من بنات المصادفة العمياء · ويحدث أحيانا أن يكون قلب الانسان فارغا من كل متاعب الشباب ، وأن يكون فكره مختالا بمنتهى الدلال فى عالم الشئون التافهة ، وأن تكون روحه متمــــددة بمنتهى الكسل والتراخي على رمال الحياة المتشابهة ، تحلم في خمائل المستقبل المظللة بأجمل الاحلام ، عندما تلوح الصدفة الطارئة ، ويسدد فى ضوئها السهم الى القلب القرير ···

كنت فى سينما (···) بالقاهرة ، فى الحفلة النهارية ، أنظر فى خلال الضوء القاتم الذى يسبق انتشار الظلام ، الى الوجوه المختلفة التى امتلأت بها مقاعد البلكون ، وأحدق بغيرة فى الرؤوس المتشابكة ، والاعين المتألقة ، والاذرع المتعـــانقة ، وأصغى للهمسات المختلطة بالضحكات ، ثم أعد الذين هم مثلى فى هذا المحيط المجلل بالسعادة ، ضحايا للوحدة والوجـــوم والمتعة الخيالية بالتطلع الى جمال الوجوه والاجسام · ثم أولئك الذين هم أسوأ منى ·· ضـحايا الخوف المخامر والتـــأدب المصطنع فى حضرة الزوجات والحموات ··!

كنت كذلك عندما رأيت أنظار الجميع تنجذب بقوة غامضة الى احدى النواحى ، وتتلاقى كلها على فتاة وحيدة تجلس بأحد المقاعد الخلفية ، تاركة بجوارها مقعدا لا أحد فيه ··

كانت هذه الفتاة هى « وداد » ··

وكانت بقامتها المديدة الهيفاء ، ووجهها الفاتن الخالى من كل تحاسين الصناعة ، وشعرها المصفف فى شكل لولبى والمتهدل على عارضيها وعنقها العاجى الطويل ، وجسمها البـادى تحت

ثوبهـــا الحريرى المهفهف ، أجمل من كل الصور الخيالية المزركشة التى بدت على الشاشة لصفوة حسان هوليوود !

ولا بد أن كثيرا من الناظرين حسدوا صاحب المقعد الخالى الذى قد يكون حليلا ، وقد يكون خليلا . ولكن هالة السذاجة والطهر المحيطة بهذا الوجـه الملائكى جعلتنى أنفر من هاتين الفكرتين ، وأفكر فى الاخ أكثر مما أفكر فى الزوج أوالخليل..

ثم خطرت لى فكرة قمت على أثرها الى شباك التذاكر ، فصدق ما توهمته ، ووجدت المقعد الخالى غير محجوز ، وتأكدت أن الفتاة بلا رفيق .

وليس أحد فى حاجة لان أخبره اننى فى اللحظة التالية كنت بجوارها أستحم فى هذا النور الالهى الذى بدا انه يزخر من حولها ويموج . وأنشق عن كثب ، العبق المخدر الذى خيل لى أنه يغمر روحى فى عالم سحرى جميل

لم ار شيئا على الشاشة البيضـــاء ، ولم اسمع شيئا من الموسيقى ، على اننى كنت اســـعد من كل الذين يبصرون ويسمعون .

كنت أتأمل فى الوجه والعيون التى بدت الآن أفتن وأجمل مما كانت، تحت الضوء الفاتر الضئيل المنعكس من الشاشة ، وأتعجب كيف سمحت المقادير أن يفقد هذا الجمال لذة الحامى والسمير !

وقد مرت ساعات العرض كأنها دقائق . ولم يكن فى وجه الفتاة ولا فى نظراتها الاستطلاعية النادرة الى ناحيتى ، ولا فى جلستها المحتشمة ، ولا فى وحدتها الداعية الى الاشـفاق ، ما يشجع عابر سبيل على أن ينحط فى النظر اليها عن مستوى قديس يتعبد فى هيكل ، أو زاهد ورع يتهيأ للصلاة

ثم انى كنت مقيما بالاسكندرية ، وهى كما يبدو لى مقيمة بالقاهرة . وتمنى اللقاء على مثل هذه الظروف ، تمن لا يخلو من سخاء فى الخيال !

من أجل ذلك قنعت مكرها بأن أحتسى الكأس عن بعد وأن أشم الوردة على عودها الشائك ، وأن أخرج من هذا النعيم الذى سعدت به قرابة الثلاث ساعات بلا أمل ولا تذكار ..

وقد حاولت فى فراشى أن أطرد من خاطرى ذلك الشبح المحبوب ، ولكن صورة الفتاة كانت محفورة فى فؤادى لا تزول ولا تحول .

وكانت ذكرى بسماتها المفترة عن ثناياها الناصعة البياض ، تملأنى حسرة وندما على أنى تركتها تذهب من غير أن أقول لها شيئا ، من غير أن أسألها عن نفسها وأهلها ، من غير أن أسمع صوتها يحيى ولو باللعنات مولد غرامى الوليد ، من غير أن أغتصب منها قبلة فى الظلام . قبلة تكون ذخيرة للايام الطويلة المقبلة ثم يكون ما يكون !

وحلمت أنها فى أحضانى ، وصحوت لأبكى على أن هذا الحلم هو غاية ما تبقى لى من الامل الذى ومض كالبرق فى حياتى الآسنة المكفهرة ، ثم انطفأ على ألا يعود ..

- ٢ -

◆ **واختزلت** مدة اقامتى بالقاهرة ، وكنت قادما اليها فى مهمة رسمية من قبل صحة بلدية الاسكندرية ، الغرض منها الحصول من الصحة العامة على مؤن وأدوات صحية ، وأطباء لمساعدة مستشفى الحميات بالاسكندرية على ايواء العدد الهائل من مرضى وباء الجدرى الذى انتشر بالمدينة فى سنة ١٩٣٢ ، وانحصر فيها الى حد ما لحسن الحظ ، دون سائر البلاد .

لم يكن شارع فى الاسكندرية فى ذلك الوقت يخلو من مريض أو مرضى ، وقد وضع الوباء سمته السوداء على كثير من الابواب .

وقد أعلن الحجر الصحى على المدينة ووضع حراس على أبوابها لفحص القادمين وعلى رأس كل فيلق منهم طبيب .

وكنت اشترك فى حملات المقاومة فى منازل المرضى ، وحصر ومراقبة ووقاية المخالطين بالتطعيم ٠٠٠

وسافرت الى الاسكندرية فى قطار المساء ، وجلست فى أحد صالونات الدرجة الثانية أنتظر بسآمة دق الناقوس وتحـرك القطار ، والعودة الى مناظر البثور المتقيحة والآهات المتصاعدة من أفواه المرضى فى غير حاجة الى شارح أو ترجمان ، والموت باسطا ظله على كل مكان ٠٠ الى حيث يداوى بلسم العمل المضنى جرح الفؤاد الطعين ٠

وفجأة رأيت فراش العربة يضع حقيبة كبيرة على رف المقعد المقابل ٠٠ وشعرت ان قلبى يثب من صدرى على مرأى « وداد» ، وقد عرفت اسمها بعد ، بنفسها وعينها وذاتها تجلس فى المقعد المقابل بمنتهى الوقار ٠

والام التى فقدت وليدها ، وردته اليها الصدفة العابرة على غير انتظار، هى التى تستطيع أن تقدر فرحى بلقياها من جديد٠

وشاركنا فى الصالون بعد لحظات رجل نحيل أشيب، معه كيسان ممتلئان بالشمام وضعهما فى ممشى العربة ٠٠

وتصاعدت الاحتجاجات المتوالية من الركاب المارين ٠ ورأيت «وداد» التى ردت على ابتسامتى واحمرار وجهى عند لقياها بشبح ابتسامة خيل لى انه ومض بين شفتيها لحظة ثم عادت الى وقارها واحتشامها القديم ، رأيت « وداد » هذه تقابل صاحب الشمام الاشيب ببسمات سخية لا ضابط لها ولا حساب ٠٠ وتمددت البسمات وصارت ضحكات من الرجل الذى تصبب من جبينه العرق وهو حائر بين الكيسين يحاول أن يضعهما بمكان لا يضايق مرور الركاب ٠٠

ثم حدثته بصوت تنسجم رخامته ونبراته ووجهها الساحر الخلاب ، طالبة منه ان يضع أحد الكيسين فى ممشى الصالون٠

وشكرها الرجل على هذا الحل الذى فتح طريق المرور ٠
وأردت أن أساهم فى الحديث فسألت الرجل ، وحديثى كله متجه الى وداد :
ـ وكيف سمح لك حراس المحطة بادخال هذين الجبلين فى القطار، وهم يتعللون على الحقائب الصغار ؟
ورد الرجل وقد انتفخت أوداجه قليلا واتسع صدره وطال عنقه :
ـ انى موظف بالسكة الحديد والقطار قطارنا ومن لاخير له فى أهله لا خير له فى الناس !

وسال سائل من أحد الكيسين على أرض الصالون وأخذ يتجمع تحت أقدام وداد ٠٠ فانتقلت من مكانها الى المقعد الخالى بجوارى ٠٠

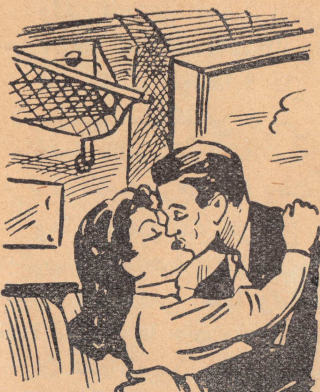
وفكرت ان هذا الرجل وشمامه مبعوثان من الاقدار الباسمة والحظ الموفق ليحملا الى شفتى كأس الرحيق ٠٠

ففى المبدأ منع هذا الشمام الفضوليين من ملء المقاعد الخالية فى هذا الصالون ، وفى النهاية كان ماء الشمام سببا فى استئناف الجوار المبهج حيث رحت أنشق للمرة الثانية عبق المخدر السحرى وأصعد بروحى الى عليا السماوات ٠

✻

واتصل بيننا الحديث ، وظن موظف السكة الحديدية اننا صديقين قديمين ، فتركنا وانصرف اهتمامه الى راحة الشمام وسلامته بحيث كان يقوم كل خمس دقائق للتفتيش عليه ، تاركا ايانا وحيدين فى الصالون ٠٠

ولا أدرى لليوم ان كانت حركات هذا الرجل عن غباوة حقيقية ، أو تغاب تمليه الكهولة الواسعة الصدر فى محضر الشباب !



وعرفت من وداد أنها تعيش في كفر الزيات ، وانها وحيدة أبويها ، وانها توشك أن تنهى دراستها فى احدى كليـــات الجامعة بالقاهرة ، وان هـــذا اليوم كان آخر عامها الدراسى هناك .. وانها تشاطرنى نفس العاطفة التى بزغ فجـرها فى سينما (...)

وفى بنهـا كنا قد اصبحنا صديقين ...

وفى طنطا حمل الرجل شمامه وتركنا نتعـاهد على الحب ..

وفى كفر الزيات سجلنا معاهدة غرامنا بقبلة طويلة لــم يفصلنا منها الا صفير القطار ، واتفقنا على أن تقدم الى الاسكندرية فى الخميس التالى بعد اسبوعين فنلتقى هناك ..

وهكذا انتهت المقابلة الثانية بينى وبين وداد ، المقابلة التى كانت كأختها الاولى وليدة المصادفة العمياء ، تاركة اياى أتقلب فى أعطاف فردوس مجلل بالزهور .

✻

◆ **وفى** يوم الخميس المحدد لقدوم وداد ، ذهبت الى المحطة مبكرا ساعة عن موعد وصول القطار . وكنت قد أوصيت على عشاء لاثنين فى مقصف فاخر على شاطىء البحر ، وأشرفت على اختيار المائدة بحيث تستقبل نسمة الليل الندى ، وخرير الموج حاملا تحية الاجلال لوداد من عرائس الماء .. ثم غمرت المائدة بالزهور

وجاء القطار ، وأفرغ من فيه ، كحبلى يأخذها المخاض ..

ولكن الجنين الوحيد الذى كنت أنتظره من بين هذه المئات من الاجنة المختلفة الاشكال والالوان لم يكن هناك !

هل نكثت بعهدها ؟ هل كانت رسائلها المتوالية فى هذين الاسبوعين ضحكا من غرامى الارعن ؟ هل كان الحب الذى تعاهدنا بالالسنة والقبلات على أن نكفله ونرعاه الى الابد مجرد ثرثرة كلامية تزجى بها وقت الفراغ ؟

وهذا الحب الذى هو كل شىء لى ، والذى بدا محورا للحياة، أيكون لديها حبة من الحب وضعتها فى الثرى ثم تركت نبتها الوليد يموت من الظمأ والنسيان ؟ .. لا .. محال .. لابد ان الذى أخرها حادث أو ضرورة عرضت لها فى الوقت الاخير .

ان هذه العيون وهذه الشفاه لم تخلق للاكاذيب .

ان الطعام المعد لاثنين ، والمائدة المهيأة لاثنين ، والزهر الذى كانت ترف غلائله شوقا الى همسات الهوى والشباب ، كلها أثارت شجونى ، ولكن الذى أجج لظاها هو اليأس الذى منيت به فى دار البرق ودار البريد وكنت أطمع ان أجد فى احداهما تفصيلا للقلق والشك وخيبة الامل والانتظار .

على أن الذى ختم على قلبى بطابع الظلمة الحالكة هو ان رسائلى الثلاث الممتلئة بالعتب والدموع، والتى أرسلتها الى وداد .. راحت الى كفر الزيات ولم تعد ، راحت كقافلة رواد فى القطب طمر رجالها الجليد .

- ٣ -

◆ **وحاولت** أن أغرق همومى فى العمـــل ومكافحة الوباء ، ومواساة المرضى بالليل والنهار ، وما بدا لى انه فناء فى سبيل المجموع . لكن همومى كانت تطفو دائما كالفلين لتـذكرنى بمنتهى القسوة والسخرية ، بالحبيب الهاجر السالى ذى القامة المديدة الهيفاء والعيون التى لها لون الرصاص وفعل الرصاص!

وبينما أنا أمر ذات يوم فى مستشفى الحميات فى معية المدير ، قال : سأريك حالة شاذة من هذا الوباء ، حالة نزيفية ، من حسن الحظ أن شدتها وخطورتها ليست ظاهرة من ظواهر هذا الوباء ، والا لأصبحت الاسكندرية خرابا ينعب فيه البوم ٠

ووقفنا عند سرير المريض المقصود ٠

كان منظر وجهه وجسمه بشعا بشاعة القيح الدامى السائل من وجهه المجدور ٠ كانت عينه داكنة الاحمرار تتنزى بالصديد ٠ وكان رأسه الممتلىء بالبثور الدامية عاريا من الشعر ، وجسمه مغطى ببقع عديدة من الطفح الاسود يتحلب منها الدم فيلوث الثوب الكتانى الخشن الذى كان أشبه بالكفن على جثة ، منه بالثوب على جسد حى خلق للسعى والامل والكفاح ٠

وأنا المعتاد على النظر الى أشلاء المعركة الدائمة بين الموت والحياة كان هذا المنظر أشنع ما مر على عينى من هذه الاشلاء ٠

وأمسكت بأوراق المريض ، أحاول أن أطلع على تاريخ المرض وسيره ، وما هى الا نظرة حتى أحسست بالدم يبرد فى عروقى كأنه فى ثلاجة ٠٠٠



ان اسم المريض « وداد عبد الرحمن » ـ ولم أكن تنبهت اننا نمر فى قسم الحريم الا الآن ـ وبلدها كفر الزيات ٠٠

وقد ضبطها الطبيب فى سيدى جابر وهو يفتش قطار الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الخميس ٠ فوجدها فريسة الحمى فأحالها الى مستشفى الحميات ٠

يوم الخميس الماضي . يوم المائدة التى خاب أملها وطاقة الزهر التى نكست رؤوسها أسفا على الامل المهدور . وهذا الحطام هو كل ما بقى من الدنيا الفرحة التى كانت تغمر كيان هذه الفتاة ..

هذا كل ما بقى من أحلامى وآمالى وحبى الذى ظننته يدوم الى الابد فمات فى أقل من ثلاثة أسابيع .

هذا هو الرماد الخابى الذى تخلف من النار ذات اللظى والسعير .

وقد عجب المدير أن تكون هذه الحالة قادمة من كفر الزيات فى الوقت الذى تثبت تقارير الصحة طهارة هذه المدينة من كل أثر للوباء .. وعجب أكثر من أين جاءتها العدوى فى هذا الوسط البرىء !؟

وقلت له ذاهلا :

– لعلنى أنا الذى حملت لها العدوى !

وظننى المدير أمزح ، فضحك ضحكة أقلقت المريضة العمياء المحتضرة فتقلبت فى السرير .. ومددت يدى فى رفق .. وأخذت بيدها .

وسالت من عينى دمعة ساخنة عليها ، وكأن شيئا ما سرى من نفسى الى نفسها ، فانفرجت شفتاها عن ابتسامة كانت آخر عهدها بالحياة ..

*

◆ **قال** الطبيب والراوى وعيناه مسمرتان على نقطة فى الارض لا تفارقانها :

وفى كل عام أحج الى كفر الزيات .. لكى أضع على قبر صغير بسيط هناك طاقة من الزهور البيضاء .. وأبكى ضحيتى التى قتلتها فى شرخ الشباب .

الشهرة ٠٠ تجلب الاعداء !

◆ **كان** الساخران الايرلنديان الكبيران « أوسكار وايلد » و « جورج برنارد شو » ندين فى السن على وجه التقريب ـ برغم أن شو عمر نحو خمسة وأربعين عاما أخرى بعد وفاة وايلد ! ـ فلما هاجر شو فى شبابه الباكر من ايرلندة الى لندن التحق كمحرر باجدى الصحف الاسبوعية فيها ٠٠ فى الوقت الذى كان فيه نجم أوسكار وايلد قد بدأ يتلألأ فى أوساط العاصمة الانجليزية كأمير من أمراء الدعابة والسخرية ٠٠ وذات مساء كان صديق لوايلد يزوره ، فعثر عنده على نسخة من الصحيفة التى يكتب فيها شو ، وكان هذا يوقع مقاله بالحروف الاولى من اسمه فقط ٠٠ فسأل الصديق وايلد :

ـ من يكون هذا ال « ج٠ ب٠ ش » الذى يشترك فى تحرير هذه الصحيفة ؟

ـ أنه شاب ايرلندى يدعى شو ٠٠ ألا ترى أسلوبه لاذعا ؟

ـ وأى لذعة !٠٠ انه لا يترك أحدا الا ويهاجمه بقلمه هجوما قاسيا ٠٠ أحسبه سيحشد ضده الاعداء من كل جانب بهذه الطريقة ؟!

فقال وايلد معلقا بأسلوبه الذى يقطر سخرية : « انه لم ينل بعد من الشهرة ما يجعل له أعداء ٠٠ ولكن المؤكد أن أصدقاءه جميعا لا يحبونه ! »

وقد مات وايلد سنة ١٩٠٤ ، بينما عاش شو بعده قرابة نصف قرن !٠٠ ترى أى كنوز أدبية كان يخلفها وايلد للعالم لو عمر مثل زميله المحظوظ ؟

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية :

- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء: جون جالزوورثى
- مرتفعات وذرنج:اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام: فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومباى الاخيرة :ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله: روبرت هتشنز
- عندما تحقد المراة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمرلين: سنكلرلويس
- الشيطان على الارض: رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- الحب الاول : ترجنيف
- تاييس : أناتول فرانس
- بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- الزوج والعشيق : موم
- البوهيمية : هنرى مرجيه

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه القصة الرائعة عن مأساة « الماضى » !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

بول بورجيه

فتاة المعارض!



هذه القصـــة ..

◆ **عندما** وضع «بول بورجيه» هذه القصة فى عام ١٩٢٨ كانت المرأة الفرنسية تجتاز دور الانتقال ، او الانقلاب ، الذى تجتازه المرأة المصرية فى هذه الاعوام .. الانتقال من عصور التحفظ والاعتزاز بالانوثة الخالصة ، وقيودها ، الى عصر التحرر من تلك القيود التى فرضتها الطبيعة على الانثى منذ بدء الخليقة ، والارتماء فى خضم الرجال القاسى ، المتلاطم الامواج والانواء والاعاصير !

فالقصة التى اقدمها للقراء فيما يلى هى قصة الفتاة العصرية التى اكتسحتها موجة ما بعد الحرب «العالمية الاولى» ، وخلبتها أضواء شاطىء الحرية والانطلاق ، فانساقت فى تيار التشبه بالرجال ومواجهة الحياة خارج البيت بكل متاعبها وصروفها القاسية .. وكان لابد ان تتخذ لنفسها المظهر الجسور الذى يناسب مقتضيات حياتها الجديدة ولا يعوقها عن الخوض فيها : **فقصت شعرها ، وارتدت الثوب القصير ، وكشفت ذراعيها ، ومارست اعنف ضروب الرياضة فطفرت عضلات ساقيها تحت جوربها الحريرى ، الذى مايزال ورديا !** .. ثم قادت السيارة ، والطائرة ، وراهنت فى حلبات السباق .. وكان طبيعيا بعد هذا ان تضيق بالبيت فتعلمت تعليم الرجال وامتهنت مهن الرجال .. صارت محامية ، او طبيبة ، او مهندسة ، او معلمة ، او موظفة فى بنك .. الخ

.. وهكذا نسيت ـ او تناست ـ انها امراة ، لكن الرجل لم ينس .. بل ظل ـ وسيظل دائما ـ امينا لطبيعته ، لا يكاد يلتقى بالمرأة حتى ينسى هو ، وتنسى هى ، انها محامية او طبيبة او معلمة او موظفة .. ولا يعود ايهما يذكر الا انها .. انثى !

.. وفى هذه الحقيقة الازلية الخالدة تكمن العظة الكبرى ، لمن يريد ان يتعظ !

١ ـ همسات .. غامضة !

◆ **الضباب** الكثيف يحجب شمس الصباح عن سماء باريس ، ويسدل ستارا من الظلام على ذلك الجزء من الحى



بول بورجيه

اللاتينى الذى لا يزدهر عادة الا فى الربيع والصيف ، حين يكثر مرور الباريسيين من أهل الضفة اليسرى للسين فى غدوهم ورواحهم بين بيوتهم فى الريف وبين باريس ٠٠ أما الآن — فى الخريف — فقد قل مرور السابلة على رصيف شارع سان ميشيل ، المواجه لمحطة « اللوكسمبرج » ، فيما عدا جموع الطلبة الذاهبين الى مدارسهم أو العائدين منها ، والموظفين الذين تقع دوائر أعمالهم فى تلك الطريق ٠٠

فلندخل مع نفر منهم الى فرع شركة « الجران كومبتوار » الذى يديره المالى الشاب « جاك ريدول » ٠٠ حيث نرى البهو الكبير مزدحما بالعملاء ، وموظفى الشركة من الرجال والفتيات منهمكين فى العمل : منهم من ينحنى على الاضابير ، ومن يحرر القسائم ، ومن تنقر على الآلة الكاتبة ، على ضوء مصابيح الكهرباء المضاءة التى تملأ سقف المكان بسبب الضباب ٠٠ برغم اننا فى الصباح !

وفى ركن من القاعة نرى فتاة واقفة وراء الحاجز الخشبى الذى يفصلها عن العملاء ، تقلب دفاتر الحسابات ، وتتطلع بين الحين والآخر الى باب غرفة المدير فى قلق ظاهر! ٠٠ فيقبل عليها كبير السعاة بدفتر ضخم يسلمه اليها وهو يقول « هذا هو الدفتر الاخير الذى يرجو منك المدير مراجعته اليوم يا مدموازيل ديلاس » ٠٠ فتجيبه « آنييس ديلاس » قائلة : « شكرا

يا فونتفيو » •• **لكن الساعي يلحظ على وجهها الجميل الرقيق ما ينم عن اضطراب أعصابها ، فيسألها في خبث مستور : « ماذا بك ؟ هل أنت مريضة اليوم يا مدموازيل ؟ » •• فتجيبه وقد بدا كأن السؤال لمس من نفسها وترا حساسا : « أنا مريضة ؟!•• أبدا ، بل اننى فى أتم صحة •• »**

كان كبير السعاة « فونتفيو » كهلا فى نحو الخمسين ، ينم وجهه عن طيبة القلب وسلامة الطوية ، لكنها طيبة كاذبة مصطنعة •• فقد كان جميع موظفى الشركة يعلمون انه « جاسوس » المدير الذى يراقب بواسطته مرؤوسيه، و« عينه » التى يرى بها حركاتهم وسكناتهم خفية وهو فى غرفته !•• لذلك لم يكد يبتعد حتى هزت « انييس » كتفيها فى احتقار ، بيد أن ارتعاش أصابعها وهى ممسكة بالدفتر كى تضعه فى مكانه ، فضح حقيقة اضطرابها ، واجفالها من المهمة البسيطة التى كان يتعين عليها أن تقوم بها فى ذلك الحين •• مهمة حمل دفاتر الحساب الى المدير فى غرفته !

على أنها تغلبت أخيرا على ارتباكها فحملت الدفاتر والاضابير وسارت بخطوات ثابتة نحو غرفة المدير ، حتى بلغت بابها •• لكنها بدلا من أن تطرقه ، تريثت برهة أمامه كالحائرة ، تتبع بعينيها الساحرتين شبحا يبدو ظله من خلال زجاج الباب المدهون ، شبح امرأة تذرع غرفة المدير فى الداخل ••

وتزايد اضطراب الفتاة وهى فى وقفتها تلك أمام الباب ، فأسفر انفعالها وعصبيتها ، وبدت كمن تعانى ألما نفسانيا قاسيا ، وخوفا - لا سبيل لها الى قمعه أو اخفائه - يناقض مظهرها الجسور •• مظهر الفتاة العصرية الرياضية التى حطمت قيود الماضى وتمردت على حياة البيت فخرجت الى دنيا الرجال ، تعمل عملهم ، وتكدح كدحهم ، وتشقى فى سبيل العيش شقاءهم !

ولحظت أعين زميلات الفتاة وزملائها أن وقفتها قد طالت ، فبدأ الهمس يدور ويتنقل من فم الى أذن :

قالت وحدة منهن لجارتهـــا وهى تنقر على الآلة الكاتبة : « أرأيت يا « فرانسواز » كيف أنها تتردد فى الدخول ؟ » ·· فأجابتها هذه : « نعم ، انها تبدو خائفة ·· ولكن مم ؟ »

ـ « مم ؟·· ألم تلحظى دخول مدام ريدول منذ هنيهة ، مع طفلها ومربيته ؟·· ان زوجة مديرنا الرشيق لا تحب الموظفات الجميلات ، لهذا تخشى « انييس » أن تدخل فتلتقى بغريمتها·· ألا تعلمين أن الفتاة متيمة ب « ريدول » ، حتى لم تعد تملك زمام عقلها ؟·· **آه ، ما أصدق الشاعر الذى قال : « أيها الحب ·· عندما تصيبنا يجمل بنا أن نقول : وداعا أيهـــا الحذر ، وداعا أيها التعقل ! »**

*

◆ ·· **وبينما** كان هذا الهمس ومثله يدور بين الزميلات الحاسدات ل « آنييس » ، كان لغط آخر ممـــاثل يدور بين الزملاء الحاسدين ل « ريدول » !·· فقال أحدهم لجاره وهو يرقب تردد الفتاة أمام الباب ، ويبتسم ابتسامة ذات معنى : « ترى هل ستدخل أم تتراجع ، « دجاجة » مسيو جاك ريدول هذه ؟ » ·· فأجابه الآخر : « انك تغالى يا صديقى ·· فانى أعمل هنا منذ شهر ، ومع ذلك لم ألحظ على مدموازيل ديلاس غير دلائل التحفظ ·· »

ـ صه !·· ان زميلنا « جوزيف لينييه » يتسمع حديثنا ·· أنظر كيف يرتجف القلم فى يده !

ـ أهو يحبها اذن ؟

ـ أوهوه ·· أين عيناك وأذناك يا عزيزى ؟ ان قصتهمـــا صارت حديث الشركة كلها ·· آه ، انظر ·· لقد دخلت الدجاجة أخيرا غرفة « الديك » !·· والآن يمكنك أن تستمتع بمنظر فم « لينييه » وهو يختلج ·· يا له من منظر طريف ·· ان الفتى يبدو قلقا ·· كم هو ساذج مخدوع !

كان « لينييبـه » فى الثلاثين ، شـابا دمث الخلق طيب القلب ، يظهر ما يبطن ٠ وكان لونه الشاحب وخداه الغائران وشعره المتناثر وبدنه النحيل ، تنبىء كلها عن مزاج صاغته الاحزان والاشجان ، كما ينبىء انسانا عينيه الزرقاوان تحت أجفانه المختلجة عن حساسـيـة حادة مكبوتة ٠٠ أما الشريط الرفيع المعلق بعروة سترته ، فيشهد بأنه منذ عشر سنوات ، حين كان حدثا ، أدى واجبه فى جبهة القتال ببسالة ٠ وأما هندامه فبسيط متواضع يخالف هندام جيل ما بعد الحرب من الشباب المخنث ٠٠

وتعلقت عيناه بالفتاة وهي واقفة بالباب ، فغمرتاها بنظرة أفصحت عن حبه الكظيم ، ثم تنبه لنفسه فطوى قلبه عـلى همه ، وعاد ينكب على عمله بفؤاد كسير ، وقد أخذ يسـائل نفسه : « ترى هل بين آنييس وريدول علاقة خفية ، تجاوز علاقة المرؤوسة برئيسها ؟٠٠ وهل لفروض وأقاويل زملائه الساخرين ما يبررها من الحقيقة ؟ » ٠٠ وألحت عليـه الغيرة برغمه ، وفرض السؤال نفسه عليه مرة أخرى ومرات ، بصيغة مختلفة فى كل مرة ، فراح يناقش نفسه نقاشا لحوحا : « لقد ترددت برهة أمام الباب ٠٠ لا شك فى هذا ، فلماذا ؟ أبسبب مدام ريدول حقا ؟٠٠ رباه ، أهذا ممكن ، أن تفعل هى الطيبة الرقيقة شيئا من هذا القبيل مع هذا ٠٠ الثعبان ! ؟ »

ولقد كان « جاك ريدول » ثعبانا حقا ، فى ظاهره وباطنه ، فى نعومته وخبثه ٠٠ وكانت قسماته الوسيمة ، وطبيعتـه الجسورة ، وفطرته المندفعة وراء شـهواته ، تخالف غريمه «لينييه» كل المخالفة٠٠ ولكن هل كان ريدول حقا بمثابة الغريم له ؟ انه ليخطىء اذا فسر تردد آنييس عند الباب بخوفها من لقاء زوجة ريدول الشرعية ٠٠ وقد كان خليقا بأن يدرك خطأه لو أتيح له أن يرى الترحيب الذى استقبلت به الزوجة ـ برغم شراستها المعهودة ـ سكرتيرة زوجها حين دخلت !

ووجدت آنييس فى الغرفة أشخاصا أربعة : الزوجين ، ومربية ممسكة بيدها مقبض عربة يمرح فيها طفل لا تزيد سنه فيما يبدو عن عام ، وكان أبوه جالسا فوق السجادة ينعم بملاعبته وهما يتضاحكان ٠٠

أية خواطر أثارها ذلك المشهد العائلى البرىء فى رأس ، ونفس ، آنييس ٠٠ حتى تغضن جبينها على هذا النحو ؟

وبادرتها الزوجة قائلة : « أنظرى ، ان (جاستون) يضحك لك أنت أيضا يا مدموازيل ديلاس ٠٠ أليس هو لطيف ؟ »

ـ بلى يا مدام ٠٠ لطيف جدا !

عجبا !٠٠ وما سر هذا الانفعال الذى بدا فى لهجة الفتاة وهى تنطق بهذا الجواب الطبيعى ؟٠٠ ثم ما سر هذا الضيق المفاجىء الذى انتاب المدير فقفز التقطيب الى جبهته العريضة ، التى تنم عن الحزم والثبات والاعتداد ؟ ٠٠ وقبل أن يفضحه مظهره تنبه ريدول لنفسه فمد يده يتسلم الاوراق والدفاتر التى تحملها الفتاة ، فى الوقت الذى مدت فيه الزوجة يدها لكليهما قائلة فى لطف مرح : « أستودعك رئيسك يا مدموازيل ديلاس ٠٠ » ثم استدارت لزوجها حين بلغت الباب : « جاك ٠٠ لا تنس أن عندنا اليوم ضيوفا للغداء ، فلا تتأخر » ٠٠ فأجاب ريدول : « سوف أصل فى الميعاد بالضبط يا عزيزتى «بلانش» ٠٠ أتسمحين لى يا مدموازيل ديلاس بأن أقودهم الى الخارج ثم أعود توا ؟ ان لدى أنباء طيبة لك ٠٠ »

لكنه حين عاد تشاغل بالنظر فى الدفاتر ليعطى نفسه فسحة من الوقت للتفكير ، ويزن كلماته ، ثم قال : « حسنا للغاية ٠٠ انك كعهدى بك الموظفة المثالية فى الشركة ، وسوف تنالين مكافأتك ٠٠ هل تعلمين أن أسهم « بترول أوفيرن » فى صعود مستمر ، بعكس أسهم « رويال دتش » ؟٠٠ لسوف أخبرك لتبيعى نصيبك منها فى الوقت المناسب ٠ وآمل أن أحظى منك

يومئذ بكلمة شكر ، مصحوبة بابتسامة لطيفة من ابتسامات المـاضى ! »

٠٠ ثم نهض ، فألقى نظرة على الباب استيقن منها أنه محكم الاغلاق ٠٠ وعندئذ اقترب من آنييس وهم بأن يتناول يدها ٠٠ لكنها تراجعت قائلة فى حدة « لا تلمسنى ! » ٠٠ فقـال فى اصرار « أهكذا نسيت كل شىء أيتها الخبيثة الصغيرة ؟ »

فأجابته ساخرة : « بالعكس ٠٠ فلأننى لم أنس شـيئا ـ وخاصة شارع دومبال ! ـ أرجو ألا تخاطبنى بهذه اللهجة ، ولقد وعدتنى بذلك ، فكن عند وعدك ! »

شارع دومبال ؟٠٠ ان اسم هذا الطريق الباريسى الصغير الذى أشارت اليه الفتاة فى عبارتها لا بد يقترن فى ذاكرتها بحادث أليم ٠٠ لكن جاك ريدول لم يكن فيما يبدو يقدر شعورها ازاء تلك الذكرى ، فقـد هز كتفيه وأردف بلهجـة جافة : « شارع دومبال ؟٠٠ لقد أديت لك يومئذ خدمة كنت أنتظر أن تشكرينى عليها ! » ٠٠ ثم استطرد فى لهجة المتأثر الحزين: « لقد انتهى كل شىء يا آنييس ٠٠ وهأنذا بعد عامين كاملين ما أزال ذلك الشقى فى حياته ٠٠ وبيته ! »

فأجابته فى لهجة احتقار مريرة : « لن يشك أحد فى ذلك حين يراك تعانق طفلك ! »

ـ لن تستطيعى لومى على حبى لطفلى ؟

ـ ولن تستطيع لومى على أنى أذكر انه فى نفس السن التى كانت تصير لطفلى ٠٠ لو انه عاش !

وساد بينهما سكون مفجع ٠٠ فأرخى هو عينيه ، بينمـا التهبت فى عينيها شعلة من نار البغضاء، وهى تنظر اليه ٠٠ فقال محولا دفة الحديث : « كنت أحدثك عن أسهم بترول أوفيرن ٠٠ انها تساوى ٨٩٢ فرنكا فى بورصة أمس ، وسوف تصل الى ألف فرنك قبل نهاية الشهر ٠٠ وعندئذ سوف تشكريننى كما قلت ! »

لكنهـــا لم تجب فى هذه المرة ، بل خرجت مسرعة فى اضطراب ظاهر ٠٠ ولم يكد يلفظها الباب حتى تلقفتها عيون أربعة أشخاص : زميلتيها وزميليها الذين كانوا يخوضون فى سيرتها !٠٠ فقالت « جولى » تحدث فرانسواز : « لقد تشاجرا ٠٠ هذا يبدو من مشيتها المضطربة ٠ حقا انها لصفاقة منها أن تغار من زوجته الشرعية ! »

وعلى بعد أمتار كان الموظف المدعو « فيرما » يقول لزميله موريس : « أتراهن ، ان آنييس سوف تتحدث مع « لينييه » فتهدئه ، ثم يخرجان معا ؟ »

ـ وماذا فى ذلك ؟ ألم تخرج أنت بالامس فقط مع جولى ؟

ـ المرة الواحدة غير المرات المتوالية ٠٠ فعندما يتكرر الامر كل حين يكون هناك ولا بد ٠٠ شىء !٠٠ ومن يدرى ما سوف يناله « لينييه » من « عطف » المدير من وراء ذلك ؟ »

ـ كيف ٠٠ ألا يغار منه ؟

ـ يا لك من غرير ٠٠ **ألا تعلم أن السذج لا يغـــارون من غرمائهم العشاق الذين يجلبون المنفعة ؟٠٠ ان القلب شىء شديد التعقيد يا عزيزى !**

*

وكانت آنييس قد عادت الى مكتبها فرتبت أوراقها فى عجلة، وفعل جوزيف لينييه المثل ، ثم توجهت نحو خزانة الثيـــاب لاخذ قبعتها ومعطفها ٠٠ فلحق بها هناك حيث ارتدى معطفه٠٠ ثم سارا معا الى الباب ٠٠

لكن صوت مسيو ريدول لم يلبث أن أوقفهما : « مســيو لينييه ٠٠ لى عندك بعض الاستيضاحات »

ـ طوع أمرك يا سيدى الرئيس ٠٠ لحظة واحدة يامدموازيل ديلاس

ـ لا داعى للعجلة ٠٠ سأنتظرك على الرصيف ٠٠

« على الرصيف ؟ » غمغم فيرما لزميله « انه بالضبط مكانها!»

٢ ـ لغز فى حياتها !

• « **دع أخطاء الامس حيث هى !** » ٠٠ حكمة خالدة فاه بها الامبراطور ماركْ أوريل ٠٠ ولكن هل وعاها « نينييه » وعمل بها ؟

منذ التحق بهذه الشركة « الجران كومبتوار » وعلق قلبه بزميلته « انييس ديلاس » وهو يحاول أن يصل الى معرفة اللغز الذى ينغص حياتها ، ويهتدى الى يقين فى شأن الاقاويل التى تلوكها الالسنة عن علاقتها بمدير الشركة « ريدول » ٠٠ فهو لا يفتأ يسأل نفسه فى حيرة مرة تتزايد كل يوم :«**هل هى حقا عشيقته ؟ واذا كانت كذلك فلم تركته هو يلاحقها ويخطب ودها ؟٠٠ الخ**» لكن هذه الاسئلة وغيرها كانت دائما تظل فى رأسه بلا جواب !

واليوم ، وهو يراها تقف حيرى أمام باب ريدول ، ثم وهو يرى الباب يغلق دونها بعد خروج مدام ريدول وطفلها ، داهمته هذه الخواطر الملحة القاسية : **ماذا تبادل المدير ومرؤوسته فى خلوتهما الانفرادية ؟ ٠٠ وما سر هذا الاحمرار الذى بدا على وجنتيها عند خروجها ؟ ٠٠ واذا لم يكن بينهما « شىء » فلماذا ناداه ريدول واخترع له ذلك العمل الطارىء حين رآه خارجا بصحبة الفتاة ؟ ٠٠ الم يقصد من ذلك الى منعهما من الخروج معا مدفوعا بدافع الغيرة ؟ ٠٠ الخ »**

وانتهى الشاب من حيرته الى تصميم استراحت نفسه اليه : « **يجب ان أعلم كل شىء على حقيقته ٠٠ يجب ! ٠٠ وعندى الفرصة لذلك ، فاليوم ذكرى وفاة أمى ، وعندما تعلم « انييس » قصة نهاية المرأة المسكينة وحديثها الاخير معى ستدركْ أنها تستطيع مصارحتى بكل شىء ، اذا كان هناك « شىء » بينها وبين هذا الرجل !٠٠ ولكن لو لم تكن بينهما صلة ما ، فلماذا ترفض الزواج منى وهى تحبنى ؟ نعم ، انى اعلم انها تحبنى ، وأحس بذلك ٠٠ بل انها قدمت لى الدليل القاطع على ذلك منذ لحظات حين قالت بصوت مسموع أمام زملائنا انها سوف تنتظرنى على الرصيف حتى أفرغ من عملى هذا ، فلألتمه بسرعة كى ألحق بها وأصارحها بحبى مرة أخرى ٠٠ نعم ٠٠ سأفاتحها اليوم ، للمرة الثانية ، فى أمر زواجنا ؟** »

وعاودته ذكرى تلك الساعة التى لن ينساها ، والتى سببت له خلال الاسابيع الماضية طوفانا من المشاعر ، اختلط فيها الجذل والعذاب معا ! ساعة أن جرؤ فصارح انييس بدخيلة نفسه وهما يسيران معا بعد خروجهما من الشركة منذ أسابيع ٠٠ عاودته كل تفصيلات تلك الذكرى فى لحظة ، كاللحظة التى يرى فيها المشرفون على الغرق ، فى لمحة خاطفة ، مشاهد كاملة طويلة من حياتهم!

كان ذلك فى نفس المكان ، ونفس الساعة ، من أحد أيام سبتمبر الفاترة٠٠ لم يكدهو وانييس يسيران خطوات بعد انصرافهما من العمل حتىاندفع يقول لها

فى حدة الخجول غير المجرب عندما يصمم على مغالبة خجله والافصاح عن مشاعره المكبوتة : « يا آنسة ، اعذرينى ٠٠ فان هذا السر يكاد يزهق انفاسى ٠٠ انى احبك ٠٠ فهل تقبليننى زوجا لك ؟ » ٠٠ وكان قد تلعثم واضطرب وهو يلقى بذلك « التصريح » حتى لمعت الدموع فى عينيــه ! ٠٠ اما انييس فاعتراها شحوب شديد ، زاده اقتناعا بأنها تحبه ، أو فى القليل تميل اليه ، وأمده بشجاعة جعلته يتابع كلامه فى اصرار : « آه ، أجيبى ٠٠ قولى « نعم » فاغدو أسعد الناس ٠٠ فلكم أحبك ! » ٠٠ وعندئذ وجدت الفتاة صوتها كى تجيبه فى اضطراب : « لا أستطيع ان اجيبك الان ،فانى لم اكن مهيأة لسماع شيء كهذا!» ثم استتلت وهى تبتسم نصف ابتسامة ، بادية العصبية : « ان الشخص لا يتزوج من آخر لا يعرف عنه شيئا ٠٠ ونحن لم نتعارف الا منذ أربعة أشهر فقط ! » ٠٠ فقاطعها على الفور : « ٠٠ أما أنا فلم تمض على رؤيتى اياك ساعة حتى احببتك ، وأحسست بذلك فى الحال ! »

وساد بينهما صمت ثقيل –ترى كم طال؟– كانا خلاله قد بلغا ناصية الشارع الذى يقع فيه مسكنها ، فقالت هى : « نحن الان على مسيرة خطوات من منزلنا ٠٠ وقد تأخرت ، ولا بد أن جدى بنتظرنى للغداء ٠٠ فلنفترق الان ولنرجيء الكلام فى الامر الى غد ٠٠ فقط عدنى ألا تلاحقنى أمام باب المكتب عند خروجى هذا المساء » ٠٠ فقال دون وعى: « اعدك بذلك » ٠٠ ثم مضت ، وهو يرمقها بنظراته الولهى حتى اختفت داخل باب منزل عتيق ٠٠

وعندئذ مضى بدوره وقد أخذ يدير فى رأسه هذه الخواطر : « **كم كـانت منفعلة وهى تنصت لى ، الامر الذى يقطع بأنها تحبنى ! فلماذا لم تجب اذن بالقبول ، أو فى القليل بكلمة تمد لى حبل الامل ؟ ٠٠ لكنها ايضا لم تجب بالرفض ، والواقع انه ليس من المعقول انها لا تطمح الى التخلص بالزواج من حياتها الخالية المملة ، بين جدها المسن الذى يعيش فى برجه العاجى ، وعملها الآلى البغيض فى الشركة ! ٠٠ اللهم الا اذا ٠٠** »

ولم يسمح لنفسه بأن يكمل الخاطر الذى دهمه ٠٠ فقد رأى بخياله طيف ريدول ، بوجهه الشهوانى ٠٠ ثم طيف انييس الرقيقة بطلعتها السمحة ، فأدنى صورتيهما الواحدة من الاخرى ، واذا نصل حاد يرشق شغاف قلبه ٠٠ وصوت من أعماقه يسأله : « ترى ٠٠ هل من شيء بينهما ؟ » ٠٠ لكنه بادر بالاحتجاج على خياله : « كلا ، ليس هذا معقولا ٠٠ ولو صح لكانت قد اجابتنى بالرفض على الفور ٠٠ لكنها ارادت أن تفكر فى الامر ، أو تحدث فيه جدها ٠٠ وغدا تجيبني ! »

لكن انييس لم تظهر فى مقر الشركة فى اليوم التالى ، ولا الذى يليه ٠٠ بل ذهب جدها يعتذر نيابة عنها ، فوجد المدير بطريق المصادفة يعبر البهو الذى فيه مكاتب الموظفين ، فقال له بصوت سمعه الجميع : « انها مصابة بحمى ، وقد قرر الطبيب وجوب اعتكافها بضعة أيام » فأجابه ريدول : « لا بأس ، فلتعن بنفسها ٠ ولن يضيرنا غيابها ٠٠ »

ولكن الفتاة اختصرت مدة اعتكافها الى يومين فقط ، عادت بعدهما الى عملها بادية النشاط كدابها ٠٠ فهل كانت حقا مريضة ؟ ٠٠ أم انها ارادت منح نفسها مهلة للتفكير فى طلب الزواج الذى فاتحها بشانه لينييه ، قبل البت فيه بالقبول أو الرفض ؟

كان الشاب يسائل نفسه على هذا النحو حين لمح ريدول يقترب من الفتاة ليستفسر منها عن صحتها ، فى اهتمام ظاهر ، قابلته هى بفتور ملحوظ ٠٠ فانقبض قلب لينييه وقد مرق الى ذهنه خاطر : « الا يدل هذا الفتور منها فى ذاته على أن بينهما علاقة ما ، غير صلة العمل الرسمية ؟ »

وعندما حان موعد الانصراف ، أسرع لينييه الى الباب ، ووجهه ينطق بالقلق واللهفة على معرفة جوابها ٠٠ وسارا أول الامر صامتين ، حتى بلغا طريقا جانبيا هادئا ، فسبقت الفتاة الى قطع حبل صمتهما قائلة ، دون ان تنظر اليه : **« لقد فكرت جيدا فيما عرضته على يامسيو لينييه ٠٠ واننى لممتنة غاية الامتنان لعاطفتك نحوى ٠٠ ولكن يؤسفنى الا استطيع اجابتك الى طلبك ، لانى لا أنوى الزواج قط ! »**

فتمتم الشاب متلعثما : « ولكن ٠٠ يا آنسة ٠٠ هل تحرمينني حتى من أن أؤمل أن تعدلى عن رأيك هذا يوما ؟ ٠٠ قبل ان تجيبى كونى على ثقة من انى ـ من جهتى ـ لن أعدل عن طلبى ، ولن تتحول عاطفتى ٠٠ فهل لو جئتك بعد عام، أو اثنين ، أو فى أى زمن فى المستقبل ، مكررا طلبى من جديد ٠٠ هل تـ ٠٠ ؟ »

٠٠ فقاطعته وهى تؤكد كلماتها بنظرات الاصرار من عينيها : « **بعد عام او اثنين سوف تسمع منى الجواب عينه ٠٠ أكرر لك انى لا أنوى أن أتزوج ، أو على الاصح يجب ألا أتزوج » ثم استدركت مسرعة : « ذلك بسبب جدى ، اذ ليس له سواى ٠٠وقد قررت الا أتخلى عنه او اتركه قط ، فهو ضعيف الحيلة ولن يستطيع فى شيخوخته الاستغناء عنى »**

ـ ولكن من حدثك عن تركه ، أوالتخلى عنه ؟ ٠٠ وماذا يمنعنا ـ فى حالة قبولك الزواج ـ من استصحابه ليعيش معنا ؟

ـ كم أنت طيب !

قالت ذلك وقداخذت أهدابها تلتقي فى قبلات عصبية سريعة تنم عن انفعالها ٠٠

ثم استطردت وعى تهز رأسها فى عزم : « **أبدا ، لن يقبل جدى ٠٠ فان أفدح تضحية فى نظره هى أن يضطر لهجر مسكنه الذى يقطنه منذ خمس وثلاثين سنة ، المسكن الذى ولدت فيه أنا ، ومات فيه والداى ٠٠ كلا ، محال أن يحتمل قلبه الواهن صدمة كهذه !** »

وسادت فترة صمت ٠٠ قطعها الشاب أخيرا بقوله فى لهجة تنطق بالاسى : « اذن ٠٠ لم يبق الا ان أطلب منذ الغد نقلى الى فرع آخر من فروع الشركة!»

وفوجئت الفتاة بهذا القول الحاسم الذى لم تكن تتوقعه ، فاعترتها رجفة فزع سرعان ما قهرتها واستعادت هدوءها ، فسارا بضع خطوات أخرى صامتين ٠٠ حتى قطعت هى حبل الصمت بعد برهة قائلة فى لهجة رجاء : « كلا يا مسيو لينيبه ٠٠ لا تطلب نقلك ٠٠ أرجو الاتفعل » ٠٠ **ثم استطردت وقد كست خديها حمرة الخجل من اضطرارها الى هذا التوسل الذى فيه افصاح بل شبه اعتراف بحقيقة مشاعرها : « انى وحيدة فى الشركة ٠٠ أعنى أننى أشعر بوحشة كئيبة ، واينما تلفت أحس بأن الجميع ـ ما عداك ـ يرمقوننى بنظرات العداء والبغضاء بلا سبب ! ٠٠ تقول أنك تضمر لى غراما ، فهلا استطعت أن تحببنى ببساطة ، حب صداقة فحسب ؟ ٠٠ ان الحب لا يستساغ الا اذا كانت غايته الزواج ، أما الصداقة فتدوم ، وتصير سندا متبادلا وعضدا قويا لكلا الصديقين ٠٠ انها أعذب من الحب وابقى ! ٠٠ لست انكر ان قليلين ـ وخاصة فى هذا العصر الذى تطغى عليه المادية ـ هم الذين يؤمنون بالصداقة الحقة بين رجل وامرأة»**

٠٠ ثم تصاعد الدم الى وجهها وارتسمت فى عينيها نظرة مهمومة وهى تردف : « **٠٠ ولكن ، هذا يتوقف على كل من الرجل والمرأة ٠٠ فاذا لم تكن هذا الرجل ، القادر على فهم ما أقول والاحساس بجاذبية الصداقة التى من هذا النوع ، فانى أكون سيئة الحظ ٠٠ فهل تقبل أن تكون صديقى الاكبر ؟ ٠٠ لن أقيدك بغير شرط واحد ، هو أن تعاهدنى على ألا تحدثنى قط عن ٠٠ الحب !** »

٣ ـ هواجس ٠٠ وشكوك !

◆ **وعاهدها** ! ٠٠ ووفى بوعده ثلاثة أشهر كاملة ، لم ينقض عليه منها يوم لم يقاس فيه من فكرة احتمال وجود علاقة غير عادية بين انييس وريدول ٠٠ وكان مما زاده اقتناعا بذلك ما كان يبدو على الفتاة من ضيق وتبرم برئيسها ، لا يفسرهما الا وقوع حادث شخصى بينهما يشوب الماضى ٠٠ وقد عزز هذا التفسير ما كان يلوكه موظفو الشركة من همسات حول الفتاة ، وغمز ، ولمز !٠٠ ولكن ـ قال لينيبه يحاور نفسه ـ لو أن ريدول قد أقدم على مسلك جسور مع الفتاة يغضي حياتها ، لكان المنطقي أن تترك عملها في الشركة فورا ، الا اذا كانت

قد تعمدت البقاء كى تقطع السبيل على ذلك السيل من التأويل والتخريج الذى فاض على السنة زملائها ؟!

وارهقت لينييه ـ أكثر من مرة ـ الرغبة فى أن يقطع الشك فى أمرها باليقين ، فيسألها فى ذلك صراحة ، ويظهر لها غيرته ، لولا خوفه من أن تعتبر ذلك منه خرقا « للميثاق » المعقود بينهما .. **ولولا ان سنوات مراهقته التعسة قد عودته ان ينطوى على نفسه ويكتم آلامه فى باطنه ! .. فقد طلق ابوه امه وهو فى الثانية عشرة ، بعد أن خانت عهد الزوجية ، واحتفظ الاب بولده فى كنفه .. لكن ذكرى الخائنة جعلته يقسو فى معاملته ، كأنما لينتقم منها فى شخص ابنها الذى يذكره بها .. فقضى الصبى سنوات صباه بائسا كسير النفس .. وأفاض عليه فراق امه كآبة متصلة ، ضاعف من شدتها علمه بحياة الابتذال الفاضح التى تعيشها مع عشيقها .. فكان طبيعيا أن يصبح الحب ، بالنسبة لنفس الشاب التى ابتليت بتلك المحنة ، هو المنفس الوحيد لكل قوى السعادة المكبوتة فيها !**

وهكذا ظل حلمه بالزواج من انييس ، المحور الذى تدور حوله افكاره على الدوام .. لكنها دائما كانت تصطدم ـ كما فى هذا الصباح وهو يتم العمل الطارىء الذى كلفه به رئيسه ، وغريمه ! ـ بنفس السؤال الذى لاجواب له :

« اذا كانت تحبنى ، كما تدل الشواهد ، فما الذى يمنعها من قبول الزواج منى؟ هذا ما يجب أن أعرفه ، وما سوف أعرفه .. فقد وجدت الوسيلة الى ذلك : أن أحدثها عن خطيئة أمى .. كى تفهم ـ لو كانت فى ماضيها سقطة ما ـ أن سقطتها مغفورة لها مقدما ! .. انها ستكون مهمة قاسية على . لكنها أقل قسوة من هذا الشك .. »

.. وكان قد أتم عمله الاضافى ، فنادى الساعى « فونتفيو » وسلمه الاوراق التى فرغ منها ، ثم ارتدى معطفه على عجل .. وخرج وهو يتمتم لنفسه : «لقد تأخرت .. فلعلها لا تكون قد أصيبت ببرد »

ولمحها من بعيد واقفة مستغرقة فى تأملاتها ، التى أفاقت منها على صوته يؤنبها أعذب تأنيب : « انك مغالية يا صديقتى العزيزة فى أن تنتظرينى هكذا فى هذا الهواء المثلوج ! »

ـ انى لم انتبه حتى لبرودته .. ولكن هيا بنا ، فان المشى سوف يدفئنى

●

◆ **وسار الاثنان بخطوات نشيطة فى اتجاه شارع « استراباد » .. وكانت** هى هادئة لا تنم هيئتها عن انفعال ما ، أما هو فكان بادى الاسى متذرعا بالصمت التام ، الى حد أثار دهشتها .. فابتدرته آخر الامر متسائلة : « لكم تبدو مكتئبا يا جوزيف .. هل تعانى هما ؟ »

ـ نعم ، فاليوم ذكرى وفاة امى ٠٠ ولسوف اقصد الليلة الى مونبارناس كى اضع زهورا على قبرها ٠٠

ـ آه ٠٠ أذكر أنك قلت لى انها عاشت منفصلة عن أبيك منذ طفولتك ، وانك لم تكد تعرفها ٠٠ لهذا خشيت دائما أن أسألك عنها فأنكأ جرحا فى قلبك ٠٠

ـ هذا صحيح ٠٠ ولعل من واجبى فى يوم ذكرى المسكينة أن أظل صامتا ، لكنك صديقتى يا انييس ، وامام الصداقة تسقط الاستار ، لهذا سوف اورى لك مأساتها على حقيقتها ٠٠ سيما وانى أخشى أن تقابلى أحدا يعرفها فيسرد عليك قصتها محرفة ، وعندئذ قد يصدر عليها ضميرك حكما ظالما كما فعلت أسرتها ـ وكما فعلت أنا ، الى اليوم الذى استدعيت فيه الى فراشها وهى تحتضر ، فسمعت كلماتها الاخيرة لى ، التى اثبتت لى انها كانت تستحق أفضل مما لقيت من دنياها !

« ان قصتها ليست الاولى من نوعها ٠٠ فلقد كانت أمى رائعة الجمال ، نشوانة بجمالها ـ الى حد التهور أحيانا ! ـ فى الوقت الذى كان أبى فيه مثالا لرجل الاعمال النزيه المخلص ، الدقيق فى عمله ، الذى يقدس المقاييس والاصول ، لكنه كان حازما الى درجة الشدة !٠٠ **ولا ادرى اذا كانت شدته تلك هى التى نغصت حياتها ، او انها راحت ضحية أصدقاء السوء ، أو كان تمردها بمثابة انفجار ولده ضيقها بالوسط الذى تعيش فيه وافراطه فى محاسبتها وانتقادها من اجل اتفه حركة او سكنة ؟٠٠** وانما كل ما ادريه انها تركت قريبا لنا يتودد اليها ، ويغازلها !٠٠ وذات يوم ضبط أبى خطابا يثبت صلتهما فطردها من البيت شر طردة ، وبلغ من حرصه على اشباع شهوة الانتقام فى نفسه أنه فعل ذلك أمامى !٠٠ وهأنذا بعد سنوات طويلة لا يزال يرن فى أذنى صوته وهو يصيح بها وقد أخذ يدفعها الى الباب ملوحا بحزمة الخطابات التى فى يده : « يافاجرة ! ـ نعم ، يجب أن يعلم ابنك انك فاجرة ، ويذكر هذا على الدوام » !

٠٠ ثم لم يكتف بذلك بل وشى بسقطتها لكل أفراد أسرتنا وأصدقائنا ، فاضطرت الى أن تهجر باريس ، مع عشيقها ، وهكذا ظللت سنوات كاملة لا أراها ٠٠ وظل مشهد طردتها ماثلا فى خيالى الصبى بصورة مخيفة ٠٠ وانى لأرى الآن نفسى فى ذلك اليوم وأنا جالس أؤدى واجباتى المدرسية ، وفجأة أذكر منظر أبى وهو يدفع أمى نحو الباب فى عنف ، هادرا بتلك الكلمة التى كنت أجهل معناها « يا فاجرة ! » ٠٠ فاذا أنا أتناول القاموس أبحث فيه عن المعنى الخافى على ٠٠ فلا أكاد أعثر عليه حتى تنطبع حروفه فى عينى

بوشى من نار : « الفاجرة هى المرأة ذات الاخلاق المنحطة المخادعة ، فيقال امرأة فاجرة أى فاسدة شريرة » !٠٠ رباه ٠٠ هل أمى هكذا ؟

وحين بلغت الثامنة عشرة حرص أبى على تلقينى الكثير من تفصيلات حياتها مع عشيقها فى الغربة ، بأسلوب جعل من غير الممكن الا أن تنطبع ذكراها فى رأسى بطابع الازدراء الشديد ، الذى لازمنى طويلا ٠٠ حتى التقينا ذات يوم ! ٠٠٠

كان ذلك ذات صباح من شهر نوفمبر ، كهذا الصباح ٠٠ وكنت أعبر متنزه « مونسو » ، حين رأيت امرأة فى نحو الاربعين قادمة فى اتجاهى وهى متعلقة بذراع شاب فى سنى ، وعيناها تنظران اليه فىشغف ظاهر ٠٠ ولك أن تتصورى دهشتى واشمئزازى عند ما تبينت فيها أمى ! ٠٠ كانت قد اكتهلت ، لكن ملامحها لم تتبدل ٠ وحين صارا بمحاذاتى عرفتنى فتوقفت ٠٠ وقال لها رفيقها بلهجة رقيعة مبتذلة : « ماذا ٠٠ هل تعبت يا دجاجتى الصغيرة ؟ »

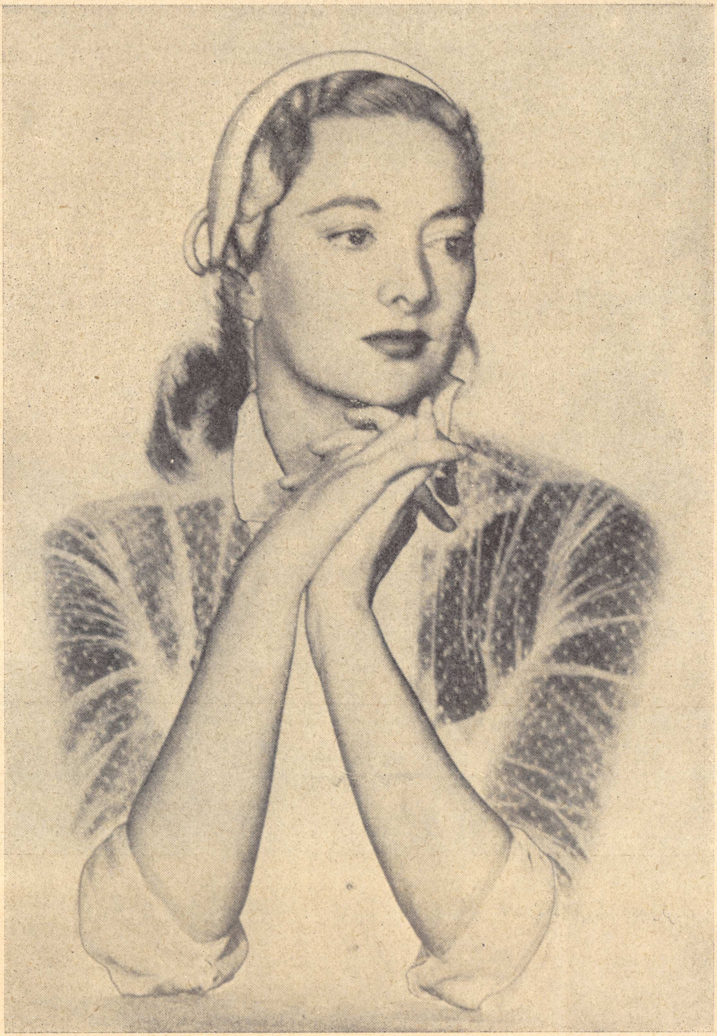
واذ ذاك دهمتنى طلعة أبى وقناع وجهه الممتقع وهو يصارحنى بآلامه النفسية التى تسببها له فكرة انه الزوج المخدوع ٠٠ فانقبض قلبى وأدرت وجهى مشيحا عنها ٠٠ ولا بد أن التعبير الذى ارتسم على وجهى اذ ذاك كان قاسيا ، لانى حين عدت من نفس الطريق بعد دقائق رأيتها خائرة القوى معتمدة على ذراع الفتى وهو يقودها الى أقرب مقعد ، حيث تهالكت كالمغمى عليها وقد حطمتها الاهانة !

لكنى الان أحس بمبلغ الجرم الذى اقترفته وقتئذ ، فانه ليس للابن مطلقا حق احتقار أمه ٠٠ حتى لو ضلت !

ثم مضت خمسة عشر شهرا ، واذا رسول يستدعينى يوما الى فراشها ، حيث كانت تعانى سكرات الموت ، على أثر جراحة خطيرة أجريت لها ـ وما كنت لأستطيع ان البى طلبها يومئذ لو كان ابى حيا ، لكنه كان قد قضى !

ووجدتها كالعهد بها ما تزال جميلة ، برغم التغير الذى أضفاه عليها اقتراب شبح الموت ٠ وكانت قد اعترفت للقس بذنوبها فى اليوم السابق ، بحرقة شهد لى بها الرسول الذى كلفته باستدعائى ٠٠

وادخلت عليها ، فتأوهت وهى تجذبنى من ذراعى قائلة : « **كم هو جميل منك يا ولدى ان تلبى طلبى فتحضر٠لقد طالما تمنيت ان اراك قبل الان ،لكنىلم أجسر !** » وتوقفت قليلا بعد أن اجهدها الانفعال ، ثم استطردت بعد حين : « **لقد عرفت يا ولدى اخطاء أمك ، لهذا يحق لامك أن تطالبك بان تعرف أيضا ـ لاعذرها ـ وانما على الاقل ايضاحا لتصرفاتها يجعلك لاتضن على ذكراها**



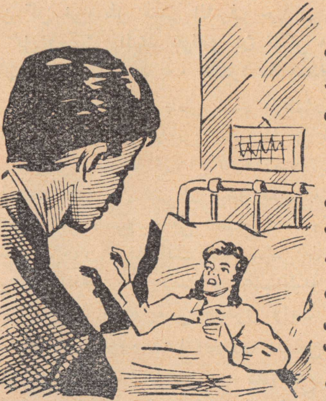
.. لعلها تفكر فى الماضى ؟

لوحة فوتوغرافية للفنانة «جين رودينجر» (لندن)



حواء الصغيرة .. والشجرة !

من تصوير الفنان « بريان هورنر »



بما تستحقه من الشفقة ، أو الرثاء !٠٠
نعم أريدك ان تعلم انه ما كان ليحدث شيء مما حدث لو لم يعاملني أبوك بالشدة من أول وهلة٠واقسم لك ياولدى ان ذلك الخطاب الذى ضبطه ، والذى تسبب فى المشهد الرهيب الذى حضرته، لم يكن ينطوى الا على سقطة أولية كان من الممكن تدارك ما وراءها ! ٠٠ لست انكر اننى كنت قد سمحت ل « فاجون » بأن يغازلنى ويعرب لى عن حبه ، بل واعربت له بدورى عن حبى ٠٠ لكنى لم أكن قد صرت خليلته ٠٠ واقسم لك يا جوزيف انه لو كان والدك قد غفر لى زلتى لعدت امرأة شريفة فى عواطفى ونواياى ، كما كنت فى فعالى ـ برغم طيشى الذى لا شك فيه ـ لكن قسوته على ، وعلى مرأى منك ، هى التى أضلتنى ! ٠٠ ثم ازددت يأسا ، فاستهتارا ، حين رأيت جميع افراد اسرتى وأصدقائى وكل من يعرفنى يناصبوننى العداء ويبادروننى بالقطيعة٠٠ فى الوقت الذى اظهر لى فيه«فاجون» أقصى آيات الحب المضحى ، الامر الذى اغرانى بالرحيل معه٠٠والطلاق من زوجى!

« ثم اخذت انت منى ، ولم اجرؤ على المطالبة بحضانتك ، فجعلت همى ان اكتب اليك ٠٠ لكن رسائلى جميعا كانت ترد الى ـ من أبيك ـ من غير أن تفض٠٠ فأجهزت هذه القسوة على مابقى فى نفسى من تورع عن التردى الى قاع الهاوية٠٠ وهكذا تحررت من سائر المقاييس الخلقية ، وسمحت لنفسى بكل شيء ، بأمل أن تنسينى اللذات آلامى النفسية ، ولكن هيهات ! ٠٠ حتى جمعت بيننا المصادفة فى ذلك اللقاء الخاطف بحديقة « بارك مونسو » ، فلم أقو على الذهاب من غير أن استصرخك ، بحق امومتى ، الا تحتقر امك وتدينها قبل ان تسمع دفاعها ٠٠ انها أثمت ولا شك ، لكنها أيضا كانت ضحية تعسة للانتقام الصارم ٠٠ ضحية كان الصفح فى بداية الامر كفيلا بانقاذها ! »

وكانت دموع الشاب قد اخذت تتساقط ، وهو يروى كلمات أمه المحتضرة ، بحماسة الابن النادم على اساءته الحكم على أم كان خليقا به أن يرثى لاخطائها ٠٠ ثم أردف : « وحين فتحت وصيتها وجد انها قد اوصت باعادة كل ماورثته من ثروة عشيقها الى اقاربه ، ورثته الشرعيين ـ فبالرغم

من كل شيء ظل معنى الشرف حيا فى اعماقها ! ـ وكانت اخـــر كلماتها لى:
« كل وصيتى اليك ياولدى ان تذكر مصير امك التعسة ، كلما أغرتك التجارب بأن تقسو على احد ٠٠ فكثيرا ما يستحق الانسان افضل مما يلقى من دنياه!»

ولم يكد الفتى ينطق بهذه الكلمات حتى احس بالدم يتصاعد الى وجهه ، فأشاح بوجهه كى لا يرى تأثيرها على فتاته التى أراد أن يمتحنها بها ٠٠ووبخ نفسه على محاولته انتزاع سرها منها بهذه الخدعة الخبيثـــــة ! ٠٠ أما هى فأصغت اليه من غير ان يبدو عليها ما ينم عن انفعال غير عادى ،يفوق التأثر والمشاركة الانسانية فى المشاعر ٠٠ وكانا يمران فى تلك اللحظة أمام متجر لبيع الزهور ، فابتاعت منه انييس طاقة من « الزعفران » قدمتهـــا لجوزيف لينييه قائلة : « ما دمت ستذهب الليلة الى قبر امك، فاحمل اليها هذه منى، وثق انى سأكون معك بقلبى وفكرى وانت تزورها ٠٠ »

ثم افترقا ٠٠ فلما انفردت انييس بنفسها وهى تسير نحو بيتها ، الحت على ذهنها هذه الخواطر : « **لماذا باح لى اليوم بسر امه ؟ ٠٠ وماذا قصد من تكراره عبارة امه له « كلما أغرتك تجارب الحياة بأن تقسو على احد ، تذكر مصير امك التعسة ٠٠ فكثيرا ما يستحق الانسان افضل مما يلقى من دنياه !» ألم يقصد من ذلك ان يقول لى « اذا كان لديك سر يتعلق بماضيك ، فبوحى لى به ٠٠ وسوف أصفح عنك ! » ٠٠٠ ولكن كلا ٠٠ ماهذا الهذيان ؟انه لم يقص على مأساة امه الا لان اليوم ذكرى وفاتها ٠٠ ثم لماذا يلجأ الى هــــذه الحيلة ، وقد كان فى وسعه ان يسألنى عن سرى بكل صراحة ؟ ٠٠ ولكن ، لا ٠٠ ليس الامر على هذه البساطة بالنسبة له ، فانه مـــرهف الاحساس ٠٠ أواه ، لماذا لم اعرفه مبكرا ، قبل ان ٠٠٠** »

وظلت تهمس لنفسها بهذه الخواطر المبلبلة ، حتى أفاقت من غمرتها على تحية حارسة الباب وقد بلغت المبنى العتيق الذى تعيش فيه مع جدها ٠٠

٤ ـ نصل مسموم !

◆ **وحين** دخلت وجدت جدها منشغلا بتخطيط رســـومه الهندســـية ومعادلاته الرياضية على سبورة امامه ، وقد ارتدى ثيابه الجامعية القديمة ، وحوله أكوام كتب الرياضيات :هوايته الوحيدة فىسن السبعين ، فى وحدته وترمله ٠٠ فانقبض قلب الفتاة ! لو كان جدها رجلا واقعيا لربما اشركته فى آلامها واستأنست برأيه ٠٠ ولكن انى لهذا الخيالى الذى يعيش فىامسه البعيد وبرجه العاجى ان يفهم نفسيتها هى التى تتخبط فى خضم حقائق الحياة القاسية؟

وشاء القدر ان يمعن فى تعذيبها ، فساق على لسان الجد ، وهما يتناولان الغداء ، قصة وخزت قلبها كالنصل المسموم ٠٠ قال لها فيما قال ضمن ثرثرته المألوفة : « ٠٠ ان ابن العم جرفيه » يهديك سلامه ، فقد وصلنى خطاب منه اليوم ، خطاب مسل ، روى لى فيه قصة طريفة ٠٠ أتريدين سماعها ؟ حسنا ٠٠ كانت عنده فتاة تدعى « مييت » تعمل فى مزرعته وترعى ماشيته ، فأغواها رجل نذل ، لم تبح باسمه ـ مسكينات فتيات الريف هؤلاء ، اللواتى لم يتلقين تعليما ولا قدوة حسنة تعصمهن من اخطار الحياة ، بين شبان كالذئاب ! ـ ولنعد الى « مييت » ، فان سقطتها قد اثمرت ، واستطاعت الفتاة اخفاء حملها طوال المدة ـ تصورى الشجاعة اللازمة لامرأة فى مثل هذا الموقف كى تواصل عملها الشاق فتحمل الاخشاب وتغسل الثياب وترعى الماشية فى المروج ٠٠ فضلا عن القلق الذى ينغص عيشها خوفا من الفضيحة ! ـ وبالاختصار حل يومها اخيرا فوضعت مولودها ذات ليلة ، وهى منفردة فى كوخها الصغير لا تؤنسها الا الابقار !٠٠ وانتابها الخوف واليأس ، ففكرت : ماذا لو خنقت الطفلة واستراحت من همها ؟ لكنها لم تلبث ان أشفقت على الخرقة المسكينة التى احستها ساخنة بالحياة بين يديها ، فقالت لنفسها : « سأترك الصغيرة فى مكان ما ، فلربما عثر بها احد فأشفق عليها واخذها » ٠٠ وبدأت الطفلة التعسة تصرخ داخل الغطاء الرث الذى دثرتها به امها قبل أن تلقيها فوق القش والتبن٠٠فكممتها وحملتها الى الخارج ، حتى بلغت بقعة مهجورة فوضعتها تحت اقرب شجرة وخفت عائدة الى المزرعة ! ٠٠٠ وكانت كلبة « جرفيه » المفضلة قد وضعت فى اليوم الاسبق ، لكن سيدها اغرق نسلها كله لانه وجده من سلالة غير عريقة ٠٠ فلما عادت الفتاة الى حظيرتها انطلقت الكلبة تعوى بشدة ، فرفعت « مييت » مصباحها فوقها لترى ما أزعجها ، واذا هى تشهد منظرا فريدا : كانت الكلبة تحتضن « حملا » حديث عهد بالولادة ، سرقته لترضعه و « تتبناه » عوضا عن نسلها الذى حرمت منه ظلما وعدوانا !

اخذت « مييت » تتأمل ذلك المشهد ، وترقب الكلبة وهى تلعق رضيعها المتبنى فى حنان ظاهر ٠٠ فانطلقت عائدة الى حيث اودعت طفلتها ، والانزعاج يكاد يطير لبها ٠٠ ترى هل ستجدها ؟ نعم ٠٠ وعلى قيد الحياة ؟ ٠٠ نعم !٠٠ فاختطفتها الى صدرها واعطتها ثديها ، ثم عادت بها بين ذراعيها الى حيث اعترفت لسيدها بكل شىء وهى تنتحب ! ٠٠ فماذا تحسبينه فعل ؟ لقد احتفظ بها وغفر لها !٠٠ الا تجدين القصة مؤثرة ، وخاصة اذا فكرت فى

روعة نداء الطبيعة الذى استجابت له الكلبة كما يستجيب له البشر ؟ ٠٠ ولكن ٠٠ ماذا بك ؟ ٠٠ ما معنى هذا ؟ »

كانت انييس قد نهضت من مقعدها فجأة فى حركة عصبية ، فلما سألها جدها عما بها ، أجابته : « أحس صداعا شديدا ، لعله نتيجة برد ٠٠ والافضل ان اذهب لانام »

وحين تمددت انييس فى فراشها تتابعت في رأسها الخواطر : « **ما اسعد « مييت » راعية البقر بحضانة طفلتها ٠٠ وما اتعسنى أنا بأمومتى الموءودة ، التى لم تدم اكثر من ستة أسابيع ، هى التى عاشها طفلى فى احشائى ! ٠٠ أو تصغى الكلبة لنداء الطبيعة ولا اصغى له انا ؟ ٠٠لكنه ذنبى، فقد اصغيت الى ذلك الرجل ، وصممت اذنى عن الثورة التى كانت تعتمل فى اعماقى وانا اتبعه الى المولدة الاثمة ٠٠ آه ، كيف استطاع أن يقنعنى بقبول تلك الجريمة المشينة ، وأن يأخذنى الى ذلك المنزل المريب ،وذلك العار ؟ »**

وتراءى لها فى خيالها شارع « دومبال » ٠٠ ورأت نفسها تقف امام باب عليه لافتة صغيرة تعلن عن « مولدة » ! ٠٠ وها هى ذى القابلة بعينيها الماكرتين وصوتها المعسول تقول لها : « انه لا شىء ياصغيرتى ٠٠ فلن تتألمى ! » ٠٠ وحين بدا عليها التردد استحثها ريدول : « هيا ، كونى متعقلة ٠٠ فكرى فيما قلته لك » ٠٠ وانها ما تزال تجد فى خياشيمها - بعد انقضاء عام ونصف عام - رائحة المخدر الذى وضعته المولدة فوق انفها ٠٠ ثم ٠٠ ثم لم تمض ساعة حتى كان التاكسى يعود بها الى بيتها ، والى جوارها عشيقها الآثم يحاول التسرية عنها فيأخذ يدها بين يديه وهو يقول لها : « أرأيت كيف كان الامر غاية فى البساطة ؟ ٠٠ انى لانتظر منك أن تشكرينى على كونى قد جنبتك المأساة التى كنت تسعين نحوها وتجريننى اليها معك ٠٠ واقسم لك اننى لم أشر عليك بما اشرت الا ابتغاء انقاذك ٠٠ » او يريدها ان تشكره ؟ ٠٠ يا للسخرية ! ٠٠ **انها منذ تلك اللحظة بدأت تمقته بكل طاقة نفسها على الحب والحقد : الحب لجنينها الذى ساقها الى قتله ٠٠والحقد على قاتله !** ٠٠ وظلت بعد «الجريمة» اياما تدير فى رأسها الكلمات القاسية التى سوف تصدمه بها عقب انتهاء فترة راحتها وعودتها الى العمل ٠٠ لكنها لم تجد قط القوة النفسية على النطق بتلك الكلمات ، فاكتفت بتجنبه والحرص على قطع كل صلة لها به ، عدا صلة المرؤوسة برئيسها ٠٠ ونجحت فى التزام قرارها ذاك ٠ وفى كل مرة كان حقدها يغريها بالاستقالة من عملها الذى يفرض عليها رؤية رئيسها الآثم البغيض صباح مساء ٠٠ كانت تعود فتعدل،

حرصا على موردها المالى الوحيد الذى تنفق منه على نفسها وعلى جدها ٠٠ ففضلا عن مرتبها الذى تتقاضاه عن عملها كان ريدول يوظف مالها المدخر المتواضع فى عمليات تجارية رابحة ٠٠ فكيف تستغنى عن ذلك كله ؟

*

وهكذا بقيت فى عملها ٠٠ وحين وجدت القوة على أن تصارحه بأن كل ما بينهما قد انتهى ، استقبل النبأ بهدوء الداعر الذى تعود السيطرة على اعصابه من طول تمرسه بمفاجآت ومتاعب الحياة المزدوجة التى يحياها : حياة الجد الصارم فى العمل ، واللهو الفاجر فى حياته الخاصة ! ٠٠ وقال لنفسه : «لا داعى لمناقشتها الان ، فلقد نبهتنى القابلة الى ان المسكينة سوف تصاب بنوبة من نوبات انحلال الاعصاب والثورات النفسية لفترة ما بعد حادث الاجهاض ٠٠ فلأنتظر مرور العاصفة ، وهى لن تفلت منى اخر الامر ، بفضل اموالها المستثمرة عندى ٠٠ التى تجعلها دائما فى قبضتى ! »

وقد انتظر فعلا ، متعزيا عن وصالها « بالصفقات » النسائية الاخرى التى كانت تتوالى عليه فى الخارج ٠٠ حتى اللحظة التى دخل فيها «جوزيف لينييه» الشركة ، فلم تمض اسابيع حتى بدأ يلحظ تحول اهتمام « انييس » اليه وميلها نحوه ٠٠ واذ ذاك تملكته الغيرة ، وعاد يتودد الى الفتــاة ويحاول استردادها الى دائرة نفوذه ، أو الى قائمة « حريمه » ، بالتلطف والملاينة ٠٠ ولكن دون جدوى ، بل ان محاولاته تلك زادتها اندفاعا نحو غريمه ! ٠٠ حتى أفصح لها الشاب عن حبه ، واقنعته هى بأن يكتفى بصداقتها ٠٠ ومرت شهور ، ثم كان مشهد هذا الصباح ، وحديث الفتى عن امه : ترى لمــاذا حدثها عن امه ؟ ٠٠ انها لتدير فى رأسها مختلف الفروض : « لا شك أن الاقاويل قد وصلت الى سمعه ، فتسلطت على فكره الوساوس والشكوك ، ومن ثم اتخذ من ذكرى امه فرصة لكى يسرد على قصتها ، وكلماتها الاخــيرة ، كأنما ليقول لى : « اذا كان لديك سر يتعلق بماضيك فائتمنينى عليه ، وهو مغفور لك مقدما ! » ٠٠ رباه ٠٠ ولكن ياله من سر ، بل عار ، ســوف يصعق لينييه المسكين ، المرهف الشعور ! ٠٠ انه يحبنى ، وانا احبــه ، فليتنى عرفته قبل ان يرمى ريدول شباكه حولى ٠٠ ولكن ، ترى هل كنت لأفضله عليه ؟ من يدرى ٠٠ فلقد كانت لى آراء كثيرة خاطئة وقتئذ ، كنت اعجب بالرجل الجرىء المغامر الذى حنكت عواطفه تجاربه الكثيرة مع النساء ٠٠ وكنت اجهل حقيقة الحب ٠٠ لم اكن افهم كمــا افهم الان معنى ان يكون الانسان محبوبا ، وان يحب ! ٠٠ بل لم اكن اقدر قسوة ان يحمل العاشق

فى قلبه سرا اليما ولا يستطيع الافصاح عنه لمحبوبه ! ... ولكن لماذا لا اعترف له بسرى ؟ »

وكانت فكرة الاعتراف قد خطرت ببالها اكثر من مرة ، ولكن ليس بهذه القوة ، والالحاح ، والاقناع ، التى تهيب كلها بها الان صائحة فى اعماق نفسها : « ألم يعدك ضمنا بالصفح ، حين كرر على مسامعك عبارات امه ؟ .. اذن فلماذا ترددين فى القاء هذا العبء الثقيل عن كاهلك ، والتحرر من كابوس اثمك الذى لاينى يطاردك؟ » .. وتمثلت لها صورة صديقها وهو يقابل اعترافها بنظرات صافية حانية ، تفيض دماثة ، وفهما ، وانسانية .. وفجأة حجبت هذه الصورة صورة اخرى : نظراته القاسية المزدرية التى وجهها الى غريمه ريدول هذا الصباح ذاته .. فكم يكون موقفها أليما لو قابل اعترافها بتلك النظرات ؟

.. لكنها على الاقل سوف تتخلص من هذا القلق الذى تتخبط فيه منذ اسابيع ، وهذا العذاب ، بين نارين : نار عجزها عن هضم فكرة الزواج منه فى ظل اكذوبة ضخمة وعار مستور ، ثم نار عجزها عن نسيان حبه والقناعة منه .. بصداقته !

واذن فمهما تكن عواقب اعترافها الرهيب فانه يكفيها منه انه سيكون خاتمة ابهام يجب الا يطول ! .. وحتى لو ادانها لينبيه ، فلن يستطيع الا أن يقدر فيها فضيلة واحدة على الاقل : صدقها .. فى مجال كان الكذب فيه اسهل عليها واجدى !

.. وأحست بحاجة ملحة الى ان تستمرىء ذلك الشعور العذب الذى يرضى غرور الانسان : احترام النفس ! .. وثارت فى كيانها رغبة عاطفية جارفة فى ان تعرض روحها ونفسها على صديقها كما هما ، فى غوايتها الماضية وتوبتها الحاضرة .. ولاول مرة ادركت مبلغ صحة رأى رجال الدين فى نظام الاعتراف ! .. حقا أنه اكبر عزاء للضمير المتعب ، وأعظم محرر بعتق النفس من حملها الثقيل واحساسها المجسم بأوزارها وآثامها .. فبالتذلل الاختيارى يسترد الآثم اعتباره فى عينى نفسه ، الامر الذى تصبح له فى حياته احيانا اهمية التنفس بالنسبة للرئتين !

وانتهت انييس من خواطرها الى قرار : انها ستكتب له ! .. وسمعت نفسها تنطق بهذه العبارة فى صوت مسموع .. فقفزت من فراشها ، وادارت المفتاح فى قفل الباب ، كى تضمن لنفسها عزلة آمنة .. ثم جلست الى مكتبها الصغير وبدأت - فى حمى انفعال حاد - هذا الخطاب المفجع الذى بكت فيه عارها ، بحرقة جعلت عينيها تتنديان بالدموع مرارا ، دون ان تتنبه لذلك !

٥ ـ الخطاب !

◆ **الى جوزيف ..**

ولكن ، ترى هل سيقدر ؟

.. ان ما لن يستطيع الا أن يقدره هو أن الصديقة التى تخط له هذا الاعتراف الذى لم تجد من نفسها الشجاعة على أن تصارحه به وجها لوجه ، تثق بخلقه النبيل الذى سمح له بأن يحبها قبل أن يعرف شيئا عن ماضيها ، وبالرغم من الاقاويل التى تلوكها الالسنة عنها ! .. لهذا ترى من حقه عليها بعد مسلكه الكريم أن تصارحه بالسبب أو الاسباب التى جعلتها تجفل من قبول زواجه بها فى الوقت الذى أحبته فيه حبا خالصا ، بكل عاطفتها !

ولكم كان يؤلمها منذ فاتحها بحبه أن تراه يصافح ويحترم رئيسا له فى العمل غير جدير باحترامه ، رئيسا كان من حماقتها أن تركته يغرر بها وينالها ! .. **نعم ، لقد كنت عشيقة هذا الرجل ، ووقع بيننا أقصى ما يمكن أن يقع بين رجل وامرأة .. لقد حملت منه ، وكنت على وشك أن أصير أما ! فلما أبى ذلك ، أذعنت له وارتكبت جريمة التخلص من ثمرة زلتى !**

لقد توقفت هنا هنيهة ، فان كتابة هذه السطور كانت قاسية على نفسى ، حتى لم تعد لدى القوة على حمل القلم .. وانى لأراك أيها العزيز ممسكا بهذه الورقة تقرؤها ، فاقرأها يا صديقى حتى النهاية ... اقرأها واذكر أمك وكلماتها الاخيرة ! .. انى أعرف خطئى وخطيئتى، لكنى أكرر مثلها اننى أستحق أفضل مما لقيت من دنياى .. وما دفعنى الى الوقوف منك هذا الموقف المخجل ، والاعتراف لك ، الا تمردى على الدوافع التى تغرينى بالكذب والخداع فى مواجهتك ..

ولأرو لك قصة زلتى ..

كان العامل الاول الذى مهد لها فى نظرى ذلك الاختلال فى « التوازن النفسى » الذى أصابنى كنتيجة للمفارقة القوية بين الوسط الذى نشأت فيه والجو الطليق الذى وجدت نفسى فيه حين أدخلنى جدى معهد « ليسيه لابلاس » وأنا فى سن الخامسة عشرة .. فقد انتقلت فجأة من وسط عائلى لا يعرف غير الجد الصارم والعمل المنتظم واحترام الواجب واحتقار الكماليات ، مع جهل تام بحقائق الحياة .. الى وسط خالطت فيه بنات الاغنياء المرحات الانيقات الجريئات ، ولبيت دعواتهن الى بيوتهن ونزهاتهن .. فانفتحت أمامى آفاق عالم جديد لا يمت بصلة الى عالمى البيتى فى « صومعة » شارع استراباد !

ومضت الايام ، ونضجت الصبية المراهقة فأصبحت شابة مكتملة الانوثة ، وتطورت ميولها تبعا لسنها .. فصارت تلعب التنس ، وتركب الدراجة ، وتقود السيارة ، وترقص ، وتضع المساحيق والاصباغ ، وتنفق نقودها فى الجوارب الحريرية وترجيل الشعر عند الحلاق !.. وهكذا صار عصب حياتى الجديدة شيئا واحدا : المال ، والمال الوفير .. فصرفت همى فى السعى اليه من أقرب طريق .. فكرت فى البداية أن أدرس طب الاسنان ، منساقة اليه بتأثير اغراء الارباح الكثيرة التى تدرها ممارسته .. لكنى عدلت عن ذلك الاتجاه الى طريق أقصر وأسهل حين رأيت زميلةلى تحصل على عمل بمرتب مغر كسكرتيرة لمالى كبير ، فصارحت جدى برغبتى فى التوظف ببنك أو شركة من الشركات .. ورغم انه كان يطمع لى فى مستقبل أفضل ومهنة من مهن التعليم العالى ، فانه لم يشأ أن يقف فى طريق رغبتى ، فوافق .. وسعيت حتى حصلت على عملى الحالى فى شركة « الجران كومبتوار » ، تحت رئاسة مديرها الشاب « جاك ريدول ! »

.. ولك يا صديقى أن تتصور أى تأثير كان لهذا الرجل ، الذى تعرفه جيدا ، على فتاة مثلى شرحت لك ظروفها وبيئتها .. فقد تمثل لى فيه سحر شباب « باريس ما بعد الحرب » ، الذين أبدوا فى سنوات الحرب وميادين القتال من الشجاعة ما توهموا انه يبرر مقدما اندفاعهم فى طريق امتاع أنفسهم بكل المحرمات ، وعبادة ذواتهم بروح الانانية الوصولية التى سولت لى نفسى فى البداية أن أعجب بها ، باعتبارها من مظاهر الطموح والنشاط المحمودة !.. وهكذا بدأت قصتى باعجاب ساذج بالمدير الساحر ـ من ناحيتى ـ تقابله من ناحيته هو « حملة » قوية من الملق والاطراء والتدليل والرعاية ، ثم النظرات العاطفية ، واللمسات الرقيقة !.. حتى كففت عن المقاومة وانهارت حصون دفاعى عن عفافى ، حصنا بعد حصن .. فصرت خليلته !

ثم أثمرت علاقتنا المحرمة ثمرتها الطبيعية ، فلم أكد أستيقن من الامر حتى خففت الى ريدول أزفه اليه !

يا للضلال الذى كنت سادرة فيه !.. هل تصدق يا جوزيف انى أنا التى أكتب لك الآن هذه الاعترافات مرتاعة باكية ، **كنت يومئذ من الخبل بحيث سقت له النبأ فى عجرفة واعتزاز، فخورة بأن أحمل فى أحشائى الدليل الحى الذى سوف يشهد بشجاعتى فى تحدى المقاييس الرجعية للعفة ، والتبشير بدين المجتمع الجديد** !.. وكان مما شجعنى على الزهو والتيه ايمانى بصدق وعود ريدول بتطليق زوجته « القبيحة الحمقاء » ، التى لم يشفع لها عند زواجه منها غير مالها البغيض ، والزواج منى على الفور !.. وهكذا ذهبت أزف اليه البشرى وأنا فى أشد حالات الانفعال العذب ، متهللة الوجه فرحا بالحادث السعيد المرتقب ، الذى سوف ينقلنى من جحيم حياتى الموحشة الى جنة حياتنا الجديدة المشتركة !

ولكن ٠٠ كيف أصف لك مصرع آمالى العريضة ، فى ذلك اللقاء المشؤوم ؟٠٠ وكيف أصور لك النظرة الباردة والجمود الفجائى اللذين تلقى بهما فارس أحلامى النبـــأ السعيد ؟٠٠ **بل كيف أمثل لك حالتى وأنا أستمع كالمصعوقة الى جوابه المفجع الاليم : « ان هذا الطفل فى نظرى مأساة ٠٠ مأساة بالنسبة لى ، ولزوجتى ، وأهلى ، ومركزى الاجتماعى ، وعملى ٠٠ ومأساة بالنسبة لك ولجدك التعس !٠٠ ولذا فان هذا الطفل لا يمكن ، ولا يجب ، أن يولد ! »**

وتغير وجهه وهو ينطق بحكمه الصارم على طفلى « بالاعدام »! ٠٠ فرأيته للمرة الاولى على حقيقته ، عاريا من ذلك القنـــاع الزائف الرقيق الذى طالما خلبنى ٠٠ ناطقا بالانانية القاسية التى تنطوى عليها طبيعته ٠ وتحت تأثير اللطمة التى أصابتنى أفقت فجأة من دوار الغواية التى أضلتنى ، فلم أكد أتبين موقفى على ضوء التطور الجديد حتى نفثت فى وجهه ثورتى فى حنق وسخط تقبلهما منى صاغرا ، بلا دفاع أو احتجاج ٠٠

ثم مضت أيام ، كان كل يوم منهـــا يسرع بى نحو كارثة الفضيحة ، وانتهز الآثم الفرصة فجعل يلقى فى أذنى بتفصيلات خطته للتخلص من الطفل ، بتصوير مغر ، ويسهل المهمة على بكل براعته فى الاقناع والتغرير ٠٠ حتى انهارت مقاومتى لنصيحته المشينة وتلاشى تمردى على اقتراف « الجريمة » ٠٠ ثم تحالف معه ضدى مرض جدى فى تلك الآونة ، وخوفى على حياته من صدمة الفضيحة ٠٠ فانتهى بى الامر الى الاذعان !٠٠ **وذات صباح من الشتاء ، سوف أذكر دائما جوه الكالح المشؤوم ، تركت الآثم يقودنى الى ركن قصى فى شارع « دومبال » ، حيث تقيم قابلة تحترف هذه العمليات الشائنة ٠٠ وهكذا لم يولد الطفل قط !**

والآن ، هأنت ذا يا صديقى تعلم عنى كل شيء ٠٠

وحين نهضت من وعكتى ، وعدت الى عملى راغمة ، حرصا على

سمعتي ، وتأمينا لرغد العيش بالنسبة لجدى ، فصمت كل علاقة آثمة لى مع صنمى المزيف ٠٠ **ولم يستلزم الامر منى أى صراع داخلى ، اذ كنت قد أبغضت النذل بقدر ما أحببته من قبل - أو ظننت نفسى أحبه ! - واحتقرته بقدرما كنت به معجبة ٠٠ ثم زادنى حقدا عليه ما سمعته بعد حين من أن زوجته تنتظر مولودا ، بعد أن كان قد حدثنى مرارا عن نفوره منها ومقته لها ٠٠ لكن حقدى ذاك كان أقرب الى الاشمئزاز من أكاذيبه ، منه الى الغيرة من غريمتى ، وشريكتى فيه ، فان ندمى الشديد كان قد محا من قلبى كل أثر لحبى اياه ، وغيرتى عليه !**

*

◆ **ولعلك** هنا تتساءل : اذن فيم كان الاضطراب الذى ألم بى ولحظته أنت وجميع زملائنا على حين جاءت مدام ريدول لزيارة زوجها فى مكتبه ، ومعها طفلها ؟٠٠ دعنى أعلل لك سر موقفى ذاك : ان ما أثارنى عند رؤيتها لم يكن غيرتى منها كزوجة لريدول ، بقدر ما كان غيرتى منها كأم ، تنعم بأمومتها التى أباحها لها ٠٠ فقد أيقظ فى منظر حنانها على طفلها تلك الام التى كنتها ستة أسابيع ، ثم وأدتها ٠٠ واشتعل فى ندمى على طفلى الذى كان يمكن أن أنجبه ، والذى حملته فعلا فى أحشائى زمنا !٠٠ **بل لقد تولتنى حسرة وسخط على القدر الذى فرق بين مصير أخوين ، من نفس الاب ، فأتاح لواحد أن يولد ويعيش ٠٠ وقتل الثانى !**

وقد شاءت المصادفة ، امعانا فى تعذيبى ، أن تلتحق أنت بالشركة فى تلك الفترة ، فأحدث ذلك فى أفكارى انقلابا تاما ، وبعث فى كيانى مزيجا من العذوبة والاسى ٠٠ بل انى أحسست عندئذ بحاجتى الى ميلاد جديد يطهر خلقى من أدران الماضى الدنس ، وتمثلتك أنت رمزا لذلك الطهر النبيل ٠٠ **أقول هذا** بوحى من عقلى وليس بتأثير عاطفتى نحوك ، **وحبى لك ٠٠٠**

نعم ، فلقد أحببتك يا جوزيف أعمق الحب وأقواه . وهأنذا أبيح لنفسى أن أصارحك به بعد أن وضعت بيننا حائلا شاهقا بهذه الاعترافات التى أسجلها على نفسى بمحض اختيارى ، والتى يمكنك على ضوئها أن تتصور مبلغ الاستشهاد الذى أحدثته هذه الذكرى المخيفة لآثمة شارع دومبال !

« والآن ، هأنت ذا يا صديقى تعرف كل شىء .. وربما لو لم تحدثنى هذا الصباح عن أمك ، لما وجدت من نفسى القوة على كشف عارى لك ، ولظللت على جبنى الذى اعتقل لسانى يوم عرضت على فكرة الزواج ، فلم أبح لك بسرى !

« فاذا ما انتهيت من قراءة هذا الخطاب ، فلتصدر على الحكم الذى يروق لك ، ودعنى أسهل الامر عليك فأقول : اذا ما ارتأيت أن لا ترانى بعد الآن ، فما عليك الا أن تأمرنى بذلك ، وأنا أختفى من محيط حياتك على الفور ، وأترك عملى فى الشركة .. لا تنزعج ، فقد ادخرت من المال ما يكفينى وجدى كى نعيش فى مستوانا الحالى حتى أجد عملا آخر ..

« أما اذا .. ولكن ، لا .. انه أمر مستحيل ، لا أجرؤ أنا نفسى على التفكير فيه .. وان كنت أؤمل على الاقل أن تحتفظ لى فى قلبك بركن صغير تريق فيه شفقتك على الفتاة التعسة التى تخط لك هذه الكلمات .. « **انييس ديلاس** »

❋

• **واذ** فرغت من كتابة هذا الخطاب الذى توحى كل عبارة من عباراته بصدق واخلاص كاتبته ، أخذت تعيد تلاوته وتقف عند كل فقرة لتسائل نفسها : « ترى كيف يتقبل هذه ، وماذا سيكون رأيه فى تلك ؟ » .. **فلما انتهت من تلاوته للمرة الثانية واجهتها مشكلة جديدة : هل ترسله اليه بالبريد ، ام تسلمه له بيدها ، أم .. ؟ وقبل ان تركن الى رأى فى هذا الصدد انتفضت فزعة على صوت طرقات على الباب ، ثم سمعت جدها يناديها: « انييس ، انييس .. أهكذا تغلقين بابك بالمفتاح .. اما زلت متألمة ؟ »** .. فألقت بأوراق الخطاب الذى يسجل آلامها الحقيقية فى درج مكتبها فى عجلة ، ثم نهضت تفتح للشيخ الذى كانت سحابة من القلق قد غامت على وجهه ،

فلم يكد يراها على قدميها حتى أطلق زفرة ارتياح ثم قال : « اذن فلم يكن الامر غير مجرد صداع خفيف ؟ ٠٠ هذا ما قلته فعلا لمديرك مسيو ريدول منذ برهة حين قابلته يتنزه مع زوجته وطفلهما أمام « اللوكسمبرج »٠٠ أى رجل نبيل هو !٠٠ انه يبدى نحوك اهتماما كريما على الدوام ٠٠ فلاتنسى ان تشكريه ٠٠ » !!

وكان أول رد فعل احدثه فى نفسية انييس ثنـاء جدها على مديرها الآثم انها مدت يدها الى الدرج الذى اودعت فيه خطابها ، وقد اخذ يراودها خاطر ملح : « **لم لا تطلع جدها الساذج على الخطاب الذى يكشف عارها ؟٠٠ انها لا تحتمل ان ترى الشيخ السليم الطوية هدفا لسخرية وخبث آثم دنىء مثل ريدول ! »** ٠٠ لكنها لم تكد تفكر فى الآلام التى سوف يسـببها **تصرفها للحالم المسن حتى استردت عزمها قبل ان تنفذه ، ومضت مع جدها كى تنسخ لهعلى الالة الكاتبة صفحات جديدة من كتاب « الرياضيات » الذى كان منشغلا بوضعه ٠٠**

والهاها النقر على الالة الكاتبة عن همها حينا ، ولكن من غير ان ينسيها اياه ٠٠ وحين انفردت بنفسها مرة اخرى بعد العشاء اعادت قراءة اعترافها الباكى ، فتمثلت لها قصتها فى جميع اطوارها ٠ ولم تكف الاسئلة الحائرة ذاتها عن ان تثب الى رأسها مع كل سطر وعبارة : « ترى ماذا سـيقول لى ٠٠ وماذا سيفعل ؟ » ٠٠ **ثم تراءى لها وجه جوزيف بقسماته الرقيقة الوادعة ، واذ ذاك خطر لها خاطر : ترى هل يتغير تعبير وجهه حين يعرف سرها ، فيتحول من الرقة الى الصرامة ، ومن الوداعة الى القسوة والفظاظة؟٠٠ مهما يكن من شىء فانها قد اتخذت قرارها فى الامر ولن تعدل عنه ! ٠ ٠ وعادت تقرأ خطابها الرهيب كالذاهلة ٠٠ فلما انتهت منه كانت قد عقدت العزم على ان تسلم الخطاب الى الشاب بلا ابطاء !**

٦ ـ الثأر !

◆ **وقبيل** ظهر اليوم التالى يممت شطر رصيف « بيتون » حيث يقطن لينييه ، وفيما هى تحوم قرب بيته لاحت لها قبة كنيسة نوتردام ،الشبيهة بذراع لنهر السين ، فهمست لنفسها : « لابد انه الان فى الكنيسة ٠٠ لقد نسيت ان اليوم الاحد ! اذن فلاذهب الان ثم اعود فى الساعة الثانية ، كى أسلمه الخطاب فى يده ! » ٠٠ واحست للحال بشىء من الارتيـاح ٠ ان امامها فسحة جديدة من الوقت تفكر فيها مرة اخرى فى الامر ، وفى صواب

او خطأ اقدامها على تلك الخطوة الحاسمة ، التى لو خطتها لما امكنها التراجع عنها بعد ذلك !

وفى الساعة الثانية كانت فى نفس المكان ٠٠ لكنها لم تكد تهم بدخول بيت الفتى حتى اعتقلت خطواتها صورة مخيفة تراءت فى خيالها ، صورة لينيه وهو يفترسها بنظراته القاسية ويشير لها بيده نحو الباب ، كى تخرج ! ٠٠ انه لو فعل فسوف تطيعه ، واذ ذاك يتحتم عليها الا تراه بعد ذلك قط ٠٠ أواه ، يالها من عقوبة فظيعة ان تحرم منه الى الابد ٠ أية حياة تكون حياتها بعيدة عنه ، واية وحشة ، وعزلة ، وعذاب ! ٠٠ كلا ، انها لن تحتمل ذلك ٠٠ فلتفكر فى الامر بروية ، قبل ان تقطع على نفسها سبيل الرجوع ! ٠٠ وسارت بمحاذاة ارصفة السين ، واصابعها منقبضة على الحقيبة الجلدية الصغيرة التى تضم خطابها العتيد ٠ وكانت مياه النهر تنساب تحت قدميها وراء الحاجز الحديدى ٠٠ ماذا لو مزقت الخطاب والقت قصاصاته فى النهر ، فأمنت بذلك كل مخاطرة ؟ ٠٠ وكانت وهى تعالج هذا الخاطر قد فتحت حقيبتها فعلا ، فعادت واغلقتها ، وهى تهمس لنفسها : « **كلا ، لن امضى فى خداعه اكثر من ذلك ! » ٠٠ ولكن ، ترى هل سيعتبر اعترافى هذا اختياريا ،ام اجباريا اضطرتنى اليه خشيتى ان يكون زملاؤنا فى الشركة قد لحظوا علامة عارى على قوامى قبل ان تزيلها مولدة شارع دومبال ٠٠ فسرى تهامسهم بها اليه ؟ ٠٠ واذا كانت رائحة الفضيحة قد بلغته ، فأى فضل لى فى الاعتراف بشىء لم يعد مجهولا ؟؟ »**

والحت عليها هذه التصورات ، وهى ماضية فى سيرها على ضفة النهر ٠٠ وفيما هى تحدق فى صفحته الزرقاء راودتها الغواية الكبرى : ماذا لو القت بنفسها فى لجة هذه المياه ، فابتلعتها وابتلعت عارها معها ، وخلصتها من هذا العذاب ؟ ٠٠ لكن صورة جدها انتصبت امامها فى الحال ، ورأت الشيخ الطيب يتلقى نبأ الكارثة كالمصعوق ، فخفضت رأسها وهى تكرر لنفسها فى عصبية : « كلا ، كلا ، مستحيل ، لن اسبب له هذا الشجن المرير ! »

وكانت قد جاوزت رصيف « لورلوج » واتخذت طريق اللوفر ٠٠ فلم يكد بصرها يطالع حدائق « التويللرى » حتى انتفضت فى رأسها ذكريات أليمة : كم من مرة وهى تتنزه فى هذه الحدائق ايام الاحاد رأت طفل غريمها « جاستون ريدول » يمرح فى الشمس والهواء ، بصحبة مربيته ؟ ٠٠ وكم من مرة اثار منظره فى قلبها حسرة شديدة على جنينها الذى قتلته ، والذى كان من المحتمل ان يصير فى مثل سن « جاستون » لو عاش ٠٠ ؟

وقبل ان تستطيع خلاصا من دوامة هذه الافكار والذكريات ، وبحركة



غير شعورية ، استدارت الى اليمين ودخلت « التويللرى » ٠٠ ولم يلزمها وقت طويل كى تعثر على ضالتها المنشودة ، كانت المربية والطفل فى مكانهما المعتاد ٠٠ولكن فى ظروف فريدة فى نوعها ،ايقظت فى نفس انييس المأزومة احدى تلك الخلجات الملحة التى لاتقاوم، والتى ينتجها الالم النفسى المفرط ٠٠ كانت المربية قد تركت الطفل نائما فى العربة واستدارت بعيدا عنه منشغلة بالثرثرة مع المربيات الاخريات ٠٠ فلم تر انييس وهى تقترب من العربة ، وتجذبها فى خفة الى خارج الحديقة ، ثم تعبر بغنيمتها الشارع المزدحم بالسيارات ، حتى تبلغ طرف كوبرى « دورساى » فتسير على الرصيف محتمية بمظلات الحوانيت التى تحجب رأسها عمن قد يطاردها ببصره من بعيد ! ٠٠ وحين ابتعدت قليلا ، وامنت شر مطاردة المربية لها ، تمهلت فى سيرها وقد اخذت تفكر فى روية : **ماذا تفعل بهذا الطفل ، الذى لن يلبث ان يفيق من نومه ويزعجها ببكائه ؟ ٠٠ واية نزوة جنونية دفعتها الى هذا الاختطاف المشئوم ؟ ٠٠ احقا كانت تنوى ان تقدم على جريمة قتل افظع من الاولى ؟ ٠٠ انها لتذكر اطوار الفكرة التى راودتها : لم تكد ترى هذا « الاخ » الحى السعيد « للاخر » ـ الذى كان مزمعا ان يصير طفلها ! ـ حتى تملكتها رغبة مضطرمةفى ابادة هذا السعيد والحاقه بالشهيد الاول ! واستشرى المها النفسانى الى الحد الاقصى ، الذى يتداعى فيه تحكم المرء فى اعصابه ، ويتبع الفعل الخاطر فى سرعة صاعقة لا تدع لامعان الفكر مجالا ٠٠ وتتابعت خواطرها : ان ريدول يحب ابنه حبا صادقا ، وانها لتذكر كيف قبله بالامس فى مكتبه قبلة حارة اثارتها ٠ لكنها النهاية ٠٠ انه لن يحظى بابنه بعد الان ٠٠ وها هى المربية لاهية عن الطفل ، فلم لا تسرقه و ٠٠ ؟ ٠٠ وتراءت فى خيالها صورة جثتين طافيتين على وجه المياه :جثتها هى ، وجثة الطفل ! انها ستلقى به فى اليم ، ثم تلقى بنفسها وراءه ٠٠ فتنتقم من ريدول ، وتستريح من عذابها ! ٠٠وتمكن**

هذا الحلم الضارى من مخيلتها ، فشرعت فى تنفيذه فورا ، واذا بالاختطاف الذى كانت تحسب اتمامه مستحيلا قد تحقق ٠٠ وها هى تستأثر بضحيتها التى لن تستطيع قوة ان تحول بينها وبين ان تفعل بها ما تشاء ! ٠٠ نعم ما من احد يملك ان يمنعها من ان تقذف بالطفل البغيض فى هــــذه المياه التى تصطفق تحت بصرها ، ثم تقذف بنفسها وراءه ٠٠ بعد ان تمــزق الخطاب اللعين !

وفتحت حقيبة يدها فأخرجت منها الخطاب كى تمزقه شر ممزق ٠٠ واذا هى تسمع صرخة خافتة ، صرخة طفل ٠٠ فادارت رأسها صوب العربة ٠ لقد أفاق « جاستون » من نعاسه ، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عذبة ٠ لقد عرف الصغير انييس ، التى كان قد رآها بالامس فقط فى مكتب ابيه ٠٠ ومد الطفل ذراعيه نحوها ،وأطلق صيحة الجوع التقليدية « لو لو ٠٠ لو لو »

وكانت الابتسامة ، والصيحة ، كافيتين ! ٠٠ كافيتين لان تجعلا التعسة تفيق من هزيانها الذى قادها الى هذا الركن الموحش من ضفة السين وفى رأسها عزم مروع ونية جهنمية ! ٠ ٠ فغامت عيناها برهة ، كمن قذفتهــا الامواج على البر بعد صراع مخيف، وانحنت على الطفل والدموع فى عينيهــا فقبلت خده فى انفعال شديد ٠٠ واصطدمت يدها وهى ترفع رأسه باناء الرضاعة المملوء لبنا فادنته من فم الطفل البرىء وهى تغمغم فى لهجة الندم والتوبة : « مسكين ٠٠ مسكين يا جاستون !! » ٠٠ لقد استردت التعســة تعقلها وافاقت من نوبة السعار والتهوس التى تسلطت عليها برهـــة ، فلم تستطع ان تصدق انها كانت تنوى حقا ازهاق روح هــذه الدميــة الرقيقة الجميلة التى تواجهها الان بهذه الكلمة العذبة التى طالما تاقت بكل حواسها ان تتذوق نغمها من فم اخر : « ماما ! »

وعاد الطفل يكرر نداءه العذب « ماما ٠٠ ماما » ٠٠ فأجابته بصــوت يذوب رقة ، تمثلت فيه كل مواهب أمومتها الموءودة « يا صغيرى ! » ٠٠ لكنها قبل ان تستمرىء لذة هذا الحنان مرقت الى ذهنها حقائق الامــر الواقع : **ان هذا الطفل ليس طفلها ، وهى لا تملك الاحتفاظ به ، وانمــا يجب ان تعيده ٠٠ ولكن لمن ؟ ٠٠ لابيه « جاك ريدول » ، الذى ودت لو تفجعه فى حياة هذا الرضيع الذى تسقيه الان بدل الموت لبنا ؟ ٠٠ كلا ! ان مجرد تصور مقابلتها لهذا الرجل واستجوابه اياها عن تفسير حيازتها للطفل يثــير فى نفسها المقت والحقد على الاب الآثم ٠٠**

اذن فماذا تفعل ؟ ٠٠ فلتنتظر هبوط الظلام وتجر عربة الطفل الى بيت ابيه ثم تتركها امام الباب وتختفي في سكون ٠٠ فلا بد ان يعثر بها احد

السكان فيعيد الطفل الى ابيه ! ٠٠ ولكن ماذا لو عثر بالعربة شرطى فاخذها الى قسم البوليس وتعرض الطفل اثناء ذلك لبرد قاتل ؟

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة ، واخذ ضباب كثيف يعشى السكون مصحوبا بمطر مثلوج راح الهواء يقذف الفتاة بقطراته الثاقبة الثقيلة ٠٠ فلم تجد المسكينة بدا من ان تخلع سترتها المصنوعة من الفراء - بدافع من امومتها الكامنة - كى تحمى بها جسد الصغير النائم من عدوان السماء ٠٠ بينما اخذ فكرها المضطرب الحائر يستعرض مختلف الحلول التى تستطيع بها الخروج من هذا المأزق المشؤوم : ماذا تفعل ، والى من تلتجىء ؟ ٠٠ هل تتوجه بحملها الى مركز البوليس وتزعم انها وجدت العربة متروكة فاشفقت على الطفل وجاءت به كى يتولى البوليس اعادته الى ابويه ؟ لكنها سوف تسأل هناك عن اسمها وعملها فكيف تفسر فيما بعد انها وهى الموظفة فى شركة جاك ريدول لم تخف بالطفل الى بيت ابيه ، مديرها ، الذى كتب اسمه وعنوانه على العربة بحروف واضحة ؟

اذن فبمن تلوذ ٠٠ ؟

وفجأة برق فى خيالها وجه مألوف حبيب : جوزيف لينييه ! ٠٠ فهتفت لنفسها فرحة بالخلاص : « انه الوحيد الذى بوسعه ان يساعدنى ٠٠ فانه يحبنى ولن يعدم الوسيلة لانقاذى من مأزقى ! »

وغاض ترددها للحال ، فدفعت العربة امامها وعبرت الشارع ثم صعدت المنحدر المؤدى الى رصيف « دورساى » حتى بلغت رصيف « فولتير » ٠٠ ومنه استأنفت سيرها تحت سيل المطر القارس المنهمر الذى بللها حتى ألصق ثيابها الخفيفة بجسدها المنتفض ٠٠ واخيرا وجدت نفسها امام البيت المنشود : بيت لينييه ! ٠٠ فقصدت من فورها صوب حارسة الباب متسائلة: « هل مسيو لينييه موجود بمسكنه ؟ » ٠٠ وتنفست الصعداء حين اجابتها الحارسة : « نعم ، لقد عاد منذ ربع ساعة ، واشعلت له الموقد منذ برهة ، فيمكنك ان تستدفئى فى الحال وتجففى ثيابك المبتلة ٠٠ يالك من ام رؤوم ، ابلغ بك الحنان ان تضعى فراءك على جسد طفلك وتعرضى نفسك للخطر ٠٠؟»

اية سخرية اشد ايلاما من هذا الثناء الساذج على الفتاة التى كانت ، منذ لحظات فقط ، تبغض الطفل بكل قوة الحقد الهائل الذى تضمره لوالده ؟ ٠٠ وتقدمت نحو الباب والبرد يرجف كيانها كله ، فلم يكد لينييه يفتح لها حتى ابتدرها متعجبا : « انت ٠٠ فى هذه الساعة ، وبلا معطف أو مظلة ؟ ٠٠ آه ، لقد خلعت معطفك لتدفئة الطفل ٠٠ ولكن ، انه جاستون ريدول ! ٠٠ فما معنى هذا ، ماذا حدث ؟ »

« ماذا حدث ؟ » اجابته الفتاة وهى تفرك يديها من شدة البرد : « لقد فقدت عقلى منذ برهة فسرقت الطفل كى اقتله ٠٠ نعم كنت انوى قتله ، ولكن ٠٠ لقد انتهى هذا ، انتهى ٠٠ آه يا جوزيف ، بربك انقذنى ٠٠ لا يوجد سواك من يستطيع انقاذى ، من أضع فيه ثقتى ٠٠ ولكن ، اقرأ ٠٠ اقرأ هـذا وسوف تفهم كل شيء » ٠٠ وتناولت الخطاب من حقيبتها ومدت به يدها الى الشاب ، الذى اخذه وفضه ووجهه ينطق بالدهشة والحيرة ٠٠ ثم أشار اليها بالاقتراب من وهج المدفأة ، بينما جلس هو على مقعد قريب يتـلو الخطاب ! ٠٠ وأيقظت قرقعة الفحم فى النار الطفل من نعاسه فأخذ يطلق صرخات خافتة ، واذ ذاك عاجلته الفتاة بوعاء اللبن فوضعته بين شفتيه ، ويدها ترتعد رعدة واضحة ، واذناها تنصـتان لحفيف اوراق الخطـاب وهى تتتابع بين يدى صديقها ! ٠٠ ولكن ترى هل ما يزال كذلك ؟ ٠٠ وأية عواطف يخفيها صمته هذا وهو يقرأ اعترافها الرهيب ؟

٧ ــ صوت من وراء القبر !

◆ **وفرغ** الفتى من القراءة فطوى الخطاب ونهض يذرع الغرفة بضـع دقائق بدت للفتاة طويلة قاسية ، قبل ان يقف اخيرا امامها متفرسا فيها ، ثم يتهالك على مقعده ! ٠٠ ولم تطق هى صبرا فابتدرته بصوت متحشرج : « لا بد انك الان تحتقرنى ! »

أما هو ٠٠ فوجد اخيرا صوته كى يجيبها بنغم يختنق بالتأثر : «عزيزتى انييس ! ٠٠ انت الاخرى تستحقين افضل مما لقيت من دنياك ! ٠٠ أنت الاخرى ! » ٠٠ وراح يكرر هاتين الكلمتين وهو يتناول يدها فيقودها الى حيث وقفا امام لوحة زيتية جفت الوانها وتشققت فتساقط بعضها كما لو كانت قد تركت زمنا مطوية فى مخزن رطب ٠٠ كانت الصورة تمثل امرأة شابة تحمل على ركبتيها طفلا فى نحو الخامسة ! ٠٠ وقال لينيبه : « أمى وانا ٠٠ حين اقدم ابى على ٠٠ » ٠٠ وبتر عبارته كى يشير الى صورة مجاورة تمثـل رجلا مسنا ذا قسمات صارمة ، ثم استطرد : « ٠٠ حين اقدم ابى على طردها كما تعلمين ! ٠٠ وقد نزع صـورتها يومئذ من اطارها بشدة وأمر الخادم بطرحها فى المخزن ، حيث وجدتها فيما بعد مهملة ممزقة ٠٠ لكنى حرصت على الاحتفاظ بها كشاهد على مأساة صباى ! ٠٠ وانها لتذكرنى دائما بكلمات أمى الاخيرة التى ذكرتها لك ٠٠ بل انى اخالها الان تنظر الينا وتهمس لى بشفتيها : « يا ولدى ٠٠ اشفق على فتاتك وأحببها بقدر ما تألمت ! » ٠٠ نعم يا عزيزتى انييس ، ولسوف احبك على الدوام ! ٠٠ ان اعترافك لى

بهذه الصراحة قد لمس شغاف قلبى ، والان ٠٠ وقد فهمت كل شىء ، يسعدنى ان اعيد عليك العرض الذى جرؤت ففاتحتك فى امره يوم كاشفتك بحبى لك٠٠ انيبس ، هلا قبلت ان تكونى زوجتى ؟ »

« ولكن ٠٠ » اجابت الفتاة وهى فى غمرة من التأثر والانفعال : « ولكن هذا غير معقول ٠٠ غير معقول ٠٠ انك لا تستطيع الا ان تحتقرنى ! »

« ألأنك كنت ضحية رجل ساقط استغل بمجونه ضعفك وثقتك فيه ؟ ٠٠ لو كانت هناك جريمة فلست انت مرتكبتها ، بل هو ! » ٠٠ ثم استطرد وقد اتقدت مشاعره : « انيبس ، قولى انك تقبلين الزواج منى ٠٠ »

« نعم ٠٠ اقبل ! » غمغمت وهى تجثو على ركبتيها امامه وتقبل بشفتيها راحتيه ، ثم استطردت : « ولسوف اقضى حياتى فى محاولة التكفير عن سقطتى ٠٠ »

« ان سقطتك مغفورة لك ، فاطرحيها وراء ظهرك وتناسيها » ٠٠ قالها وهو يرفع الفتاة اليه ويلصق صدرها بقلبه ٠٠ فأجابت هى : « لئن غفرت لى انت، فانى لم أغفر لنفسى ! »

٠٠ وانتزعهما فجأة من نجواهما صياح الطفل ،فقال لينييه : « يجب ارجاعه فورا ، فلا بد ان امه فى اشد حالات الانزعاج ! » ٠٠ فقاطعته انيبس : «من اجل هذا جئتك ٠٠ آملة ان تنقذنى من ورطتى » ٠٠ فتناول يدها وهو يرمقها بعينين قرأت فيهما سطورا من الحب وسطورا من الالم ، ثم همس لها: « شكرا ٠٠ لكونك فكرت فى الالتجاء الى ٠ والان يجب ان نبادر الى البحث عن مخرج سريع ٠٠ ولعل الافضل أن أتولى بنفسى اعادة العربة الى ريدول، وأزعم له اننى وجدتها مصادفة فى الطريق ، وان لصوصا او سكارى لا بد قد خطفوها ثم اربكهم امرها فآثروا التخلص منها بتركها فى احدى زوايا الطريق ! ٠٠ ولكن » ٠٠ القى الشاب نظرة من النافذة ثم اردف : « قد يعاود المطر الهطول فيصاب الطفل بأذى ٠٠ خير سبيل ان اطلب سيارة اجرة تقلنا جميعا ٠٠ » وتقدم من التليفون فطلب رقما واوضح للذى اجابه طلبه وعنوان منزله ٠٠

وبقى الاثنان برهة صامتين ، حتى قطع صمتهما صوت بوق السيارة التى طلباها ، فنهضا بحركة آلية وحمل الشاب عربة الطفل الى السيارة ثم اتخذا مكانهما الى جوارها ٠٠ ومضت السيارة تعبر بهم الشوارع والطرقات التى قطعتها الفتاة منذ ساعة على قدميها ٠٠ حتى توقفت اخيرا امام المنزل المنشود ، فأنزل الشاب عربة الطفل بمعونة السائق ، بينما تساءلت الفتاة فى اجفال : « ولو وجدته فى البيت ؟ » ٠٠ فأجابها فى حدة : « لو وجدته

فسيكون اول من انبئه بزواجنا ! » ٠٠ ثم مضى يدفع العربة امامه على رصيف شارع بواتييه ، بينما بقيت هى تنتظره فى السيارة ، هامسة لنفسها : « يا الهى ٠٠ كم اتمنى الا يتقابلا ! » ٠٠ وتابعت خطيبها ببصرها ، فاذا وجهه قد ارتسم عليه تعبير صارم ، لمجرد اشارتها الى ريدول ! ٠٠ لماذا اقدمت على هذه الحماقة ؟ ٠٠ وهل سيقف شبح هذا الرجل حائلا بينها وبين هنائها الجديد ؟ لقد احست فى هذه اللحظة التى كان ينتظر ان تكون فيها ثملة بنشوة الامل ، بنبع من هذه الكآبة التى تحسها المرأة الآثمة بعد الاعتراف بخطيئتها ٠ لقد غفر لها الرجل الذى تحبه ، لكنها طعنت قلبه طعنة أليمة بقصة سقطتها ٠٠ فهل يستطيع ان ينسى يوما زلتها الكبرى ؟

وعاد الشاب بعد حين ، فقال فى لهجة ارتياح نمت عما كان يساوره من اضطراب : « لقد تركت العربة امام الباب ٠٠ ومن حسن الحظ انى لم اصادف احدا سوى الحارسة فقلت لها انى وجدت العربة متروكة على الرصيف وعليها اسم وعنوان صاحبها فجئت بها ٠٠ وقد اذهلتها المفاجأة فنسيت ان تسألنى عن اسمى ٠٠ ولكن خادما من الذين يأتون الى مسيو ريدول فى مكتبه أحيانا لمحنى من بعيد ، وان كان يحتمل انه لم يعرفنى ، فقد كنت مسرعا فى سيرى ٠٠ ولكن ، انييس ، ما لأصابعك باردة كالثلج ، هل أصابك برد ؟» ٠٠ فأجابته وهى ترتجف : « كان المطر شديدا اثناء سيرى بالعربة قبيل مجيئى اليك » ٠٠ فقال بعد ان ارشد السائق الى عنوان مسكن الفتاة : «فلنعد سريعا ٠٠ وعسى الا تكونى قد اصبت بالتهاب رئوى » ٠

وفيما كانت السيارة منطلقة بهما راح يتأمل هذا المحيا العزيز الشاحب ، وقد سيطر على فكره خيال رهيب : « **كم من قبلات اراقها العاشق الآثم على هذين الخدين ، وهاتين العينين ٠٠ وكم من قبلات تساقطت من فمه على هاتين الشفتين ! »**

وكأنما ادركت انييس مبلغ الاضطراب القاسى الذى يعانيه فتاها ، فقطعت صمته قائلة : « جوزيف ، لقد كنت نبيلا وكريما للغاية معى ٠٠ ولكنى احس ان ذكر ريدول قد سبب لك ألما شديدا ٠٠ وأرى أن الوقت لم يفت وانك تستطيع سحب اقوالك بشأن الزواج ٠٠ وثق اننى ـ لو فعلت ـ لن اكون اقل عرفانا بجميلك نحوى ، منى الان ! » ٠٠ فأجابها على الفور : « هاك ردى على هذا الخاطر الشرير : فلنعلن الليلة لجدك نبأ خطبتنا ! »

ـ اذا لم يكن بد فلأفاتحه انا الليلة ، ثم تأتى انت غدا فتتفاهم معه رسميا

ـ حسنا ٠٠ سوف احضر فى الساعة العاشرة صباحا ـ اذ لست فى حاجة الى القول بانى لن اذهب غدا الى المكتب ، بل سأرسل استقالتى نيابة عنى !

ـ سوف تصلهم مع استقالتى !

وتبادلا نظرة فياضة بالمعانى ، ثم التصقا فى قبلة اودعها كل منهماشكره وامتنانه للاخر : هو لانها ادركت من تلقاء نفسها كم يؤلمه ان تبقى بعد ذلك ساعة واحدة فى الشركة التى يديرها ريدول ٠٠ وهى لانها رأت فى تصرفه مظهرا جديدا لغيرته وعمق حبه اياها ٠٠

وكانت السيارة قد بلغت بيتهـا ، فقال الشاب وهو يشير اليه بيده : « بيتنا ! ٠٠ فلعلك تذكرين ما وعدتك به من السكنى بعد زواجنا مع جدك فى هذا البيت »

ـ آه ، كم انت طيب يا صديقى !

وكانت فى عينيها دموع لعقها بقبلة من شفتيه ، ثم اردف : « **وقولى لجدك ايضا اننا سنحصل على عمل افضل** فى احدى شركات التامين الكبرى **بفضل** وساطة صديق قديم لأبى ، وكان قد عرض الصفقة على منذ اسبوعين **فرفضتها** كى لا ابتعد عنك ، أما الان فسوف اقبلها واحصل لك على عمل فيها ٠٠ **فالى** صباح غد يا عزيزتى انييس ٠٠ واعتنى بنفسك كى نتمكن من الذهاب **معا** غدا لاختيار خاتم الخطبة ! »

ثم صرف السيارة وانصرف ، سائرا على قدميه ، حتى بلغ قنطرة (لورنيل) ٠٠ واذا هو يرى من بعيد شخصا يذرع الرصيف امام بيته ذهابا وجيئة ، تعرف فيه على غريمه ريدول !! ٠٠ « **ترى ما الذى دفعه للحضور ؟ لقد صح ما توقعته ٠ لابد ان خادمه قد عرفنى حين تركت عربة الطفل امام الباب ٠٠ وها هو قد حضر ليستجوبنى عن كيفية عثورى على الطفل ٠٠ فهل اعـود ادراجى قبل ان يرانى واختفى كى اتجنب لقاءه الشائك ؟ كلا ، فالأفضل تصفية الموقف بيننا فورا وفى منزلى ، كى لا يقف على سرنا احد !** »

وهكذا ضاعف الفتى من سرعته حتى بلغ الباب فتظاهر بانه لم ير غريمه ومرق الى الداخل مسرعا ثم فتح باب مسكنه ودخل ٠٠ لكنه لم يكد يعبر الردهة حتى سمع طرقا على الباب ، فاتجه ليفتح للطارق البغيض وهو يقول لنفسه : « سوف املك اعصابى ، أعاهد نفسى على ذلك ٠٠ من اجل انييس !»

٨ ـ لقاء الغريمين !

◆ **وابتدره** الضيف وهمـا يدخلان : « أرى من واجبى ان أشـكرك يا صديقى العزيز على صنيعك الكريم ، وستجدنى منذ اليوم معترفا **بجميلك**٠٠

ومد ريدول يده الى مضيفه مصافحا ٠٠ لكن هذا تراجع فى اباء وقد عقد يديه فوق صدره متجاهلا اليد الممدودة اليه ٠٠ !

ـ أتأبى مصافحتى ؟ ٠٠ مامعنى هذا ؟

ـ معناه انى منذ اليوم خطيب مدموازيل انييس ديلاس ٠ وان خطيب مدموازيل ديلاس ليأنف ان يمد يده لمصافحة مسيو جاك ريدول !

قذف لينييه بهذه الاهانة فى وجه غريمه وهو يحدجه بنظرات نارية ، كست وجه هذا الاخير شحوبا مفاجئا ، لكنه سرعان ما استرد توازنه وقال فى هدوء مصطنع : « أرى يا عزيزى لينييه انك قد اصغيت للغط الذى يدور فى الشركة ٠ والواقع انى اخطأت حين لم اتوقع هذا يوم رأيت ان أكافىء اخلاص مدموازيل ديلاس وتفانيها فى عملها بتوظيف مالها فى صفقة رابحة تعود عليها بفوائد سخية ٠٠ ولو كنت قد كلفت نفسك مشقة سؤال الفتاة عن الحقيقة لقررت لك ان مديرها قد وقف نفسه على خدمتها ، وانها لم تكن بالنسبة له غير يتيمة وضعها تحت حمايته ! »

وفيما كان الفتى يجاهد نفسه واعصابه امام هذه الاكذوبة الوقحة الصفيقة ، كان غريمه الآثم يسائل نفسه فى حيرة : « ترى ماذا يعلم لينييه بالضبط عن صلته بالفتاة ؟ ٠٠ والى اى حد سمحت ثقة الفتاة فى فتاها باطلاعه على حقيقة ماضيها ؟ ٠٠ بل الى أى حد بلغت العلاقة بين لينييه وانييس قبل خطبتهما ؟ »

واستغل ريدول فرصة ذهول غريمه من اكذوبته الصفيقة فتابع كلامه فى جرأة : « **انى واثق من انك ستندم على تهورك هذا يا مسيو لينييه ٠ فقط هدىء من اعصابك ، وانا اعدك بان مدموازيل ديلاس لن تعلم شيئا عما جرى بيننا الليلة ٠٠ ولكن دعنا من هذا الموضوع ، فليس من اجله جئتك ، وانما جئت اسألك بعض التفصيلات عن حادث عثورك على طفلى جاستون ٠ فهل لى ان اعرف اين وجدت العربة مثلا ؟** »

أحس الشاب برغبة جارفة فى ان يقذف بالرجل الى الخارج بركلة من قدمه ، لكنه تمالك نفسه واجابه : « بأى حق تستجوبنى هكذا ، بعد الاقوال التى تبادلناها ؟ »

« بأى حق ؟ » ـ اجاب ريدول مدهوشا ـ « بحق الأب الذى يجرى تحقيقا فى حادث كاد يودى بطفله الوحيد ٠٠ اذ ليس مفهوما ان يختطفه شخص كى يتركه بعد حين ! وانى لأتساءل : ترى هل هو الندم ووخز الضمير، أم الخوف من البوليس ، الذى جعل المجرم يعدل عن اتمام جريمته ؟ ٠٠وعلى أى حال فقد اخطرت البوليس بالامر قبل ارجاع الطفل ، وأرجو الا تضطرنى الى الزج باسمك فى التحقيق ، بأن تطلعنى فى بساطة على المكان الذىوجدت العربة فيه »

فأجابه لينييه على الفور : « واذا قلت لك انى وجدتها فى (شــــارع دومبال) !؟ »

كانت الضربة مباشرة ، وقاصمة ! ٠٠ اذن فقد اعترفت انييس بماضيها للشاب ؟٠٠ أو بعد هذا يقبل الاحمق الزواج منها ؟٠٠ ولكن ،أهو احمق حقا أم خبيث ؟ ٠٠ واخذ ريدول يتساءل : « الم تجمع الفتاة ، بفضلى ، ثروة لا بأس بها ؟ ٠٠ اذن فلماذا يتذمر الفتى ٠٠ وما شأنه وماضيها ، امام اغراء المال الوفير ؟ »

مرت هذه الخواطر فى ذهن الآثم فى مثل لمح البصر ، قبل ان يجيب غريمه : « **شارع دومبال ؟ اذن فقد جرؤت الفتاة ! ٠٠ لكننى لا اخشى ياصديقى ذكرى شارع دومبال ٠٠ فلقد أديت يومئذ لمدموازيل ديلاس أكبر خدمة ، فى سبيل تأمين مستقبل مريح لها ٠ ولأضرب لك مثلا عمليا : أكنت لتتزوجها يا مسيو لينييه لو علمت حين عرفتها ان لها ماضيا ؟ او كنت تريدنى ان ابقى على قيد الحياة دليل ذلك الماضى ؟ كن صريحا واعترف معى بأننى تصرفت تصرفا حكيما حين أزلت آثار ماضيها ! ٠٠ واذا كانت الفتـــاة قد اعترفت لك اخر الأمر فانها لم تكن مضطرة الى ذلك ، وانما فعلته بدافع الرغبة فى الانتقام ٠٠٠ لكن مهما يكن من شىء ، فان ضميرى مستريح ٠٠ »**

ـ « ضميرك ؟ » صاح لينييه « أمثلك يجرؤ ٠٠ ؟ »

ـ « نعم اجرؤ ، لانها الحقيقة ، ان علة حقد الفتاة على انى لم اطعهـــا فأطلق زوجتى وأتزوج منها هى حين جاءتنى تقول انها سوف تصير اما ! ٠٠ وحقدها هو الذى أغراها بأن تشى بى لديك ، وهو الذى دفعهـــا الى محاولة الانتقام منى بالشروع فى قتل طفلى ، لولا ان منعتها انت ـ كما استطيع ان افهم ـ بدافع لعله رغبتك فى ان تبدو لنفسك فى صورة الرجل الشهم ٠٠ وسواء أكان هذا أم ذاك فان والد الطفل سوف يظل دواما معترفا بجميلك ، وهو سيثبت لك ذلك باستبقائكما ـ مدموازيل ديلاس وانت ـ فى العمل ، كما لو لم يجر بيننا هذا الحديث ٠ والان احسب ان لم يبق شىء اخر يقال ، فوداعا يا مسيو ٠٠ »

ـ « بل هناك شىء يقال ! » ـ هتف لينييه وهو يوقفه بحركة منه ـ «فانى أود ان اخطرك باننا كلينا لن نضع اقدامنا فى مقر الشركة بعـــد اليوم ٠٠ وسيصلك غدا خطاب استقالتنا ! »

ـ كما تشاءان ٠٠ وفى هذه الحال سوف ارسل لكما اوراقكما مـــع كبير السعاة ٠٠

ثم وضع ريدول قبعته على رأسه فى حركة كبرياء مصطنعة ، وخرج ٠٠ فتهالك لينيبه على المقعد الذى اجلس عليه الفتاة قبل ساعتين ، وراح يفكر : « آه ، كيف أفلت منى هـذا الوضـيع ؟ ٠٠ لم لم أعاقبه بيـدى ؟ لماذا تركته ينعم ٠٠ ؟ مسكينة انييس ! ٠٠ كيف استطاعت ان تحبه ؟ ٠٠ لكنها فى الواقع لم تحبه ، وانما أحبت فيه حياة التحرر وسرابها الخادع ٠٠ فلما ظهر لها على حقيقته ، كما ظهر لى الان ، هالتها نذالته ! »

أما ريدول فقد راح يحدث نفسه بعد انصرافه : « **كم هو سليم الطوية ، لينيبه هذا ! ٠٠ هناك حقيقتان لا شك فيهما : اولاهما انه يعرف دقائق حادث شارع دومبال ، ومع ذلك يقبل ان يتزوجها ! ٠٠ فهل يعمى الحب الانسان الى هذا الحد ؟ ٠٠ والحقيقة الثانية انه على علم بالصفقة الرابحة التى كفلتها لفتاته ، ولا شك انه لن تنقضى ثورة حقدهما حتى يعاودهما الحنين الى تسوية مثمرة مع الصديق القديم ! ٠٠ فلأعد للفتاة طعمى الجـديد : اجيب على استقالتها بارسال اسهمها الرابحة اليها ـ وهى تبلغ الآن نحو مائة الف فرنك ـ واغلب الظن انها لن تتسلمها حتى يعضها الندم والطمع فتعود ٠٠ويعود معها فتاها ! واذ ذاك يسرنى ان اعيدها الى عملها من جديد ،فهى ما تزال ٠٠ حسناء ! ولا اظنها سوف تستعصى على ٠٠ انها تتزوج لمجرد الرغبة فى الانتقام ، والانتقام يدوم فترة محدودة ، بينما الزواج يدوم مدى الحياة ، الامر الذى لا شك سوف يضايقها وهى التى اعرفها دائبة الحـركة مشغوفة بالرقص والرياضة ، بحيث لا يعقل ان تطيق جدران المطبخ المقبضة وحياة الخمول فى كنف هذا العاطفى الاحمق ! ٠٠ وعندئذ سيكون فى وسعى أن استعيدها ، نعم سوف استعيدها ٠٠ وحتى لو أبت فيكفينى اننى كنت الاول ٠٠ أول من نال قلبها ، وجسدها !** » ٠٠ ثم ارتسمت على فمه ابتسامة فخر وشماتة وهو يهمس لنفسه : « **انك ستفكر فى هذا احيانا يا مسيو لينيبه ٠٠ لقد كنت أنا الاول !** »

*

◆ **ووجد** الآتم فى هذه الخواطر بلسما لجرح كرامته الذى كان لا يزال ينزف بشدة ـ سيما بعد ان استوثق من هيام الفتاة بغريمـه الذى تزمع الزواج منه ـ فدفعه ذلك الى الاسراع فى القاء طعمه : لم يكد يدخـل الى مكتبه فى صباح اليوم التالى حتى بادر الى فتح خزانته الخاصة واخرج منها مظروف اسهم « بترول اوفيرن » التى كان قد اشتراها لحساب الفتاة من ماله الخاص ـ امعانا فى اخضاعها لمشيئته ! ـ ثم أخذ يحصيها ويحسب قيمتها

فاذا هى قد ارتفعت من ١٨ الف فرنك الى ٨١ ألف فرنك ٠٠ فابتسم لنفسه ابتسامة الارتياح وهو يفكر : « **ان المبلغ الذى دفعته فيها يساوى لذة الظفر بالفتاة مرة أخرى ٠٠ وحتى لو استعصت على فان لذة اذلالى للشاب بماضى مع زوجته ، تكفينى ! ٠٠ فلأعد العدة لارسال الاسهم بمجرد وصول خطابى الاستقالة ، حتى يتسلمها الخطيبان العزيزان وهما يتناولان افطارهما العاطفى الاول على مائدة الجد الابله !** »

لكن ساعة الانصراف حانت والاستقالة لم تصل ! ٠٠ ترى هل خدعه لينيبيه حين حدثه بذلك ؟ أم ان الفتاة اجفلت فى اللحظة الاخيرة فعزت عليها وظيفتها ؟ لئن كان الامر كذلك فالافضل ارسال الاسهم فورا عسى ان يرجح اغراؤها كفة بقاء الفتاة فى عملها ، معه !

ونادى ساعيه الخاص فأعطاه المظروف ، موصيا اياه بأن يسلمه للفتاة يدا بيد ٠٠ !

٩ ــ هذيان ٠٠ فاضح !

◆ **أما** « لينيبيه » فلم تكد تحين الساعة العاشرة من ذلك الصباح حتى كان يطرق باب البروفيسور ديلاس كى يفاتحه رسميا فى شأن خطبة حفيدته، كما وعد الفتاة ٠٠ لكنه حين دخل وجد الجد فى اشد حالات الانزعاج ،حتى لقد ابتدره قبل أن يرد تحيته : « **درجة حرارتها ٤٠ ، وصدرها يؤلمها ألما حادا لا تستطيع معه أن تسعل او تتنفس ! ٠٠ انها ظمأى للهواء كما تقول، فهل تعرف طبيبا بارعا ؟ ان طبيبنا الخاص متغيب عن باريس ٠٠ آه ،نسيت ان أقول لك كم اسعدنى النبأ الذى زفته الى انييس فى المساء عن خطبتكما٠٠ اعذرنى فانى احبها حبا جنونيا ، حتى لاكاد افقد وعيى بسبب مرضها ، وخاصة كلما تذكرت ان والدها مات نتيجة التهاب رئوى مماثل ! ٠٠ أوه ، انى اثرثر ، بدلا من ان ادخلك عندها فورا كما طلبت منى ٠٠** »

كانت انييس مضطجعة فى فراشها ووجهها محتقن من شدة الحمى ، والسعال الحاد ينفض كيانها بقوة ، فلم تكد تلمح الشاب حتى هتفت به : « آه ، اهذا انت يا جوزيف ؟ اننى فى أسوأ حال » ٠٠ قالتها بصوت متقطع وأنفاس لاهثة ، ثم استطردت بصوت اكثر خفوتا : « كل ذلك بسبب الطفل ! »

فقال الشاب وهو يذوب رقة وحنانا : « لقد افتديته بنفسك . . أواه يا عزيزتى انييس ! » . . وفى تلك اللحظة جاءه صوت الجد متوسلا : « بربك لا تدعها تتكلم يا مسيو جوزيف . . واسرع اليها بالطبيب ! »

قصد الشاب من فوره الى مسكن طبيب اخصائى مشهور كان صديقا لابيه ، يدعى البروفسور « لوفيه » ، فقيل له انه خرج ولن يعود قبل الظهر . . كم تبدو طويلة قاسية فترة الانتظار هذه ! . . واخيرا وصل الطبيب ، فالتمعت دموع اللهفة والشكر فى عينى الشاب حينما ابدى له البروفسور المسن استعداده للذهاب معه فى الحال ، وهو يربت على كتفه مبتسما من خلف نظارته ، قائلا فى لهجة مطمئنة : « لا تخف يا ابنى . . فلسوف تشفى لك خطيبتك الصغيرة »

وصعد الاثنان الى سيارة الطبيب ، وبدأ هدوء هذا الاخير يطمئن من قلق الشاب . . وبعد لحظات قال البروفيسور لمرافقه : « فهمت من حديثك أن مدموازيل ديلاس تعمل فى البنك مثلك ، فهل يرهقها عملها هذا ؟ ان الاعراض التى وصفتها لى تدل على اصابتها بالتهاب رئوى ناتج من برد شديد ، ضاعفت من تأثيره عوامل اخرى سابقة له ، مثل اضطراب الاعصاب او الاجهاد الشديد او الحزن الممض . . ولكن لا مناص من استبعاد هذه الفروض ما دامت الفتاة مقبلة على الزواج من شخص تحبه . . واذن فلا بد ان الذى اضعف مقاومتها للبرد هو افراطها فى العمل وجلوسها ساعات طويلة مكبة على مكتبها فى جو فاسد الهواء ، وهى ظروف لا يمكن أن توصف بانها حياة « صحية » بالنسبة لفتاة . .

ووصلا . . وأدخل الطبيب على المريضة كى يفحصها ، بينما بقى الجد والخطيب فى الردهة فريستين لقلق اليم . . وفجأة دق جرس الباب ، فمضى الشاب كى يفتح للطارق ، واذا هو وجها لوجه امام « فونتفيو » ساعى مسيو ريدول الخاص !

وقال الساعى مشيرا الى المظروف المنتفخ تحت ابطه : « أرسلنى سيدى كى اسلم هذه الاسهم لمدموازيل ديلاس شخصيا »

– ولكنها مريضة ، والطبيب يعودها الان . .

– ان تعليمات مسيو ريدول تقضى بان اسلم المظروف للانسة يدا بيد . .

– يمكنك تسليمه لجدها مسيو ديلاس ، وهو سيعطيك ايصالا بالتسلم . .

وتمت « عملية التسلم » ! . . ولم يكد الساعى يخرج حتى قال الجد وهو يفتح المظروف : « **كم هو طيب ونبيل ، هذا المسيو ريدول ! . . ان**

انيبس ستغتبط ولا شك حين ترى هذه الثروة بين يديها ‥ وانت ايضا ، جدير بك ان تغتبط ، فانه يندر ان يكون زواج الحب موفقا ايضا من الناحية المادية ‥ ها هو البروفسور يخرج من الغرفة ‥ ما هو تشخيصك للحالة يا دكتور ‥ ؟ »

ـ التهاب رئوى من النوع الشائع ‥ الحرارة ٤٠ ، والكبد متضخم قليلا ، وفى جزء من الصدر بعض الحشرجة الشبيهة بصوت الملح حين يوضع على النار ‥ لكن القلب فى حالته المثلى ، وكذا الجهاز العصبى ‥ واعتقد انه لن تمضى سبعة أيام حتى تزول الحمى ‥ ويمكنك ان تدعونى الى زفافك بعد عشرة أسابيع ۰ ان مريضتنا الظريفة الشجاعة تريد ان تشفى ، وستشفى ‥ سأعود مرة اخرى بعد الظهر ، ثم ارسل لكم ممرضة لفترة الليل ‥

واتجه يبغى الخروج ، لكنه استدار بعد خطوات ليقول : « لا تقلقا اذا سمعتما المريضة تهذى هذيانا خفيفا وتروى اشياء خيالية تتصل بعملها فى الغالب ، فهذا امر طبيعى فى مثل حالتها ‥ »

وعلى أثر خروج الطبيب كان هم الجد الاول ان يطلع حفيدته على المظروف الذى ارسله ريدول ، « فالفرح هو اقوى المقويات » كما قال ‥ وهكذا اتجه نحو بابها وهو يلوح بالمظروف ويشيد بنبل ريدول وكرم اخلاقه ! ‥ اما الفتاة فلم تكد تقف على جلية الامر حتى قالت فى حنق ظاهر : « ضع هذه الاوراق بعيدا ، فليست تهمنى الان ‥ »

ـ ايه ، حسنا ‥ ولأكتب فورا خطابا للمسيو ريدول اشكره فيه واشرح له سبب عجزك عن الكتابة اليه بنفسك ‥

وبمجرد ان اقفل الجد الباب خلفه قالت المريضة لفتاها ضارعة : **« اخف هذه الاسهم كى لا اراها يا جوزيف ‥ حتى نفكر فى وسيلة لاعادتها الى صاحبها ، ويجب ان يتم هذا سريعا ، فانى لم اعد اطيق شيئا يذكرنى بهذا الرجل ! »**

ـ وانا بالمثل ‥ ولكنى اخشى ان يعمد الماكر الى ايداعها فى احد البنوك باسمك ، او يردها اليك بالتالى مصحوبة بخطاب وقح ‥ انتظرى لحظة ‥ هاك حل المسألة : **« سأذهب حالا الى مكتب مبادلة اعرف مديره ، وهناك اعرض الاسهم للبيع ، ثم احمل ثمنها الى دير « سان جاك دوهوبا » فأسلمه للراهب الذي يدير شئونه على اعتبار انه تبرع من مسيو ريدول**

لفقراء الدير ٠٠ وحين يعطينى الراهب ايصالا بالمبلغ ارفق به فاتورة مكتب المبادلة وأرسلهما الى ريدول بالبريد المسجل ! »

– « آه يا عزيزى جوزيف ٠٠ » قالت انييس وهى تضم يديها الى صدرها فى اعجاب : « يالها من فكرة رائعة ٠٠ اسرع بتنفيذها فـورا ، فأمامك ساعتان قبل موعد اقفال البورصة ٠٠ وان كان يعز على فراقك فى هـذه الفترة ! »

✠

◆ **كان** المساء قد هبط حين عاد لينييه من مهمته فلم تكد انييس تراه يلج غرفتها ملوحا بورقتين فى يده حتى بدا عليها الارتياح والانشراح ،فقال لينييه : « لقد تم كل شىء وفق ما توقعت ، وها هما الايصالان : ايصـال قائمة مكتب المبادلة وايصال تسليم المبلغ للدير ، فهل تستطيعين كتابةعنوان ريدول بخطك ؟ ٠٠ كلا ؟ اذن فسأكتبه انا ٠٠ وسيكون هذا فى نظره دليلا اخر على اننا – انت وانا – متفاهمان على كل شىء ! »

فقاطعته الفتاة فى لهفة : « اذن فانت قد قابلته وكلمته ٠٠ ولكن اين ؟ ٠٠ ومتى ؟ »

– أمس ، فى بيتى ٠٠ وقد علم انك بحت لى بسرك كله ٠٠ وغدا سيعلم حين يتسلم الايصالين اننا لم نقبل عار الارتزاق من ماله !

وفى الصباح التالى خف الشاب الى بيت خطيبته ليطمئن على صحتهـا كعادته ، فابتدره الجد قائلا فى استغراب : « **لقد حدث ما توقعه الطبيب ، فأصيبت انييس بهذيان خفيف اثناء الليل : رأت نفسها تقود عربة طفل اسمه « جاستون » تحت وابل من المطر الغزير ، وقد تخلت عن معطفها لتغطى به الصغير ! ٠٠ وحين سمعت الخادمة « ماريا » بنبأ هذا الكابوس ابدت ملاحظة غريبة ٠ قالت ان ملابس انييس كانت مبتلة كلها حين عادت من الخارج يوم المطر الشديد ، ما عدا معطفها الذى كان مبتلا فى جزئه الاسفل فقط ، كما لو كان قد استخدم حقيقة فى تدثير طفل فى عربة مغطاة حتى نصفها ! ٠٠ لكنها مصادفة بطبيعة الحال ، ولا بد انها قرأت اخيرا قصة فيها مشهد مماثل، تأثر به عقلها الباطن فأظهره حين اصيبت بالكابوس ! »**

فأجابه الشاب : « تفسيرك هذا هو المعقول » ٠٠ بينما همس لنفسه فى جزع : « لعل هذيانها لا يتجدد ، فتروى في المرة القادمـة مشهد شـارع دومبال ! »

١٠ ــ مذلة ٠٠ وتكفير !

◆ **لم** يكد ريدول يتسلم المظروف الذى به الايصالان حتى أدرك أن خططه جميعها قد أحبطت ، وأحس بعمق الجرح الذى أصابه فى كرامته ، فلم يطق صبرا واستقل سيارته الى ٠٠ شارع استراباد ، حيث تقطن انييس !

واستقبله الجد مرحبا ، وراح في سذاجته المعهودة يروى له قصة هذيان المريضة والرؤى الغريبة التى صورتها لها الحمى : رؤيا الطفل فى العربة ، والمطر المنهمر ، والمعطف الذى خلعته لتغطى به الصغير ٠٠ الخ ٠

وأغرى الفضول ريدول فانهال على محدثه بسيل من الاسئلة والاستفسارات ، سعيا الى الوقوف على حل للغز اختفاء طفله والعثور عليه ٠٠ متغاضيا عما قد تثيره أسئلته اللحوحة من شكوك فى نفس العالم المسن ٠٠ لكن هذا ظل فى برج سذاجته العاجى ، مما شجع ريدول على أن يتمادى فى جرأته متسائلا : « ألا يمكنني مقابلة الآنسة لبضع دقائق ؟ » ٠٠ ثم استطرد بمجرد أن لمح على وجه الجد علامات الترحيب باجابة طلبه : « لقد جئت حالما بلغتنى أنباء مرضها ٠٠ ثم انى أريد محادثتها فى شأن عمل جديد أفضل أعتزم اسناده اليها ٠٠ »

ــ « بكل سرور ٠٠ سأرى اذا كانت تستطيع استقبالك » ٠٠ ثم عاد الجد بعد لحظات يقول : « انها تنتظرك ٠٠ »

كان كل غرض ريدول من مقابلة المريضة أن يشفى غليله فيستوثق من أمرين : أولهما حادث سرقة طفله واعادته ، وصلتها هى بالحادث ٠٠ والثانى مدى علمها وموافقتها على تصرف لينييه بصدد بيع الاسهم والتبرع بقيمتها لاعمال الخير !

وحين وقف أمام المريضة يطالع على وجهها أعراض الالتهاب الرئوي التي كان خبيرا بها منذ أصيب بها ــ وراح ضحيتها ــ

نفر من زملائه الضباط خلال مدة الحرب ٠٠ راعه احمرار وجنتى الفتاة ، واحتقان عينيها واتساع حدقتيها ، واختلاج أنفها ، وزرقة شفتيها ٠٠ ثم راعه سعالها الشديد الذى كان يهز كيانها هزا عنيفا ، والذى كانت تحاول جاهدة أن تحبسه فى صدرها٠٠ حتى وجدت أخيرا الفرصة لان تقول للزائر البغيض : « **لقد استقبلتك يا مسيو ريدول كى أناشدك أن تتركنى أموت فى هدوء ، اذا وجب أن أموت ، أو أعيش حياة شريفة لا يدنسها عار قبول هبتك المهينة ، اذا قدرت لى الحياة!٠٠ فلا تحاول النيل منى فى شخص الرجل الشريف الذى أحبه ، أتسمع ؟٠٠ الذى « أحبه » ، والذى عرف كل شىء ، وبرغم ذلك غفر لى ، وخطبنى !** »

ـ انك شديدة القسوة على يا انييس !٠٠ لكننى سوف أحترم رغبتك ، وأعدك بأن يكون هذا الحديث هو الاخير بيننا ٠٠ فقط أرجو أن تعترفى لى بحق توجيه سؤال واحد أخير اليك : لقد فوجئت منذ يومين بحادث مخيف ، هو سرقة طفلى فى غفلة من مربيته ، ثم اعادته الى بواسطة مسيو لينييه ٠٠ فهل كنت أنت التى اختطفت الطفل ؟ لقد مر هذا الاحتمال بخاطرى فورا ، لكننى لم أستطع الجزم به ٠٠ وأريد أن أعلم ٠٠

ـ نعم ، أنا التى اختطفت الطفل !

ـ ولكن ٠٠ لماذا ؟

ـ لماذا ؟٠٠ لكى أقتله !

ـ رباه !

ـ نعم ٠٠ كما قتلت أنت الآخر ، أخاه !٠٠ فلقد حقدت عليك وكرهتك فى شخص طفلك ٠٠ وكنت على وشك القضاء عليه ، لولا أنه استيقظ من نعاسه وعرفنى ، فابتسم لى ابتسامة بريئة عذبة حركت قلبى ، فأشفقت عليه ٠٠ أتسمع ؟ أشفقت عليه هو ، لا عليك !٠٠ لكننى عجزت عن اعادته بنفسى فذهبت

ألتمس العون من ذاك الذى أحببته ٠٠ هذه هى القصة ، وأؤمل ألا يكون عندك بعد هذا ما تسألنى عنه ٠٠!

ـ بل عندى ٠٠ فهل صحيح انك خلعت يومئذ معطفك كى تحمى به الصغير من المطر الشديد ؟

فنهضت الفتاة بجذعها الاعلى فى انزعاج وسألته فى لهفة : « من قال لك ذلك ؟ » ٠٠ كان فوق طاقة كبريائها أن تحتمل وطأة علم مغويها البغيض بحقيقة تضحيتها من أجله ، أو من أجل طفله !٠٠ فأردفت قائلة : « ليس جوزيف الذى قال لك ٠٠ انه لم يفضح سرى ٠٠ كلا ! »

فقاطعها ريدول ، يطمئنها : « بل هو جدك الذى أخبرنى » ٠٠ واذ ذاك صاحت فزعة : « جدى ، أهو يعلم ؟ » ٠٠ وبادر ريدول يطمئنها من جديد : « كلا ، انه لا يعلم سوى أنك هذيت أثناء نومك وصورت حادث الطفل والمطر والمعطف ، الذى لم يفهم مغزاه غيرى ٠ ولكن دعينا من هذا وأجيبينى : هل صحيح أنك خاطرت بحياتك فى سبيل حماية الطفل ؟ »

ـ وماذا يفيدك أن تعرف الجواب ؟

ـ كى أسألك الصفح يا آنييس ، عن كل ما بدر منى !

٠٠ وكان مخلصا فى سؤاله !٠٠ فكثيرا ما تبلغ الصدمات النفسية من الحدة درجة تحدث رجة عنيفة فى التوازن النفسى ـ تماثل تلك التى تحدثها الصدمة الجسمانية فى توازن الجسم ـ وهبوطا انفعاليا فى مثل قوة النزيف الدموى !٠٠ وهكذا كان لوقوف ريدول على حقيقة تضحية « ضحيته » رد فعل بالغ ، طمس فى أعماقه خصاله الطبيعية ، فاختفت شخصية المغوى الآثم الذى تقتات شهواته من أعراض العذارى٠٠ واختفى الغريم الغيور الذى كان منذ دقائق لا يفكر الا فى الانتقام من لطمة نبذ الهبة الدسمة السخية ٠٠ وطفت على حطامهما شخصية الاب الشفوق الذى أرهفت تضحية المحتضرة احساسه وأيقظت فى

قلبه حبه الابوى لوحيده ، كما أيقظت فى ضميره ندمه على مسلكه الشائن مع ضحيته وقسوته عليها !٠٠ وفى ظل هذا الشعور قال ريدول أخيرا وقد عبرت بروحه ـ لاول مرة فى حياته ـ هذه الحاجة بل الحنين الى التذلل أمام الضحية فى سبيل اقتناص شيء من الراحة النفسية : « **نعم ، اغفرى لى يا آنيبس كل ما فعلت ، وجنيت ٠٠ اغفرى لى اننى لم أرحم شبابك وطهرك ، فسعيت بكافة الطرق كى أجعلك تسقطين ! ٠٠ واغفرى لى اننى قدتك الى شارع دومبال ، وأغريتك بقتل الجنين ٠٠ بل اغفرى لى اننى بالامس فقط أرسلت لك تلك الهبة السخية كي أوقعك فى شباكى مرة أخرى ، وأنالك من جديد ٠٠ أنت التى عرضت حياتك للخطر فى سبيل انقاذ طفلى الحبيب !٠٠ الآن فقط أحس بأنك على حق فى حقدك على وبغضك لى ٠٠ ولكنى ، لم أكن أعلم أنك نبيلة الى هذا الحد ٠٠ آه ، دعينى أكرر لك شكر أب أثم فى حقك ، لكنه لن ينسى لك قط ما فعلته٠٠ بل انه ليستعطفك ويتوسل اليك أن تمنى عليه فقط بهذه الكلمات الثلاث : « لقد صفحت عنك ! »**

ـ « لقد صفحت عنك ٠٠ والآن دعنى وشأنى » ـ قالتها آنيبس وهى مغمضة العينين ، وقد هزها الموقف العنيف ٠٠

وفى اللحظة التالية فتح الباب ، ودخل الجد ، يتبعه ٠٠ لينييه !٠٠ لقد التقى الغريمان !٠٠ وقال الجد فرحا ، ببلاهته المعهودة : « انها فرصة طيبة أن يحضر جوزيف أثناء وجود مسيو ريدول ، كى يستطيع أن يوضح له مسألة العمل الذى جاء يتحدث بشأنه ٠٠ »

ـ لقد أوضحت للآنسة كل شيء يا مسيو ديلاس ٠٠ وأرى أنها تعبة ، فيحسن أن لا أثقل عليها بالبقاء ٠٠

ثم خرج ، يتقدمه الجد ، ويتبعه الشاب بعينين يتطاير منهما شرر البغض الشديد !٠٠ وحين عاد لينييه الى خطيبته ابتدرها

متسائلا : « ما معنى هذا .. ماذا جاء يفعل الوغد ؟ »

ـ عرف انى افتديت طفله فجاءنى يطلب الصفح !.. وأعتقد أنه مخلص فى هذا ..

ـ لكم أنت كريمة النفس ، تفكرين بوحى طيبة قلبك الكبير .. القلب الذى دفعك لانقاذ طفل غريمك على حساب حياتك .. كما دفعك لانقاذى من مذلة الجهل بسبب رفضك الزواج منى ، والبوح لى فى سبيل ذلك بسرك الدفين !.. ولكن ، دعينا الآن من هذا ، ولنركز همنا فى انقاذك أنت حتى تشفى .. فلكم أنا مشوق الى أن أعطيك اسمي ونفسى وقلبى ، وأعيش معك ..!

ـ آه ، يا حبيبى .. أريد أن أشفى وسأشفى ..!

*

◆ وشفيت ، بعد اسابيع من الصراع القاسى ، لم يكف خلالها الطبيب عن ان يقول لخطيبها متعجبا : « ان ارادتها ان تعيش من اجلك ، هى التى تقويها على مغالبة المرض ! »

وبعد اربعة أشهر ، زف العروسان فى كنيسة « سانت اتيين دى مون » .. وكان الطبيب المسن احد شهود الزواج !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية)) و ((مركب النقص)) و ((حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل »و«كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، وأخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من صحبة اندريه موروا المتعة الى صحبة مفكر عالمى آخر هو الفيلسوف الانجليزى المعاصر « برتراند رسل » فى كتابه المشهور « غزو السعادة »

وبعده قدمت لك كتاب فرويد المشهور ((التحليل النفسى)) ، يليه ((كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة))، ثم « الجنس الاخر » ، و « عش حياة ايجابية » ..

واليوم اقدم لك فيما يلى الجزء الثانى من الكتاب الشائق ((أبواب الحب المغلقة » الذى قدمت لك الجزء الاول منه فى العدد الماضى ..



LOVE'S CLOSED DOORS
BY
WALTER WYNN
أبواب الحب المغلقة!
للباحث الاجتماعى "والتر واين"

مفاتيح جديدة للحب !

◆ فى الفصول الأولى من هذا الكتاب ـ المنشورة فى كتابى السابق ـ عالج المؤلف بعض « المفاتيح » التى تفتح مغاليق القلب البشرى لأجمل وأسمى عاطفة فى الوجود : عاطفة الحب ! ٠٠ وقد دلل على آرائه بأمثلة من غراميات أربعة من البارزين فى التاريخ : هم دانتى وملهمته بياتريس ، والاديبة الانجليزية « جورج اليوت » وعشيقها ٠٠

وفى هذه الفصول الجديدة التى نلخصها لك اليوم من هذا الكتاب يعالج مؤلفه ـ وهو رجل الدين والنفس والمجتمع ـ مفاتيح اخرى لأبواب الحب المغلقة ٠٠ ويعرج منها على بحث « الاقفال »التى تحكم رتاج هذه الابواب وتوصدها فى وجه الحب ، واهم هذه الاقفال فى نظره : الغيرة !

وهو يستشهد فى هذه المرة بأمثلة جديدة من حياة وتجارب : المسيح ، ومحمد ٠٠ ثم الزعيم الثائر « أوليفر كرومويل » !

١ ـ الطريق الى الحب

◆ **جدير** بنا أن نلم الماما عابرة بما تتضمنه كلمة «الحب» على بساطتها من طبيعة معقدة ٠٠ فلو اننا حكمنا على « الحب » على ضوء ما يراه الناس فيه عادة ،لخيل الينا أنه عاطفة تباع وتشترى ٠٠ وانا لنرى الرجل حين يحتاج الى زوجة يجد فى البحث حتى يعثر على امرأة يأنس من نفسه هوى اليها ، ويزداد كل يوم ايمانا بأنه صريع غرامها ٠٠ ولكنه لا يلبث بعد قليل أن يتبين انه كان على خطأ ٠٠ فكل شىء لم تتأصل جذوره فى الطبيعة ، لا بد أن يصير الى فناء ٠

والحب لا يحتمل تحليلا ، بل يهرب دائما من التقديرات الحسابية ٠٠ وهو لا يعيش فى القلب البارد ، فهو ابن الشمس الذى يبث الدفء والنور فى كل ما يمسه ٠٠ ثم هو توأم الاسى ، وليس فى هذا من ضير ٠٠

والمرأة العاشقة تحتمل الاسى دون أن تخرجها لوعته عن لطفها ، فهى تتسامح وتسرف فى الصبر ، ويكفيها لكى تعيش

هانئة أن يتوفر حولها جو من الثقة البسيطة ، الساذجة ، المجردة من الزخرف والمغالاة ٠٠ ولربما تلقت من الصدمات ما لا حصر له ، فلا ترد السيئة بمثلها ٠٠ حتى اذا تداعى الرمز الذى وقفت عليه وفاءها ، خيل اليها أن قسطا من حياتها قد فارقها ، ولا تجد حيلة - لعجزها عن الانتقام - سوى الدمع تذرفه ٠٠ وما أروع هذه الكلمات التى قالتها امرأة كسيرة الفؤاد ، حين أعدم زوجها وكان قاتلا شريرا : « وسعوا القبر لينفسح لى كى أدفن معه ، فانه كان مثالا للزوج ! »

أجل ٠٠ لقد رأت فيه عين القانون مجرما أثيما ٠٠ ولكن عين الحبيبة كانت أبعد نظرا وأعمق تحقيقا ٠٠ فالحب لا يعبأ بأوشاب الحياة ، لا يحفل بالظواهر الادبية التي اصطلح عليها الناس ، ولا بالظواهر المعنوية أو المادية ٠٠ وقد عبر « شكسبير » عن هذه الحقيقة فى (أنطونى وكليوباترة) بقوله : « فى الحب نوع من التسول والاستجداء ! » ٠٠ ولقد تطغى الضغائن على « الحب » ولكنه لا يلبث أن يسمو فوق الاحقاد ٠٠ ولربما صلب ومات فوق صليبه ، ثم سرعان مايبزغ ثانية فى اشراق ساطع !

هذا هو « الحب » الذى يحيل البيت فردوسا ٠٠ ويقيم صرح « امبراطورية » وطيدة الاركان ، تدوم على الزمن ٠٠

جمال الجسد ليس كل شىء !

◆ **ومن** الظنون السائدة عن الحب انه ثمرة الجمال الجسدى ٠٠ فان « الشىء الجميل نفحة تبعث البهجة الى الابد » ٠ ولا مراء فى أن للوجه المليح فتنته ، وللجسد البديع جاذبيته ، غير أنهما ليسا بالعاملين اللذين يخلقان الحب الدائم ٠٠ وقد قيل قديما « لا تحكموا بالمظاهر » ، **اذ قد تكون الغانية الجميلة شيطانا مريدا ، والفتاة العادية الساذجة ملاكا رحيما ٠٠ وهذه الاخيرة هى التى تبدو لعين المحب جميلة ٠٠ فالجمال والتقوى قل أن يوجدا معا ، فى حين أن الجمال والخبث كثيرا الاقتران ٠٠**

وما حب الجمال الجسدى سوى حب ناقص ، بل هو خيال عابر للسلوى الباقية الخالدة !

والحب الحقيقى لا يحوم حول المظاهر ، ولا يمكن أن يأتى اصطناعا ، وانما هو يتسلل كضياء الفجر الهادىء ، أو ينقض بغتة كصاعقة تهز الكيان ٠٠ وكيفما كانت طريقة مقدمه ، فانه يبـقى ويتشبث دون أن تسـتطيع قوة – ولا الموت – أن تزحزحه !

ثم هو يكره الرياء والزيف ، فلا يصدح بأغـاريده الا لمن يصطفيهم فحسب !٠٠ انه كالنسمة العليلة ، تهب حين تشاء ، فتبعث أثرا لطيفا يطمئن اليه كل ما يمسه ٠٠ فاذا النفوس ترق وتهدأ ، واذا القلوب تلين وتترفق ٠٠ وهو يكشف نفسه فى حياة المرء نتيجة الالفة ويزداد اماطة لقناعه كلما انكمشت الكلفة وتضاءلت ٠٠ أما حين يخبو ، فانه يترك صاحبه وقد انهارت فى نظره الارض والسماء ، وغدا الكون بلقعا ٠٠ فى حين أن الحب الزائف ينقلب حين يفتر الى بغضاء !

الحب « ديمقراطى » !

◆ **ومن** أجلى مظاهر الحب التى نحاول أن نشرحها هنا ، قوته الطاغية فى خلق المساواة وتوطيدها ٠٠ فهو يشق طريقه رغم كل الحواجز ، ليجمع بين رجل وامرأة قامت بين مركزيهما فى المجتمع أعظم الفوارق ٠٠ وما ان يتغلغل فى نفسيهما حتى يسقط كل حاجز ، وينمحى كل جمود !

ولو أننا تأملنا فعاله لوجدناها فىالواقع معجزات : اذ أنه يتخذ فى البداية شكل الرعـونة التى لا كابح لجماحها ، ثم يخلق الفضول مظاهره الساخرة ، ثم يوحى بالصمت واصطناع عدم المبالاة ٠٠ وفجأة ، يندفع محاولا تحطيم كل باب محكم الرتاج !٠٠ وما أجدر هذا الجهد بالرثاء اذا انتهى الىالاخفاق – وان كان الاخفاق يشف عن عبقرية الحب، فما كانت طريقه قط بالمعبدة الممهدة !

ثم ـ من ناحية أخرى ـ ما أسرع الحب الى الفرار اذا طورد فى الحال قبل أن يستقر ويرسخ ، لانه لا يقبل قط أن ينال اغتصابا ٠٠ ومن أعجب عجائبه انه كلما أشرف على القنوط ـ من أثر الصدود ـ عاد ينتعش ويظفر بحياة جديدة حافلة بالجرأة والتحدى !٠٠ وبينما يبدو لنا في بعض الاوقات خابيا، يكون في الواقع فى حالة « استجمام » وتحفز ٠٠ انه حر كالهواء ٠٠ وأنت قد تصد الهواء حين تغلق النافذة ، ولكنك لا تتخلص منه فى الداخل ، ولا تقضى عليه فى الخارج حيث يظل سائدا !

خداع الحب !

◆ **والحب** لا يقبل جزاء سوى الحب ٠٠ وكثيرا ما تكون حركاته خداعة مغررة ٠ انه كالزهراء ـ كوكب العشق والجمال ـ يتألق كل وجهه المقابل للشمس ، بينما يكون شقه الآخر معتما !٠٠ وهو حين يكشف نفسه عادة يكون مزيجا من « الشعور » و « الحديث » المقنع المستتر ٠٠ فان له لغته الخاصة الخالية من الحذلقة ، والتى يكمن فى جفافها لطف، وفى معانيها رواء ، وفى لومها متعة ٠٠ ولقد يطرد الحب أى حب آخر ، حتى اذا انفرد بنفسه أحس وحشة وقلقا !

ومن أبرز صفات النساء اللاتى يفاجئهن الحب الحقيقى العميق ، انهن يزدرينه موقنات بأنهن لم يقعن فى حبائله ، ثم لا يلبثن أن يدركن انهن انما كن يحيين فى الشق المعتم من كوكب الزهراء ، حتى اذا واجه هذا الشق الشمس فى دورة الفلك ، تألق فجأة ٠٠ فاذا ساكناته مغرقات فى الحب ٠٠ واذ ذاك يعمدن الى المبالغة وتزويق القول ، لا لشىء الا مراوغة وتهربا من الاقرار بالحقيقة !٠٠ غير ان الحب لا يكاد يوطد قدميه ، ويذكى جذوته ، حتى يعلن الحقيقة جهارا ٠٠ وانك لتجد المحب يعلن فى جرأة انه اذا كان الحب خطيئة فمرحبا بالخطيئة ٠٠ بل انك لا تجد قوة تصده عن المضى فى حبه ولو

انتهى به الى الهلاك ! ٠٠ وكم تستشعر المرأة المحتشمة الخجول لذة فى أن تستدرج الرجل الى أن يفضى بما يمنعها الحياء من أن تفضى به ! ـ أو على حد تعبير الشاعر « لونجفيلو» فى احدى رواياته : « وابتسمت العذراء وسرى فى عينيها الحبور ، وقالت فى صوت مرتجف : لم لا تتكلم أنت يا جون؟»

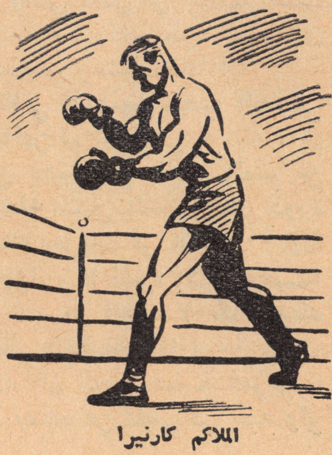
وكم أجاد « تنيسون » فى وصف تضارب أحاسيس المرأة فى هذا الظرف اذ كتب فى (مرلين وفيفيان) :

« لست أدرى ما اذا كنت أعرف الحب الصحيح ٠٠
« فما أعرف الا اننى ان لم أحب فتاى
« فلست أعرف سواه جديرا بأن أحب ! »

المرأة متطرفة ٠٠ فى الحب والبغض !

ولكن المرأة اذا أحبت فلن يكون لوفائها حد ٠٠ فهى تجود بالنفس فى سبيل الرجل الذى تهواه ، كما أنها بنفس الروح قادرة على الفتك بالرجل الذى تكرهه !٠٠ ذلك أنها متطرفة فى الاتجاهين !

وأذكر أن فتاة قاضت الملاكم « كارنيرا » ـ الذى كان بطلا عالميا فى الملاكمة ـ لانه أزجى لها الوعود ثم هجرها ، فحكم لها بتعويض ضخم ٠٠ وكان تعليقها على هذا الحكم أن أقسمت أنها لن تتردد فى أن تتزوج من خصمها فى اليوم التالى لو أنه عاد اليها ! ـ اذ كانت الجذوة السحرية ما تزال تتقد فى فؤادها ٠٠ فلم تهزها فرحة الفوز فى ساحة القضاء ، لانها كانت تشعر بأنها خسرت أقدس


الملاكم كارنيرا

ما فى الحياة ·· لقد طارت وراء الحب فطار منها ، ولا قبل لاحد بملاحقة الحب أو اغتصابه ··

بهذه العجالة نرجو أن نكون رسمنا لك صورة عن الحب ·· انه المادة السامية التى تصنع الحياة فى أرقى أشكالها ·· وما القصر المنيف بدونه سوى قفص ذهبى ، أما اذا مس أحقر الاكواخ بجناحه السحرى ، فانه يحيله الى ركن من الفردوس!

ان موضوعنا متشعب لا سبيل الى حصره فى نطاق كهذا ، لذلك نحرص على أن نسجل كل شاردة وواردة تساعد القارىء على تأمل هذه العاطفة التى تعد مفتاح كل المآسى والمهازل فى الوجود ·· العاطفة التى تجعل المرء يحب غيره قبل نفسه ·· ومن ثم فان الحب الانانى ليس فى الواقع حبا !

الحب يفعل المعجزات !

◆ **والحب** الحقيقى يفرض سلطانه على الجسد فى سبيل الخير : ففى وسعه أن يأتى بالمعجزات حيث يخفق الطب أو وسائل التسرية والترفيه !·· ويكسب الغزوات حيث يخفق كل سلاح !·· ويربح القضايا حيث يفشل كل منطق وقانون ·· ثم ، ألم يكن كل نبى يحب أمته حين اصطفاه الله لهدايتها؟ ·· لو أن الانبياء لم يحبوا أقوامهم ما أضاعوا الوقت والجهد فى ارشادهم ··

وان المحب حين يتكلم فيفيض الحب فى نظراته ، وحركاته ، ونبرات صوته ، لينقلنا بحديثه الى عالم آخر ، ويحملنا بحرارة الحب على أن نغضى عن كل خطأ فى كلامه ·· وكل امرأة قادرة بفطرتها على أن تلمس مدى صدق عاطفة صاحبها من حديثه·· فالحب لا يسمح لاى زيف أو رياء أن يشوبه ·· ولعل رجال الدين ـ لا سيما القسس الذين يتلقون الاعترافات ـ أدرى من سواهم بذلك ·· وانى ، كواحد منهم ، أذكر يوم جاءتنى فتاة تلتمس النصح قائلة : « هذا خطاب تسلمته أخيرا ·· وانى لحائرة لا أدرى ما ينبغى أن أفعل ·· فهلا بذلت لى النصح ؟ »

وكان فى الخطاب مايلى : « ٠٠ لكم أحبك !٠٠ أما اذا كنت تشعرين نحو غيرى بأكثر مما تشعرين به نحوى ، فلا تترددى يا أعز الناس ٠٠ » ٠٠ وقلت للفتاة : « القيه كما تلقين الجمرة من يدك ٠٠ انه لا يفقه الحب ! »

ونبذته الفتاة ٠٠ وأثبت الزمن صدق حكمتها !

وحادث آخر بطله فتى فلاح لم يحظ بتعليم يذكر ، ولكنه وهب خلقا رفيعا ٠٠ وشاء له القدر أن يقع فى غرام فتاة متعلمة، خجل من أن يصارحها بحبه ، فجاء يسألنى ارشادا ، ويقول انها « فى حلاوة السكر » ، فى حين انه هو لا يعدو أن يكون « عسلا أسود » اذا قيس بها !٠٠ وابتسمت على الرغم منى لهذا التشبيه ، ونصحته بأن يكتب اليها ويشرح لها مشاعره بنفسه ، ثم يسألها أن تسمح له بلقائها ٠٠ ولكنه خشى أن تعرض عنه لانه لا يجيد الكتابة ولا يحسن الهجاء !٠٠ فقلت له : « يا بنى ٠٠ أكتب على قدر معرفتك ، وصغ الكلمات كما يحلو لك ٠٠ صارحها بلغتك وأسلوبك ، فان ساءها أن تتحدث على فطرتك فثق أن الله لم يقدر لك أن تتخذها حليلة ! »

وأومضت عيناه فى عزم ٠٠ وبادر الى تنفيذ نصيحتى بحذافيرها ، ثم عاد يطلعنى على خطاب هذا نصه بعد تصحيح الاخطاء الهجائية : « عزيزتى السكرة الحلوة : اننى أحبك ، وأريد الزواج منك ، والا فلن أتزوج من سواك قط !٠٠ هلا قابلتنى الليلة فى الساعة السابعة مساء فى المتنزه العام ؟ »

وكان جريئا اذ دفع اليها الخطاب يدا بيد ٠٠ وبلغنى أن وجهها تضرج خجلا ، وانها احتفظت بالخطاب فى حرز مكين ، تقرأه كلما غاب عنها صاحبه ٠٠ فقد تزوجا وأحالا كوخهما قصرا ترفرف عليه السعادة !

ألم نقل ان الحياة بلا حب ليست حياة ؟٠٠ فتعالوا نبحث عن الاشياء التى تغلق الابواب فى وجه الحب !

٢ ـ الغيرة

◆ **والغيرة** من ابشع العواطف التى يخفق بها القلب البشرى ، وكثيرا ما تسمى «ديدبان العواطف» و«الشبح القاسى» و «ام المصائب» و«لعنة الحب» و «جحيم المحبين» وما الى ذلك من اشنع الاسماء والاوصاف .. على أن من العدالة أن ننصف الغيرة قبل ان نلعنها ، فهى عاطفة اودعها الله قلب الانسان ، ولله فى كل ما يخلق حكمة ..

وخليق بكل رجل يبغى تجنب الغيرة ، ان يقسم امام الله ان يبر بكل ما يبذل قبل الزواج من وعود ، فلا يدع لزوجته سبيلا الى الشكوى من شىء ، بل يحرص جاهدا على ان يكون صادقا ، شريفا ، امينا ، صريحا ازاءها .. اما اذا لم يفعل ، فان تصرفاته تبذر الغيرة فى قلب زوجته ، ومن حقها اذ ذاك ان تلاحقه بهذه الغيرة ، بل وتلاحق كل امرأة تشجعه على ان يحيد عن جادة الوفاء .. اذ ان سعادة الزوجة كلها تتوقف على وفائه ، ومن ثم فان كل عقاب يقصر عن جزاء الرجل الذى يحنث بعهود الزواج دون مبرر .. والقول ذاته ينطبق على كل زوجة خادعة ، منافقة .. ذلك لان الغيرة قد لا تقوى على قتل الحب الاصيل الصحيح ، ولكنها تستطيع ان تغلق باب القلب .. وهذا الاغلاق فى حد ذاته نوع من القتل !

واخطر ما فى الغيرة انها اذا تملكت عقلا استطاعت ان تدفع صاحبه الى ارتكاب جريمة القتل ! ولذا وجب على العشاق ان يفقهوا طبيعتها ، وان يدركوا مبعثها ونتائجها .. ولو اننا فحصنا كل حالاتها ، لوجدنا انها ما كان ينبغى ان توجد فى تسع من كل عشر حالات ! .. وسنستعرض هنا آثارها على الحب ، بعد ان نمهد لذلك ببيان اثرها على الرجال والنساء فى مختلف نواحى الحياة:

والحقيقة الاولى فى هذا الشأن ان الغيرة لا تعترف بالاشخاص ولا بالاوضاع فهى قد تسعى بدبيبها بين رجال الدين مثلا ، كما لمس كاتب هذه السطور بوصفه واحدا منهم .. فلقد يعين قس فى كنيسة ظلت اعواما طوالا فى غفلة عن الدين ، فاذا به يوقظ رواد هذه الكنيسة وأهالى الوسط المحيط بها ، بأحاديث لها دوى الرعد ووميض البرق .. أحاديث تنفذ الى اعماق القوم لأنها تعالج الخطايا الكامنة فى نفوسهم ، والذنوب التى كانوا يقارفونها عن جهل وعدم فطنة .. فسرعان ما يقبل على الكنيسة افواج من اتباعها وابناء الأحياء المجاورة ، مما يثير غيظ قساوسة الكنائس الاخرى ، ويذكى حقد

المرائين الذين يتظاهرون بالتقوى ! ‥ والذين يتأملون التاريخ ، يرون ان المسيح لم يصلب لانه استنكر خطايا العقائد الاخرى ، وانما لان الغيرة دبت فى قلوب رجال الدين فى القدس اذ رأوه يجمع حوله اولئك الذين كانوا ينصرفون عن الانصات اليهم !

هذا أثر من آثار الغيرة ، وفى نفوس رجال الدين ‥ أفعجيب بعد ذلك ان تغار المرأة من المرأة ؟‥ ان الغيرة نوع من الجنون ، وكم رأيناها تحفر القبور للضحايا فى كل وطن ‥ غير ان هؤلاء الضحايا كانوا لا يلبثون ان يهبوا من سباتهم ليبدأوا حياة جديدة ‥ حياة الخلد لذكراهم ‥ وبذلك تجازى الغيرة نفسها وتعاقب مقترفيها !

الغيرة داء فى البشر جميعا !

◆ **وهكذا** قد يغار أتقى الناس وهم يظنون انهم عاكفون على عبادة الله‥ بل انهم يخالون ان الشخص الذى يغارون منه – دون ان يفطنوا – هو الذى يغار منهم ! ‥ فيحفرون له دون ان يدروا انهم الواقعون فى الحفرة‥ وما أسهل ما يتسنى شفاء هذه العاطفة الحقود ، بالانصراف عن افكار السوء والظن فى الناس ، فان الحب جدير بأن يهزم الغيرة ‥ والحسد والبغضاء لا تورث الا جفاء القلوب ، وهى عاقبة سيئة فى الحياتين الدنيا والاخرى ، وقد اعتبرها المسيح ذنبا فى حق الله ذاته ، لا سبيل الى غفرانه ، ولا مآل لصاحبه غير الخراب ‥

ورجال السياسة أيضا قد يغارون من أقرانهم ‥ وقد كانت الغيرة تسيطر على الاقدار السياسية لبريطانيا والعالم بأسره – فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين – دون مراعاة للمصلحة القومية .

ولو ان كل سياسى وضع المصلحة العامة قبل مصلحته الخاصة ، لكان الحب رائد الوسط السياسى كله ‥ ولكن الواقع الذى نلمسه فى الحياة هو ان الهدف المباشر لكل سياسى ينحصر فى السلطان والمنصب . وكم عانى « جلاد ستون » على ايدى فريق ممن كانوا يغارون منه ويحسدونه ‥ ومع ذلك ، فقد ذهبت سيرتهم بددا فى التاريخ وبقى اسمه بين الخالدين !

ان غيرة ذوى النفوس الصغيرة ، والعقول الضيقة ، والنفوس الملتاثة ، لأعظم من كل خطر ، فاحذروا هذا الفريق ‥ !

على ان الغيرة فى حياة المحبين اشد خطرا ‥ انها قد تقف كديدبان مسلح يتمثل فى كل امرأة ترقب حركات زوجها وترصدها عليه ! وفى كل رجل تتناهبه الهواجس كلما زار رجل اخر داره ‥ وما افظع الحياة فى مثل هذه الاحوال !

الغيرة فى المدن ٠٠ أشد منها فى الريف !

والغيرة اشد استعارا فى قلوب النساء اللائى يعشن فى المدن ، منهـا فيمن يعشن فى الريف ٠٠ ولكن هذا لا يعنى ان غيرة ساكنات الريف غير مدمرة ٠٠ وانى اذكر ان صديقا لى من سكان الريف اعتاد ان يتردد على لندن بين الحين والاخر لامور تتعلق بعمله ٠٠ وكثيرا ما ألح على زوجته أن تصحبه لينعم بقربها - وكان صادقا فى حبه لها - ولـــكنها كانت تصر على الرفض ، حتى اذا رحل انتابتها الغيرة وتملكتها الهواجس ! ٠٠ وقد بلغ بها الهوس مرة ان كتبت الى مدير الفندق الذى اعتاد ان ينزل فيه ، فما لبثت ان تلقت الرد التالى : « سيدتى ٠٠ ان زوجك قد شرف فندقنا فكان مثال السيد المهذب الكريم ، وكان وفيا لك طيلة مدة بقائه بين ظهرانينا »

لكن هذا الخطاب كان بمثابة مزلاج اوصد باب حبها فى قلب زوجها الى الابد٠٠ اذ نمى اليه النبأ فامتقع وجهه وانخرط فى البكاء كالطفل ٠٠ ولم يصافح صوته اذنى زوجته بعد ذلك اليوم ! ٠٠ لقد هدمت حياته وعمله ، ولم يدر أحد مصيره بعد ذلك ٠٠ أما زوجته فقد عاشت بقية حياتها فى حسرة وندم، وكأن قوانين الكون والحياة قد انتقمت منها لما اجرمت فى حق زوجها !!

وقد تقع هذه المأساة ذاتها نتيجة دس الوشاة الذين يقيمـــون وشاياتهم على مجرد ظواهر لا أساس لها ، ولكنها تقلب الخير شرا ، والطيب خبيثا ، وتثير الاخطبوط الفظيع ٠٠ اخطبوط الغيرة !

صحيح ان الغيرة تبدو جزءا من نسيج الحب الرقيق ، ولكن من واجب كل محب صادق ان لا يجعلها مقصا يقص هذا النسيج ، اذ لا سبيل بعد ذلك لضم اجزائه او رتق قطوعه من جديد !

الغيرة اذن نوع من الجنون الهدام ٠٠ ومع ذلك ، فان علاجها ســـهل ميسور ٠٠ وانى لأعرف امرأة خبرت هذا العلاج ومهرت فى ممارسته ٠٠ كانت تعرف ان فى حياة زوجها فراغا خفيا مبهما ٠٠ وكان الرجل وفيـا ، مخلصا ، وقف حياته عليها ، ولكنها كانت توقن ان هناك فراغا فى حياته خلف هذا التفانى ٠٠ فراغا روحيا ٠٠ واستطاعت ان تتبين ان ثمة امرأة شغر من اجلها هذا الفراغ ، فسعت حتى تعرفت على هذه المرأة ووطدت أواصر الصداقة معها ٠٠ وكانت النتيجة ان عاشت مع زوجها فى اسمى آفاق السعادة ،بعد ان سدت صديقته الفراغ الروحى الذى عجزت عنه هى ٠٠

وصحيح ان مثل هذا المسلك قد لا ينطوى على حكمة فى بعض الاحيان ، ولكنى - على طول تجربتى كرجل للدين - لم اعرف مرة انه ادى الى ضرر ،

ما دام صادرا عن عاطفة خالصة ونية صـ..ـة ٠٠ ذلك لان حب المرأةواخلاصها يربطان زوجها اليها ، وخير لكل زوجة تخشى ان تكون لزوجها علاقة بامرأة اخرى ان تحب تلك المرأة وتخلص لها الود ، فان هذه الوسيلة الغريبة كفيلة بأن تجذب زوجها اليها بأشد من ذى قبل !

حب « المسيح » لمريم ومرثا

◆ **وهناك** مثال آخر ارجو ان لا يؤول على غير حقيقته ، او يفهم على غير ما نرمى اليه ٠٠ **فلقد احب المسيح امرأتين ، حبا روحيا ٠٠ واذا كانت كتب الدين لم تجزم بأنه احب « مريم المجدلية » ، الا اننا نكاد نلمس لمس اليقين انه احب « مريم » و « مرثا » ٠٠ كانت « مرثا » مثال السـيدة الكاملة ،عنيت بحاجاته وراحته فأحبها ٠٠ ولكن « مريم » بعثت فى نفســه اعمق الآثار الروحية فأحبها ٠٠ وهكذا أحبهما معا ٠٠ ولقد فاضت نفسه اشفاقا على مريم المجدلية التى كانت قد تردت فى حمأة الرذيلة ، ولكنها لم تشغل منــه المكانة التى شغلتها « مرثا » و « مريم »** ٠٠ ويبدو أن « مرثا » استشـعرت شيئا من الغيرة ، اذ هتفت ، كما تهتف نساء اليوم : « هلا رجوت اختى ان تدعك وتأتى لتساعدنى ٠٠ دعها تتولى شيئا من عملى الشاق ٠٠ لماذا أنفرد وحدى بأدائه ؟ » ٠٠ فأنبها المسيح قائلا : « لقد اختارت « مريم » العمل الافضل والابقى » ٠٠ والذى يبدو لنا من صفحات الانجيل ان المسيح كان يجد فى حواره مع اخت مرثا غذاء روحيا ٠٠ ولقد ندمت مـرثا على ما قالت فازدادت لشقيقتها حبا ٠٠ ومع ذلك فما أندر الرجال والنساء الذين يلجأون الى هذا العلاج ، الذى هو بمثابة سحر كفيل بأن يصون كثيرا من الزيجات من خطر الطلاق !

لقد ضرب المسيح لنا مثلا ساميا ، وهدانا الى السلاح الذى نهـزم به ديدبان الغيرة المسلح ، فطوبى لمن حذا حذوه ٠٠ واياكم والغيرة ، والحسد ٠٠ بل فلتحبوا منافسيكم من جماع قلوبكم ٠٠ وليكن حبكم عميقا خالصا !

٣ ـ أقنعة الغش والخداع

◆ **لايستطيع** المرء ان يقدر لاول وهلة كيف يؤدى الخداع الى خـراب البيوت ، وكيف انه يولد الشك والنزاع بين الزوجين ٠٠ فهو فى الواقع باعث رئيسى من بواعث الطلاق ٠ اذ ان المرأة قد لا تلقى بالا الى اعمال زوجها ،ولكن تصرفاته الاجتماعية تجتذب قسطا كبيرا من اهتمامها ٠ والرجل الامين لايحجم فى أى الاوقات عن ان يتخذ من زوجته رفيقة وشريكة يطلعها على كل اموره

الشخصية ، فان لم يفعل ، فهو ولا بد يحرص على الكتمان لفرض ما ٠٠ والكتمان قد يكون فى بعض الاحيان حكمة ، ولكنه فى احيان اخرى يكون مصدرا للنكبات والمصائب ٠٠

وجدير بنا ، قبل ان نبين كيف ان الخداع هو اساس الخراب فى الحياة الزوجية والصداقة ، ان نتعرف اثره فى الحياة العادية والمسائل القومية :

فالرجل المضلل المخادع لا يلقى من يثق فيه ولو التزم الصدق ، اذ انه مخلوق شرير بطبعه ٠٠ ومن الناس من يجدون لذة فى خداع من يلتقون بهم فى الحياة ، ولكنهم لايلبثون ان يتبينوا ان الذهن البشرى مزود بأداة فطرية تهتك اى قناع يسدلونه على شخصياتهم ٠٠ ومن العسير ان تخدع امرءا مرتين ٠ وقد قال الفيلسوف الحكيم سنيكا : « من الاثم ان « تقول » شيئا وتضمر غيره ٠٠ ولكن الانكى ان « تكتب » شيئا تؤمن بعكسه ! » ٠٠ اذ أن هذا يكون خداعا متعمدا ، مقصودا ٠٠

ومن الظواهر الملحوظة ان الفتيات قلما يتعمدن الخداع فى غرامياتهن ، وهن يتوقعن من الشبان الذين يتقربون اليهن ان يكونوا صادقين ، فاذا كشفت احداهن زيفا ، أومضت عيناها ، وداخلها الحذر ٠٠

والواقع ان للرجال استعدادا لان يحذقوا الخداع ويفتنون فى ابتداع اساليبه ، وهم اكثر ميلا الى الظلام منهم الى النور ، فلا يتورع الواحد منهم – فى الغالب – عن ان يقسم بأغلظ الايمان لكى يغرر بالمرأة ٠٠ أفيدهشه بعد ذلك ان يقودها ارتيابها فيه الى الباب الموصد ؟ ٠٠ يخلص من هذا ان الصدق والصراحة لا يستثيران غيرة المرأة ، بل انهما يضاعفان حبها ويزيدانه تعمقا ٠٠

واذا اردنا ان نلمس الفوارق الظاهرة بين الخداع والصدق على وجه العموم، فلدينا ثلاثة امثلة بارزة للامانة الحقة : فنحن ننظر للمسيح من وراء قداسته، ولكنا لو تأملناه « كانسان » عادى من مواليد (الناصرة) ، لرأينا ان ابرز صفاته كانت امانته الخالصة ٠٠ فهو لم يقل كذبا ، ولم يلفظ برياء ، ولم يفه بزيف ٠٠

مثل من حياة « محمد »

ومحمد – النبى العربى – مثال آخر ٠٠ ذلك الرجل الذى برز من الصحراء ليقدم الينا القرآن الذى تترك كل كلمة من كلماته اثرا لا يمحى فى قلب كل صادق مخلص ، وتشعر كل ذى عقل نقى طاهر بانها صادرة عن صدق ويقين ٠٠ صدق ويقين الرجل الذى لم يغره بريق الدنيا ، لأنه آمن بالله الخالد وباليوم الآخر ٠٠ وما كان محمد ليجذب أو يرائى وهو الذى تفتحت عيناه على الطبيعة تحيط به ، بكل ما فيها من صراحة وجلاء ٠٠

محمد هذا أحبته زوجته بكل ما فيها من عاطفة ، وكانت تلقبه « الأمين » .. وفي وسعنا ان نقسم غير حانثين على صدقها .. والواقع ان الرجل يزداد سموا وعظمة فى الحيـــاة بازدياد امانته وصدقه .. وليس فى وسع العظم بفطرته وطبيعته ان يكون خادعا مضللا .. وهو قد يخطىء ولكنه لايصدر فى ذلك عن غش وسوء نية ، اذ انه يرعى الله ويخافه فى السر والعلن ،ويخشى السوء رغبة فى نعيم الآخرة ..ولقد عرفت خديجة كل هذا فى محمد ، وآمنت بصدق عاطفته ففتحت له صدرها ، وكانت أول من صارحه محمد بأنه تلقى الرسالة ، كما كانت أول من آمن بهذه الرسالة .. ولقد تزوج من سواها فلم تتبرم ، ولم تشك أيا من الزوجات الأخريات ، لأنها كانت مطمئنـــة الى مكانتها لديه .. ولأنها كانت توقن من انه أمين صادق ، فلم تداخلها الغيرة ، بل وثقت فيه .. وما اجمل الصورة التى تمثل علاقتهما معا ..

ولنا كل الحق فى ان نؤمن بصدق محمد والمسيح ، فان رسالتيهما لا تزالان حتى يومنا هذا غذاء لارواح مئات الملايين من اتباعهما ..

الامانة والشهامة عند « كرومويل »

◆ وفى التاريخ الحديث مثال ثالث للأمانة والصدق .. ذلك هـــو « كرومويل » الذى عانى الكثير فى صراعه ، ولكنه انتصر فى النهاية .. وقد يكون من العجيب ان نتخذ من كرومويل مثالا ونحن نتحدث عن الصـــدق والخداع فى الحياة الزوجية ، ولكن وقائع حياة كرومويل تعرض لنا صـــورا رائعة لامانة الرجولة وشهامتها .. وكم من عظماء فشلوا لزيفهم وخداعهم مثل نابليون الذى تفتحت امامه الابواب ، وسارت الدنيا فى ركابه ، الى ان عمد الى التضليل فى سياسته ، وخان جوزفين ومكر بها فى حياته الخاصة ، فلم يلبث ان وجد نفسه وحيدا ، يعيش على حبه لنفسه !

وأولئك القوم من صغار النفوس الذين يتظاهرون بغـــير ما يبطنون ، ويحذقون أحابيل الدبلوماسية فيراؤون ويكذبون .. لا يخلصون لأية قضية لانهم جبناء لا يجسرون على مواجهة الصعاب وتذليلها ، بل يفرون منها حفظا لسمعتهم ولحياتهم ..

ولكن اوليفر كرومويل لم يكن من هذا الصنف .. فقد صمد فى ســـبيل القضية التى آمن بها من اعماق قلبه ، واقسم ان يعمل من اجلها حتى الرمق الاخير .. ولقد قاسى صنوف العذاب ، ككل رجل صادق يفضل العذاب على الجبن .. فان اساس النبل ان يكون الرجل مخلصا لوعده ، وفيا بكلمته.. ورجل هذا شأنه جدير بان يعتمد عليه ..



كرومويل

واذا كان جزاء الخيانة فى أى جيش هو الاعدام ، لانها أقصى درجات الخداع والنفاق ، فما أجدر أن يطبق هدا الجزاء على حيانة الرابطة الزوجيـة ٠٠ فان نسيج المجتمع يتفكك فى أيدى الحونة المخادعين ، ولا يبقى الا اذا أمسك بدفة المجتمع رجل حازم قوى ٠٠ فكروموبل لا يزال موضع لوم لاحراقه كنيسـة « دروجيدا » ، ولكنا اذا فحصنا هذا العمل على ضوء الحقائق مجتمعة ، رأينا خلال ألسنة اللهب التى التهمت الكنيسة، حب كروموبل للصدق ومقته للكدب ٠٠ أفلم تكن ثورته ضد ملك مضلل اعتاد الكذب ؟ ٠٠ لذلك كان على حق اذ غضب حين اطلع على الخطاب الدى أرسله اليه أولو الامر فى « دروجيدا » ، وعمدوا - فى أسلوب يعطر أدبا - الى المراوغة وتجاهل النقـاط التى كانت لها أهمية حقيقية فى النضال ٠٠وكأننـا بذلك المحارب الذى كان يجاهد فى سبيل الصدق السياسى ، قد وقف يقول والنيران تلتهم الكنيسة : « اذا كنتم قد ابيتم ان تجيبونى فى صدق وامانة ، وآثرتم ان تستـروا الموضوع الاساسى خلف حجج سفسطية ومراوغات فارغة ، فاصلوا هده النار كعربون لما سوف تلقونه فى السعير ! » ٠٠ وهكذا ، كل تضليل ونفـاق وزيف مآله الى الدمار ، فلقد قضت قوانين الطبيعة بأن لا فوز الا للحب ٠٠ والحب الصادق ، الصافى ، النقى !

كن وفيا لزوجتك

◆ وهذه الامثلة التاريخية الثلاثة ، تنطبق فى روحها على كل البيوت فى دنيانا ، وعلى نفوس أولئك الذين يقسمون على الوفاء للرابطة الزوجية ٠٠ **فليس لرجل ان يتزوج من امرأة ثم ينسى ما يتطلبه ارتباطه بها من التزامات فيشرع - اذا ما تداعت اخلاقه - فى التضليل والنفاق » فهو اذا ما تاخـر عن موعد عودته الى داره ، زعم انه قد تورط فى عمل هام شـغله ٠٠ وان ارسل خطابا لمعشوقته ادعى ان الرسالة لصديق حميم قديم ، وانها تتناول مسألة ليس فى حل من ان يبوح بسرها لاحد ، ولا لزوجته ! ٠٠ واذا برح**

به الشوق للحبيبة تظاهر بانه مرهق مكدود ، فى حاجة الى ايام يقضيها على شاطىء البحر التماسا للراحة والاستجمام .. بل وأوغل فى الرياء فزعم انه كان يتمنى ان يسعد بصحبة زوجته ، ولكنه ـ لعلة يبتدعها ـ يرجوها ان تسمح له بالرحيل وحده !

وهكذا ينساق فى التضليل والنفاق حتى تكشف تصرفاته حقيقة امره .. وماذلك كله الا لتجرده من الصدق والامانة ..

العذاب الزوجى .. خير من الخيانة

ان الحب والاخلاص ليسا من المستحيلات ، ومن الممكن ان ينموا يوما بعد يوم ، لو شاء المرء أن يلتزمهما .. افتراه يحسب التزامهما تضحية كبرى يضن بها على المرأة التى كرست من اجله حياتها ؟ .. ان الحب فى حد ذاته ، امر يمكن تنميته كما ينمى الرياضى عضلاته بالتدريب المتواصل .. فهو موجود دائما ، ولكنه فى حاجة الى صقل ومران ، والا صدأ بالاعمال ، وفتر بالنسيان .. اذ قد يشغل الرجل عن صحبة زوجته ، ويظل فى تغاضيه يوما بعد يوم ، وشهرا بعد شهر ، ثم عاما بعد عام ، حتى يحس كل منهما بحاجة الى شىء ينقصه ولا يدرى كنهه ، فيروح يفتش عنه خارج محيط الاسرة .. وهكذا يخرب البيت !

افتريد ان تحتفظ الى الابد بحب زوجتك ؟

هبها قسطا من فكرك ، واغمرها دائما بعطفك ، وكن امينا صادقا معها فى كل الاحوال ! .. لا تفعل شيئا تخشى ان تعرفه هى .. مزق كل قناع أو حجاب للخداع والتضليل ، فلا تستر الحقيقة عن عينيك ، ولسانك ، وقلبك .. ان خديجة لم تفكر فى ان تهجر محمدا عندما تزوج من غيرها .. وما فكرت « مرثا » فى أن تترك المسيح حين فضل عليها مريم .. ولو أن تشارلس الاول ـ ملك انجلترا ـ عزف عن الكذب وبر بأيمانه ، ولو ان رجال كنيسة « دروجيدا » لم يؤثروا المراوغة على الصراحة ، ما احرق كرومويل تلك الكنيسة !

لسنا ننكر أن هناك ظروفا خفية يتعذر معها على أى رجل ان يفى للحياة الزوجية ، ولكن العذاب الدائم خير من النفاق والخداع .. وان التاريخ لملىء بالادلة على أن التضحية بالنفس خير وأبقى ثوابا من التضحية بالغير !

فأياك والجحود ، والنفاق ، والخيانة .. هذا هو القانون الذى تحفره يد علوية على جبينى كل رجل وامرأة يرتضيان رباط الزوجية المقدس !

٤ ـ التهوس فى الحب

◆ **للحب** أخطاره الخفية ككل شىء فى الوجود ٠٠

والرجل لا يتعرض لخطر يذكر حين يكشف عن حبه لامرأة، لان الخالق صاغ طبيعة المرأة بحيث تشعر بفراغ كبير فى حياتها ، يجعلهـــا ترحب بتقبل الحب من الرجل ، والا أحست بأنها وحيدة ، محرومة ، منبوذة ٠٠ وقد تحاول نسيان هذا الجوع العاطفى بالانهماك فى بعض الاعمال ، غير أن شبح الحرمان يمضى يلاحقها ٠٠

أما بالنسبة للرجل فلا جوع ولا حرمان ، لانه جبل على أن يبحث عن المرأة ، ويسعى وراءها حتى يفوز بها ٠٠

وقد تتسبب المرأة فى أن يفقد الرجل توازنه العاطفى اذا هى تهوست فى الحب أو أسرفت فى اظهار عاطفتها ، الامر الذى يناقض طبيعة الرجل التى لا ترتوى الا اذا شعر بأنه هو الذى يسعى وراءها ، وانه لا بد أن يكافح قبل أن يظفر بها !٠٠ وقد فازت زوجة « برنارد شو » به لانها صدته فى البداية وأقصته، مما زاده كلفا بها فظل شغوفا بها طوال حياتها ، وفيا لذكراها بعد مماتها ٠٠ وعلى العكس من ذلك ، رأينا شبانا كثيرين يملون ويتمردون لفرط تهوس النساء فى حبهم ٠٠

وقد كان من حظى أن أعقد مئات الزيجات بين شبان أبرياء وفتيات طاهرات ٠٠ ولكننى لم أعقد قرانا قادنى الى نوبة من الضحك الجنونى الا مرة واحدة : كنت أجلس فى حديقتى الصغيرة عند مغرب ذات يوم ، واذا بشاب فى نحو العشرين ، وفتاة تصغره قليلا ، يقتربان منى ٠٠ وحكمت من منظرهما أن الشاب مزارع ، والفتاة ريفيـــة ٠٠ وكانا مفرطى الخجل ، فشرعت الفتاة تتمتم ، ثم أشاحت بوجهها فى استحياء ، بينما ظل الشاب واجما ، عابسا ٠٠

وأدركت سر زيارتهما، فقلت مرحبا : « اننى لأحدس السبب الذى دعاكما لزيارتى ٠٠ »

فأرسلت الفتاة ضحكة خجلى ، بينما استجمع الشاب جرأته وقال : « لقد اعتزمنا الزواج ، فهل تعقد خطبتنا ؟ »

قلت : « بلا شك ، اذا كنتما قد استكملتما كل الاجراءات »

فهتفت الفتاة : « لقد استكملناها ، اذ عنيت بأن أطلعه على كل ما ينبغى اتباعه من اجراءات ٠٠ »

وعقدت خطبتهما ٠٠ وحان يوم القران ، وكم كانت دهشتى حين دخلت حجرتى فى الكنيسة قبل موعد القران بربع ساعة ، فألفيت الفتاة قد وصلت مبكرة ٠٠ وكانت بالغة الانفعال ، تروح وتغدو فى قلق ، وتنظر خلال ثقب الباب من آن الى آخر تتفحص وجوه الداخلين ، وهى تهتف كل لحظات : « أواه ٠٠ أين هو ؟٠٠ آمل أن يجىء ، فاننى أحبه ! »

فأجبتها وأنا أغالب الضحك : « انه قادم ولا ريب ٠٠ وعليك أن تصبرى فقد جئت قبل الموعد المتفق عليه ! »

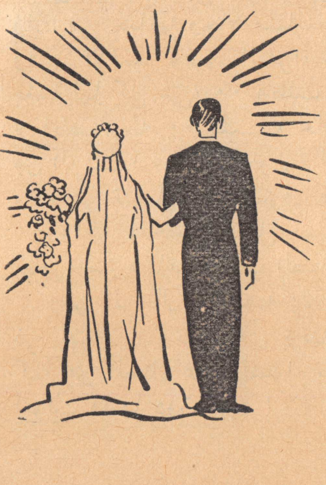
وأوجست خيفة من انفعالها وقلقها ٠٠ وبالفعل أقبل أحدهم فى تلك اللحظة يهمس لى بأن « العريس » يقف عند الباب مترددا فى اتمام الزواج ، اذ يقول ان العروس تضجره بتهافتها عليه !٠٠ فكلفته بأن يقول له ان لهفتها الزائدة انما هى مظهر لانفعالها من فرط حبها اياه ، فكلنا اذا أسرفنا فى الحب غدونا كالمحمومين ! »

وشرعنا يومئذ فى مراسم الزواج ، فكانت الفتاة تجيب على أسئلتى بالايجاب قبل أن أتم السؤال ، على هذه الصورة المضحكة (وقد أثبت اجاباتها التى تخللت أسئلتى بين أقواس) :

ـ هل تقبلين هذا الرجل (« أجل ») زوجا لك وقرينا ؟ (« أجل » ـ مرة أخرى بصوت جهورى !)

وهكذا مضت تقاطعنى باجاباتها متعجلة ، وقد ارتسمت ابتسامات الرثاء والسخرية على شفاه الحضور ، لاندفاعها المخجل وتلهفها الذى لا يتفق مع خفر العذارى ٠٠ وشد ما كان الموقف محرجا ، اذ خشيت أن يغلق تهافت الفتاة باب الحب فى قلب الشاب ، سيما وأنه ظل عابسا مقطب الجبين ، بادى التبرم ! ٠٠ وعندما هممت بأن أوجه اليه الاسئلة التقليدية امتقع وجهه ، ووقف يحدجنى بنظرات جامدة ٠٠ توقعت معها أن يجيب بالرفض ! وساد الكنيسة صمت ممض ـ ولا أظننى أنسى ما حييت منظر الفتاة خلال تلك اللحظات ـ وأخيرا ملت على الفتى وهمست له كى أنقذ الموقف : « انك لا تفهمها ٠٠ انها طيبة ، تحبك ، وستكون لك خير زوجة » ٠٠ فأجاب آخر الامر على الاسئلة بلهجة من يريد أن يقول : « فليكن ٠٠ والله فى عونى ! »

وأقبل العروسان الى حجرتى عقب القران ، ووجه الشاب مربد كالح ٠٠ فقالت الفتاة وقد استردت هدوءها وفتنتها :



ـ هلا صفحت عنى يا أبت ٠٠ وأنت يا جون ٠٠ لقد كنت فى غاية الانفعال !

فأجبتها : « لا بأس ، لقد أكدت لك أنه سيكون من نصيبك ٠٠ ولعلك يا جون قد تبينت الآن حقيقتها ٠٠ انك لن تندم قط على زواجك منها ! » ٠٠ فقال وهو يطوق عنقها ويقبلها « الآن عدت الى حالتك الطبيعية ! »

وانصرفا أسعد ما يكونان !٠٠ وهكذا انتهى الامر على خير ، وان كنت لم أر التهوس فى الحب يوشك أن يوصد باب العاطفة كما رأيته فى ذاك اليوم !

التهافت على المحبوب ضار بصاحبه ٠٠ ولكن

◆ **سيقول** كثير من القراء ان تلك الفتاة كانت مخبولة ، ولكنهم يخطئون الحكم ، فهى فى الواقع كانت مثالا للانفعال العاطفى الذى يطغى على كل شىء ٠٠ مثالا للتطرف الشاذ فى الحب ٠٠ ولكنه مثال مشوق لمن يتأمل أسبابه المعنوية والروحية ٠٠ فكل ما في الامر ان الفتاة أخفقت فى كبح عاطفتها !

وصحيح ان مثل هذا التهور قد يفضى الى عاقبة وخيمة ، ولكننى أعتقد أن نسبة الطلاق خليقة بأن تهبط لو أن كل امرأة تريثت - قبل اختيار زوجها - حتى يتفجر فى أعماقها ما كان لدى تلك الفتاة من عاطفة سامية ، خلت من كل زيف واصطناع، لانها انبثقت من ينابيع الطبيعة ذاتها ٠٠ ألم يكن « جون » الرجل الذى أعشى بصرها عن أن ترى رجال العالم ؟٠٠ هذه احدى النتائج التى تترتب على الحب ٠٠ فمن المحتمل أن الفتاة رأت فى حياتها رجالا متباينين ، منهم الراقون ومنهم الحثالة ، وفيهم الاغنياء وفيهم الفقراء ، ولكنها اصطفت « جون » دونهم ، فغدا لها كل شىء ٠٠ وظلت تحلم بيوم يضمها واياه برباط لا انفصام له ٠٠ فلما حان ذلك اليوم ، ولم يبق الا القليل من الوقت ثم يغدو « جون » لها ، تدافع الدم الى وجهها ورأسها، واذا هى تنفعل ، ثم تسرف فى الانفعال حتى تضحك الحاضرين ٠٠ ولكن المحقق المتأمل قمين بأن يرى فى حب هذه الفتاة ، مظهرا من مظاهر الحب الصادق العميق !

ومن الرجال من يتملكهم نحو النساء حب كحب هذه الفتاة فى تهوره ، وتهوسه ، وتهافته ٠٠ ولهذا خطره عند الرجال كما هو الحال عند النساء ، فكم من امرأة أغلق تهافت رجلها أبواب قلبها دون حبه !

ولكن٠٠ اذا أحبتك امرأة ، فلا تفر منها لمجرد أن حبها يندفع حولك كالامواج الصاخبة ، اذ أن الظروف والتجارب والمحن لن تلبث أن تهدىء من عنف عاطفتها ٠٠ وعالج الامر بحذر ، فهذا التهوس مظهر لنعمة آلهية لا تقدر بثمن ٠٠ مظهر لحب قوى لن يفتر ، بل سيبقى ملازما لك فى معركة الحياة ٠٠

وكذلك الحال مع المرأة ٠٠ جدير بها أن لا تصد فورات عاطفة الرجل الذى يحبها ، فلسوف تدرك قيمتها حين تكفهر الدنيا وتتلبد سماء حياتها بالنوائب ٠٠ وحين يتخلى عنهـــا الاصدقاء ، ستجد هذا الرجل صامدا بجوارها ، يخوض معها غمرات الانواء ٠٠

اننى حين أستعرض ذكريات عملى فى منصبى الدينى، لا أجد مرة نبذ فيها رجل أوامرأة الحب الحقيقى، كيفما بدا له وفى أى شذوذ أحاطه ، الا وعانى فى النهـاية مرارة الحسرة ٠٠ ألم تحدثنا الرسالات السماوية بأن الله هو الحب ؟٠٠ فأية عاقبة نتوقعها حين ننبذ الحب أو نصده ؟

(اقرأ الفصول الاخيرة من هذا الكتاب فى كتابى القادم)

كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

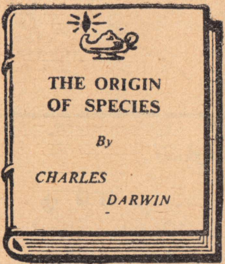
عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ،هذه الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو
« دون كيشوت » : سرفانتس
« الالياذة » : هوميروس
« اميل » : جان جاك روسو
« حى بن يقظان » : ابن طفيل
«روبنسن كروزو» : دانييل ديفو
« غرام الاخوين » : (كاتب فرعونى مجهول)
« يوتوبيا » : توماس مور
« الجمهورية » : أفلاطون
« الكوميديا الالهية » : دانتى
« الاوديسة » : هوميروس
« العالم كما يسير » : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »
عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير
رسالة الغفران : المعرى

وفيما يلى أقدم لك التراث العلمى الفخم « أصل الانواع » لتشارلس داروين ، وهو يشرح نظريته فى التطور وأصل الانسان ، التى احدثت أكبر ضجة علمية ما يزال صداها يتردد الى الان ...

وفى الاعداد القادمة تقرأ معى فى هذا الباب مزيدا من الكتب العالمية القديمة



نظرية التطور
(أصل الأنواع)

للعالم الخالد: تشارلس داروين



تشارلس داروين ٠٠ ونظريته

◆ قليلة هى الكتب التى قوبلت من العالم بمثل ما قوبل به كتاب « أصول أنواع الكائنات » الذى عرض فيه تشارلس داروين نظريته عن « الانتخاب الطبيعى » بوصفه الوسيلة التى أدت الى تطور وارتقاء الكائنات العضوية ٠٠ **فقد أثار الكتاب ضجة هائلة ، وهب رجال الكنيسة والدين يهاجمونه ويثيرون ضده حربا شعواء ٠٠ ولكن العلماء ما لبثوا بعد الدرس والاستقصاء أن آزروه ٠٠ ولا تزال النظرية موضع اعتبار حتى اليوم ، وان أدخلت تعديلات على بعض أجزائها ٠٠**

وهكذا قدر لداروين الخلود ٠٠

وفيما يلى قصة حياة داروين ، يتبعها تلخيص مبسط لكتابه ٠٠

أبا عن جد !

◆ **وقبل** أن نتحدث عن حياة تشارلس داروين ، يحسن بنا أن نسرح البصر قليلا فى أسرته ، حيث نبتت أولى بذور نظرية التطور والارتقاء ٠٠ ففى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، عاش فى « ليتشفيلد » بانجلترا طبيب كان يدعى « ارازمس داروين » ، بلغ من شهرته أن دعاه الملك جورج الثالث بنفسه الى الانتقال من بلدته للاقامة فى لندن ٠٠ ولكن الطبيب النطاسى أبى هذا الشرف الملكى — وكانت له اذ ذاك قيمته — ليتشبث بالاقامة فى «ليتشفيلد» ، حيث كان معنيا بحديقة جعل منها حقلا للتجارب ودراسة النباتات ، اذ كان الى جانب الطب يجمع بين التعمق فى دراسة الطبيعة ، ونظم الشعر ، والتحرر فى التفكير ٠٠ **وقد استطاع أن يثير اهتمام علماء عصره حين طلع عليهم برأى قال فيه ان كل نوع من الكائنات خلق منذ البداية على حاله الراهنة دون ما تغير — وهو عكس ما نادى به حفيده بعد ذلك — ومن المفارقات ان « ارازمس » آمن بعد ذلك ، ورغم هذا الرأى ، بتطور الخلائق وارتقائها ٠٠**

ومات « ارازمس » فى سنة ١٨٠٢ ، بعد عام من بدء عالم فرنسى شهير يدعى « لامارك » فى ابراز أولى نتائج دراساته عن الارتقاء والتطور ٠٠ ولقد شرح « لامارك » فى كتابين أصدرهما فى سنتى ١٨٠٩ و ١٨١٥ ، كيف يتم



داروين

التطور بتأثير البيئة فى حالة النبات ، وبتوارث الصفات المكتسبة ، فى حالة الحيوان ٠٠ ولكنه لم يستطع أن يجد من البراهين ما يكفى لاقناع العلماء ٠٠

بيد أن دراسة الحفريات ، والتوزيع الجغرافى للكائنات ، والتجارب التى كشفت عنها تربية الانسان لبعض أنواع الحيوان والنبات ، أكدت تماما أن ثمة تطورا نحو الرقى قد حدث فعلا ٠٠ ثم جاء تشارلس داروين فخرج على الانسان بمبدأ « الانتخاب الطبيعى » ، فاذا هو قانون طبيعى لعملية التطور ، ودليل قوى على وقوعها ، مستمد من المشاهدة والتجربة ٠٠

◆ وكان تشارلس داروين هو الابن الخامس لروبرت ، الذى كان بدوره الابن الثالث لذلك الطبيب العالم الشاعر « ارازمس » !

ولد تشارلس فى « شروزبيرى » فى ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ ٠٠ ومع أن أمه ماتت وهو فى الثامنة من عمره ، الا أن عطف شقيقاته وحنان أبيه ، أتاحا له طفولة سعيدة ، هانئة ٠٠

والتحق « تشارلس » بالقسم الداخلى بمدرسة « شروزبيرى » فى سنة ١٨١٨ ٠٠ **وكانت التربية تسير اذ ذاك على النهج العتيق ، حتى أنه قال ان العلم الحقيقى الذى حصله انما فاز به من بعض الدروس الخصوصية ، ومن التجارب الكيميائية التى كان يجريها مع أخيه فى معمل أقاماه فى ركن من دار الاسرة ٠٠ ولكن أساتذته فى المدرسة كانوا يزدرون الكيمياء ، فكانوا يلومونه على ما يضيع فيها من وقت !**

وكانت هواية تشارلس خارج أوقات الدراسة منصرفة الى جمع الاشياء ، مما نمى فى نفسه الميل الى دراسة التاريخ الطبيعى وطبيعة الكائنات ، اذ كان – كما كتب عن نفسه – يجمع النباتات ويسعى لتعرف أسمائها ٠٠ « وكان الشغف بجمع الاشياء – وهو هواية تفضى بالمرء الى أن يكون عالما يدرس الطبيعيات ، أو فنانا ، أو بخيلا شحيحا – قويا فى تمكنه من نفسى ٠٠ وكان من الجلى أنه غريزة فطرت عليها ، اذ لم يكن هذا الميل لدى أى من اخواتى ولا لدى أخى »

من الطب ٠٠ الى الكنيسة ٠٠ الى العلم !

◆ **وكان من المقرر أن ينهج تشارلس نهج أبيه وجده فيغدو طبيبا ، ومن ثم التحق فى سنة ١٨٢٥ بجامعة أدنبره ٠٠ ولكن الطب لم يستهوه ، بل كان التشريح يثير تقززه ، وبدت له غرفة العمليات ـ فى ذلك العهد الذى لم تكن فيه مواد التخدير الطبية قد اخترعت ـ كما لو كانت غرفة الاهوال !٠٠ ومن ثم قرر أن يهجر الطب وأن يتحول الى الكنيسة ليصير من رجال الدين ، لولا أن أفلح صديق له من علماء الحيوان فى أن يجتذبه الى دراسة التاريخ الطبيعى ٠٠** وهكذا سجل اسمه فى كلية كريست ـ بكمبريدج ـ فى سنة ١٨٢٧ ، ثم دخل الكلية فى العام التالى ، فكان يبذل من الجهد ما يكفى لنجاحه ، ثم يوزع وقته الباقى بين الصيد ، وركوب الخيل ، ولعب الورق ، وارتياد الحفلات ، و ٠٠ جمع الخنافس !٠٠ وفى ذلك قال : « لم يستهونى فى كمبريدج شىء قدر جمع الخنافس ٠٠ وكنت أجمعها لمجرد هواية الجمع لا غير ، اذ اننى لم أكن أشرحها ، وقلما قارنت صفاتها الخارجية بما كتب عنها ٠٠ غير اننى كنت أعنى بتعرف أسماء أنواعها ، على كل حال !٠٠ **وسأذكر دليلا على مدى تحمسى لهذه الهواية : حدث وأنا أفرق اللحاء عن شجرة قديمة ذات يوم ، أن رأيت اثنتين من الخنافس النادرة ، فأمسكت بكل فى احدى يدى ٠٠ ثم رأيت ثالثة ـ من نوع جديد ـ عز على أن أفقدها ، فلم يكن منى الا أن دسست الخنفساء التى كانت فى يدى اليمنى فى ٠٠ فمى !٠٠ ولسوء الحظ ، نفثت سائلا كريها جدا ، كوى لسانى ، فاضطررت الى أن أبصقها ٠٠ فضاعت منى ٠٠ كما ضاعت الخنفساء الثالثة بدورها ! »**

◆ وقرأ داروين أثناء الدراسة فى «كمبريدج» كتابا ألهب شغفه بالتاريخ الطبيعى وبالرحلات لدراسة الطبيعيات ، حتى أنه شرع فى تكوين جماعة لزيارة « تنيريف » ٠٠ وفى تلك الاثناء ، توثقت عرى الصداقة بينه وبين أستاذ علم النبات فى الجامعة ـ وكان يدعى هنسلو ـ حتى أطلق الطلبة على داروين لقب « الرجل الذى يمشى مع هنسلو » ٠٠ وقد كان لهذا العالم فضل توجيه داروين الى حضور دروس فى علم طبقات الارض ـ « الجيولوجيا » ـ ثم فضل تعيينه كعالم للطبيعيات على ظهر السفينة « بيجل » التى كانت موفدة فى بعثة دراسية الى سواحل أمريكا الجنوبية ٠٠ بل انه سعى لاختياره لهذه المهمة دون استشارته ، ثم كتب اليه يقول : « لا تقل شيئا عن شكوكك فى كفاءتك ، وهى شكوك ناشئة عن تواضعك ، ولا تدع مجالا للمخاوف التى تراودك عن أنك لم تؤت المؤهلات اللازمة ، فانى أؤكد لك اننى أراك الشخص الاوحد الذى يبحثون عنه ! »

وأوشك داروين أن يرفض ، لان أباه عارض المشروع ، لولا أن عمه راح يجادلهما حتى انتهى الامر بداروين الى أن رحل فى الصباح المبكر من اليوم التالى الى كمبريدج ، ثم الى لندن ليقابل الكابتن « فيتزروى » قائد الحملة التى كانت موفدة على السفينة - وهو الشخص الذى قدر له فيما بعد أن يكون من أقسى معارضى نظرية «داروين» ، حتى انه لم يكن يكف عن لوم نفسه على انه كان - بطريق غير مباشر - السبب فى ظهور النظرية !

والواقع ان « فيتزروى » أحس بنفور من تشارلس من أول وهلة ، فقد كان من المولعين بالفراسة ، وقد شكا لهنسلو من أن أنف تشارلس لا يوحى بأنه ذو نشاط ودأب يتناسبان وأغراض الرحلة ٠٠ وقد كتب داروين بعد ذلك يقول : « ولكنى اعتقد أنه قد اقتنع فيما بعد بأن أنفى قد كذبه »

والتحق داروين بالبعثة ، كعالم فى الطبيعيات ، بدون مرتب !٠٠ واستغرقت الرحلة خمس سنوات ، زارت خلالها السفينة سواحل ،أمريكا الجنوبية ، ثم جزر جالاباجوس ، وتاهيتى ، وأستراليا ، ونيوزيلندا ، وتسمانيا ، وجزر مالديف ، وموريتيس ، وسانت هيلانه ، واسنشن ، وجزر كيب فيرد ، وأزور ٠٠ وأخيرا عاد داروين وقد اقتنى مجموعة رائعة من الكائنات ، واكتسب دراية عملية بعلمى طبقات الارض والحيوان ٠٠ كما أن دراسته للحفريات التى عثرت عليها البعثة فى أمريكا الجنوبية ، ولحياة الطيور العجيبة النادرة فى جزر جالاباجوس ، وما تبينه من أن جميع الكائنات الحية مرتبط بعضها ببعض ٠٠ كل هذه وجهت تفكيره نحو ٠٠ التطور والرقى

أهم حدث فى حياته !

وقد ذكر داروين أن رحلة « بيجل » كانت أهم حدث فى حياته حتى ذلك الحين ، و « طالما شعرت بأننى مدين لهذه الرحلة بأول مران أو تربية حقيقية لذهنى » ٠٠

وقد عكف عقب عودته على نشر نتائج أبحاثه أثناء الرحلة ، فكان ذلك سببا فى تعيينه فى سنة ١٨٣٨ سكرتيرا للجمعية الجيولوجية ، فظل فى هذا المنصب ثلاث سنوات ٠٠ ثم نزح الى « داون » بمقاطعة «كينت» اذ تبين أن صحته دائمة الاعتلال فى لندن ٠٠ غير أن الاعتلال - لاسيما سوء الهضم - ظل يلازمه طيلة عمره ، وان اعتاد أن يخفى آلامه ٠٠

واعتاد فى « داون » أن يعكف على العمل الى أن تتداعى صحته ، فيتيح لنفسه فترة استجمام ريثما يسترد قواه ، لينغمس بعد ذلك فى العمل ثانية ٠٠ وقد عنى فى السنوات الاولى بوضع مؤلفاته عن الجزر البركانية والحقائق الجيولوجية فى أمريكا الجنوبية ٠٠ وخلال ذلك لم يكف منذ عودته من رحلة السفينة « بيجل » عن التفكير فى نظرية التطور والارتقاء ، حتى اذا

كانت سنة ١٨٤٢ انتهى الى كتابة مسودة لنظرية « الانتخاب الطبيعى » فى خمس وثلاثين صفحة ٠٠ وكان ما خرج به من قراءته لكتاب « مالتس » عن « السكان » فى سنة ١٨٣٨ قد أثر على الاستنتاجات التى خرج بهـــا من مشاهداته ٠٠ غير أنه عكف على المسودة ينقحها ، حتى تضخمت خلال عامين الى مائتين وثلاثين صفحة ٠٠ ومن ذلك الحين أقبل على جمع الادلة واجـراء التجارب على حمام عنى بتربيته ، كما أجرى الابحاث على هياكل عظميـة للطيور ، ودرس طرق انتقال حبوب اللقاح فى النبات ، حتى اذا كانت سنة ١٨٥٦ ، شرع يسجل فى كتاب كل ما خرج به من هذه الجهود ٠٠

وكان التأليف عسيرا ، وبطيئا ، اذ كان قد بدأ يكره الكتابة ، وأخذت صحته تعوقه ٠٠ ولكنه استطاع فى النهاية أن يفرغ من الكتاب ، فكتب فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٥٩ يقول : « يا للسماء !٠٠ ما أمتع الراحة التى تصيب جسدى ورأسى اذ أقصى الموضوع كله عن ذهنى » !٠٠ ومع ذلك فانه لم يكد يدفع بالكتاب الى المطبعة ، حتى بدأت الهواجس تراوده فى أن تكون الاوهام قد تراءت له فى ثوب الحقائق فغررت به !

حملة رجال الدين عليه ٠٠

◆ وظهر كتاب « أصول أنواع الكائنات » فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٩ ، فبيع فى اليوم الاول ١٢٥٠ نسخة منه ٠٠ وأثار الكتاب ضجة هائلة ، وعاصفة من الانتقاد ، اذ انبرى رجال الدين يهاجمونه ٠٠ وسرعان ما نشط العلمـاء يدافعون عنه ٠٠ واحتدمت المعركة عدة سنوات ، حظى خلالها داروين بتأييد كبار علماء زمانه !

وكان أروع الاحداث التى صاحبت الكتاب ، ذلك الاجتماع الذى عقـدته الجمعية البريطانية فى أكسفورد فى أواخر شهر يونيو سنة ١٨٦٠ ٠٠ ولم يحضر داروين هذا الاجتماع ٠٠ وكان أعداء نظريته قد رسموا خطتهم لشـن حملة قوية عليه يتزعمها أسقف اكسفورد ، بينما لم يكن حاضرا للدفاع عن داروين سوى « هوكر » ـ العالم الجيولوجى الكبير ـ و « هكسلى » الذى كان فى طليعة علماء الحيوان والطبيعيات ٠٠ وضاقت قاعة الاجتماع بالحضـور فانتقل الجميع الى مكتبة متحف اكسفورد ٠٠

وافتتح الاسقف المحاضرة فظل يتحدث نصف الساعة مهاجما النظـرية على غير أساس ، ودون أية حجة ٠٠ ثم التفت فى ختام الحملة المغرضـة وساءل هكسلى ـ فى ابتسامة ساخرة ـ عما اذا كان قد انحدر فعلا من سلالة القرود ٠٠ وهل كان ذلك خلال جده أو جدته !٠٠ ثم أعلن ـ وسط تصـفيق رجال الدين والكنيسة ـ أن نظرية داروين تناقض تعاليم التوراة والانجيل !

وانتظر « هكسلى » حتى هدأ الضجيج ثم نهض يتكلم ، فقال انه لم يسمع فيما قيل شيئا يقلل من شأن النظرية من الناحية العلمية ·· وبين كيف أن الاسقف لا يفقه من العلم ما يؤهله لان يدخل فى مثل هذه المناظرة ، ثم التفت للاسقف قائلا : « انك تقول ان التطور انكار للخالق ·· ولكنك تؤكد أن الله هو الذى صاغك ، وانك لتعرف أنك كنت فى بداية خلقك مضغة صغيرة » ·· وهكذا بين أن لا تناقض بين صنع الخالق وبين التطور ·· ثم رد على السخرية التى أبداها الاسقف فى ختام محاضرته عن العلاقة بين القرد و جده ، فقال : « لخير لى أن يكون جدى قردا ، فليس ثمة ما يدعونى الى الخجل من أن أنشأ عن مثل هذا الاصل ·· ولكنى أخجل فعلا من أن أنتمى الى شخص استغل موهبتى الثقافة وذلاقة اللسان أشنع استغلال ليرضى النعرة الكاذبة والجهل »

وضجت القاعة بالتصفيق ·· وأفحم الاسقف ·· وانبعثت من مقاعد رجال الدين زمجرة غاضبة ·· ثم نهض « فيتزروى » - وكان قد أصبح أميرالا - فلوح بالتوراة فى الهواء ، وقال ان كتاب الله هو الحكم الفصل والحجة الراسخة ·· وعندئذ نهض « هوكر » فأجلى بوضوح ما بدا فى كلام الاسقف من تناقض وجهل ، وانتهى الى ان أكد أن الاسقف قد أظهر بحديثه أنه لم يقرأ كتاب داروين قط ، وانه أجهل الناس بمبادىء علم النبات ·· وهكذا قضى على البقية الباقية من آثار لباقة الاسقف فى أذهان الحضور ·· وكسب فريق داروين المعركة ··

أصل الانسان ·· غوريللا !

وبينما كانت العاصفة حول الكتاب فى عنفوانها ، كان داروين منصرفا فى هدوء الى تنقيح نظريته ·· وكان الى جانب ذلك يقضى بعض وقته فى أبحاث يجريها على النباتات ، وقد خرج منها بمعلومات ضمنها كتابين نشرهما فى عامى ١٨٦٢ و ١٨٦٤ ·· **ولكن أول توسع أقدم عليه فى نظريته ظهر فى سنة ١٨٦٨ حين نشر بحثه فى « تباين وتطور الحيوان والنبات بالتدجين » أى بتدخل الانسان فى تربيتها ·· ثم نشر فى سنة ١٨٧١ « تطور الانسان » ، الذى قال فيه بأن الجنس البشرى انحدر من حيوان رباعى ذى جسم مكسو بالشعر ، من سلالة تتصل بسلالات الشمبانزى والاورنجوتان والغوريلا ·· كما توسع فى الوقت نفسه فى نظريته عن « الانتخاب الجنسى » ··**

وفى سنة ١٨٧٢ أضاف الى نظريته فى الارتقاء ، موضوع « شرح مشاعر الانسان والحيوان » ·· ثم تحول فيما بقى من حياته للتأليف فى موضوعات نباتية ·· وكان يعمل دائبا ، وفق جدول وزع فيه وقته بين العمل والراحة ، فى فترات قصيرة ·· وقد أعرب عن زهوه بنجاحه اذ قال انه يحس بأنه أرقى

من الانسان العادى ، « لاننى لاحظت أشياء تتوارى بسهولة عن الملاحظة ، ولكنى عكفت على تأملها بعناية ودقة »

وكانت القصص والروايات هى تسليته الكبرى ، فكان يبارك الروائيين جميعا طالما كانت رواياتهم تنتهى الى خواتم سعيدة ٠٠

وفى ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢ شهدت بلدة « داون » نهاية حياته ، فحزن العلم على العالم الذى غير رأى الانسان فى الدنيا وكائناتها ٠٠

١ ـ كيف استنبط المؤلف النظرية

◆ **عندما** كنت أعمل على سطح الباخرة الدراسية البريطانية « بيجل » كعالم للطبيعيات ، أدهشتنى بعض حقائق تبينتها فى الكائنات العضوية التى تعيش فى أمريكا الجنوبية ، وفى العلاقات الجيولوجية التى تربط سكان هذه القـــارة الحاليين بسكانها فى الماضى ٠٠ فقد بدا أن هذه الحقائق تلقى شيئا من الضوء على أصل أنواع المخلوقات ٠٠ هذا اللغز الذى بلغ من شدة ما يكتنفه من غموض ، أن أطلق عليه أحد كبار فلاسفتنا « لغز الالغاز » !

٠٠ فلما عدت الى انجلترا فى سنة ١٨٣٧ ، خطر لى أن من الممكن الوصول الى شىء ما فى هذه المسألة ، اذا ما تسنى جمع كافة الحقائق التى قد تساعد على اجلاء الغموض ٠٠ فعكفت على دراسة الموضوع فى أناة وصبر ، اذ أيقنت من أن العالم الطبيعى الذى يدرس أصول أنواع الكائنات ، يستطيع أن يصل ـ عن طريق تأمل الصلات المشتركة بين الكائنات العضوية ، والعلاقات بين أطوار تركيبها ونشوئها ، وتوزيعها الجغرافى ، وتسلسلها الجيولوجى ـ الى استنتاج أنها لم تخلق مستقلة بصورتهـــا الراهنة من الاصل ، وانما هى قد تطورت فى أشكالها وأنواعها متسلسلة من أنواع أخرى ٠٠ على أن هذا الاستنتاج ، وان قام

على أسس متينة ، لا يكفى للاقناع ما لم يتسن ايضاح كيفية تطور الانواع التى لا حصر لها من الكائنات التى تعمر الارض ، كى نصل الى ما يثير اعجابنا فيها من كمـــال فى التركيب والتوافق أو التكيف مع الظروف ..

هناك أسباب لتنوع الكائنات غير الجو والطعام

◆ **ويرجع** علماء الطبيعة باستمرار الى الظروف الخارجية ـ مثل الجو والطعام وما اليهما ـ فيعتبرونها السبب الاوحد المحتمل لتنوع الكائنات . وقد يكون هذا صحيحا فى ناحية من النواحى ، ولكن من المجافاة للصواب أن نعزو الى الظروف الخارجية وحدها مثلا تركيب طائر كالطائر المعروف باســم « نقار الخشب » ، بما أوتى من قدمين وذيل ومنقار ولسان ، صيغت كلها باتقان عجيب لكى تمكنه من التقاط ما تحت لحاء الشجر من ديدان !

ولو أخذنا نبات « الدبق » ـ وهو نبات طفيلى متســلق كاللبلاب ـ وتأملنا كيف انه يستمد غذاءه من نوع معين من الاشجار ، وكيف أن له بذورا لا بد من نوع معين من الطيور لنقلها ، وله زهورا منها المذكر ومنها المؤنث ، ولا بد من حشرات معينة لنقل حبوب اللقاح من الاولى الى الثانية .. لو تأملنا هذا النبات الطفيلى مثلا ، لوجدنا أن من غير المعقول أن نعزو تركيبه وصلاته ببعض كائنات عضوية معينـــة ، الى آثار الظروف الخارجية ، أو الى حكم العادة ، أو الى ارادة النبات ذاته ..

لذلك كان من أهم الامور أن نتعمق ـ عن بصيرة وبينة ـ فى استجلاء وسائل تطور الكائنات وتجانسها .. **ولقد لاح لى فى بداية مشاهداتى أن الاقتصار على الدراسة الدقيقة للحيوانات المستأنسة والنباتات الاليفة ، يتيح خير فرصة للتأكد من هذه النظرية المبهمة .. ولم يخب حدسى ، فقد تبينت فى هــذه المسألة ـ وفى جميع المسائل الاخرى التى يحوطها الغموض ـ**

أن معرفتنا بالتحور الذى يصيب هذه الحيوانات والنباتات اذا ما تولينا تربيتها وتنميتها ، تتيح لنا ـ على ما فيها من نقص ـ أفضل وأسلم مفتاح لكشف معمياتها ٠٠

وعلى الرغم من أنه لا يزال ثمة كثير من الابهـــام قائما ، وسيظل قائما الى أمد طـويل ، الا اننى لا أرتاب قط فى أن النظرية التى كانت لدى معظم علماء الطبيعة الى عهـــد قريب ـ والتى كنت أعتنقها أنا الآخر من قبل ـ خاطئة ٠٠ وأعنى بها النظرية القائلة بأن كل نوع من الكائنات خلق على حدة ، مستقلا من البداية ٠٠ **فاننى أعتقد عن اقتناع تام بأن أنواع الكائنات ليست ثابتة أو بمنأى عن التغير ، بل ان الكائنات التى تنتمى الى ما نسميه « فصيلة » واحدة ، ليست سوى سلالات متوارثة من أنواع أخـــرى من الكائنات ذات ميزات وصفات عامة معينة ٠٠ تماما كما أن الانواع المتباينة من كائن معين ، يعترف بها كسلالات لهذا الكائن** ٠٠ ومع ان الانتخاب الطبيعى ـ أى ابراز الطبيعة لبعض الصـــفات وتوفيرها ، والقضاء على صفات أخرى ـ من أهم وسائل التحور والتطور ، الا أنه ليس بالوسيلة الوحيدة على الاطلاق

٢ ـ التباين والانتخاب فى النبات والحيوان

◆ **والكائنات** الحية تتباين بعضهـــا عن بعض بدرجات متفاوتة ٠٠ واذا كانت أوجه التباين غير المتوارثة لا تهمنا فى شىء ، الا أن الاوجه الوراثية فى التركيب ـ سواء منها ما عظمت أهميته بالنسبة لوظائف الاعضاء (أى الاهمية الفسيولوجية) أو ماقلت أهميته ـ تجل عن الحصر سواء فى العدد أو التنوع ٠٠

ولا يكاد أى شخص معنى بتربية الحيوان أو النبات يفطن الى ما لأثر الوراثة من قوة فى هذا الباب ، فهو يعتقد أن الشىء ينجب شبيهه ٠٠ ولم يثر أحد أى ريب حول هذا المبدأ سوى

الكتاب المعنيين بالابحاث النظرية ·· ذلك أنه لو تكرر ظهور تحور معين فى بنيان الجسم ، بحيث يبدو لنا فى الاب والابن معا ، فاننا لا نستطيع أن نقطع بأنه لا يرجع الى سبب واحد اثر على كل من الاب والابن ··

أما اذا حدث بين الافراد المعرضين لظروف واحدة ، أى تغير نادر بسبب اجتماع عدة ظروف على غير العادة ، وظهر هذا التغير على واحد من كل عدة ملايين من الافراد ·· ثم عاد فظهر على ابن هذا الواحد بالذات ، فان الوضع جدير بأن يحملنا على أن نرجع ظهوره فى المرة الثانية الى الوراثة ··

ان كلا منا ولا بد قد سمع عن حالات من البرص ، أو خشونة البشرة ، أو تكاثف الشعر وانتشاره فى الجسد ـ أو ما الى ذلك ـ تظهر على أفراد الاسرة الواحدة ·· واذا كانت التغيرات الغريبة والنادرة فى تركيب الجسم تنتقل حقا بالوراثة ، فمن حقنا أن نسلم بأن التغيرات الاقل غرابة وأكثر شيوعا ، قابلة لان تنتقل بالوراثة أيضا ·· ولعل من الاصح أن ننظر الى توارث كل نوع من الصفات ـ مهما كان ـ على أنه القاعدة ، وأن عدم التوارث هو الشاذ ··

أغلب قوانين الوراثة غير معروفة !

وأغلب القوانين التى تسيطر على الوراثة غير معروفة ، فلا يستطيع أحد أن يقول لماذا تكون صفة معينة فى أفراد متباينين من نوع واحد متوارثة فى بعض الاحيان ، وليست وليدة الوراثة فى أحيان أخرى ·· ولا لماذا يدين الطفل ببعض صفات لجده أو جدته أو لمن يكون قبلهما من الجدود ·· ولا لماذا تنتقل ميزة معينة من أحد الجنسين الى الجنسين معا ·· أو لجنس واحد دون الثانى ·· ولماذا يكون انتقالها فى الحالة الاخيرة قاصرا ـ فى العادة وان لم يكن على الاطلاق ـ على أفراد الجنس الذى تنتقل منه ··

واذا سلمنا بأمر الوراثة ، فان لدينا أدلة مستمدة من تجارب الانسان عن أثر الانتخاب فيها ، فهناك في الواقع أنواع كثيرة من الحيوان والنباتات مهيأة بدرجة عجيبة وبطرق متنوعة لتلائم فائدة الانسان ورغباته ٠٠ فهى مكيفة ومحورة طبقا للبيئة التى تلعب حاجاته ورغباته دورا جوهريا فى تنظيمها ٠٠ **وليس من المعقول أن نفترض أن جميع السلالات الراهنة من الحيوان والنبات قد نشأت فجأة على ما نراها عليه من كمال وفائدة ٠٠ بل ان منها سلالات لم تكن على حالها الراهنة فى أطوار تاريخها ٠٠ وانما السر فيما آلت اليه يرجع الى ما تكتسبه الميزات المنتخبة من قوة اذا ما تجمعت معا ٠٠ أى ان الطبيعة تحدث تغييرات متعاقبة فيوجهها الانسان توجيهات معينة للافادة منها ٠٠ وعلى هذا يمكن القول بأنه أعد لنفسه سلالات نافعة٠٠**

تطور سلالات الماشية والاغنام ٠٠ والازهار

وليس الاثر الكبير الذى يعزى لمبدأ الانتخاب هذا ، بالامر الافتراضى ٠٠ فكم من كبار المعنيين بتربية المواشى والاغنام استطاعوا فى فترات حياتهم أن يحدثوا تغييرات فى سلالات مواشيهم وأغنامهم ٠٠ وليس أدل على ما وصل اليه الانجليز فى هذا الصدد ، من ارتفاع أسعار الحيوانات الطيبة السلالة عندهم ارتفاعا عظيما ، ومن أن هذه الحيوانات تصدر الى جميع أرجاء العالم تقريبا ٠٠

ويتبع المتوفرون على فلاحة البساتين نفس هذه المبادىء ، ومن ثم نلمس مدى التحسن المدهش فى أنواع الزهور الموجودة فى العصر الحاضر اذا ما قورنت برسوم ما كانت عليه هذه الانواع منذ عشرين أو ثلاثين سنة ٠٠

والخلاصة أن دراسة أصول الاجناس الاليفة من الحيوان والنبات ، تنتهى بنا الى النتائج التالية :

لتقلب ظروف الحياة أهمية قصوى فى التطور ، أى تغاير السلالات عن أصولها ٠٠ اذ أنه يؤثر تأثيرا مباشرا على تركيبها، وتأثيرا غير مباشر على نظام التناسل ٠٠ فضلا عما يقع - فى الوقت ذاته - من تغيرات ناتجة عن عوامل مجهولة الاصل ، قد يعزى بعضها - بل قسط كبير منها - الى الاكثار من استخدام بعض أجزاء الجسم ، واهمال استعمال أجزاء أخرى ٠٠

تزاوج الانواع الممتازة يفضى الى تحسين السلالة

ومن ثم نرى ان النتيجة النهائية تبدو شديدة التعقد ٠٠ ويبدو فى بعض الحالات ، أن ما حدث فى الماضى من تزاوج بين أفراد ذات ميزات فذة ، من الكائنات الاصلية ، كان ذا أثر كبير فيما انتهت اليه السلالات التى لدينا فى الوقت الحاضر ٠٠ كما أن ما كان يحدث كلما تكونت عدة سلالات فى بلد ما ، من تهجين بعض أفراد من احداها بأفراد من الاخريات - عن اختيار وانتخاب - كان عاملا ساعد الى درجة كبيرة ، ولا شك ، على تكوين سلالات جديدة ٠٠

على أن من المبالغة أن نعزو الاثر الاكبر - سواء فى الحيوان أو النبات - الى التهجين ٠٠ بل يبدو أن فوق ما ذكرنا من أسباب التطور توجد قوة أكثر نفوذا وتسلطا ، تتمثل فى مفعول الميزات المنتخبة أو المختارة اذا ما تجمعت وتراكمت ، سواء كان ذلك وفقا لخطط علمية هدفها احداث تغيير سريع ، أو تم تجمع تلك الميزات فى بطء وعن غير قصد ، بحيث تكون فى هذه الحال أقوى وأكمل !

٣ - البقاء للاصلح !

◆ **وقبل** ان نطبق هذه المبادىء على الكائنات العضوية - فى الطبيعة - يحسن بنا أن نستوثق مما اذا كانت هذه الكائنات عرضة لأى تطور ٠٠ ذلك لاننا نجد التغير والتطور فى كل مكان ٠٠ والفوارق الفردية عظيمة الاهمية بالنسبة لنا ، لانها كثيرا ما تنتقل بالوراثة ٠٠ ومن ثم فهى تهيىء مادة للانتخاب

الطبيعي ـ أى الميزات التى تعمل الطبيعة على ابرازها مع مرور الاجيال أو اهمالها ـ كى تنشط وتتكاثر بنفس الطريقة التى يعمل بها الانسان على الاكثار من الفوارق الفردية فى انتاج أى نوع من الكائنات الاليفة ٠٠

وفوق هذا ، فان ما نسميه انواعا متباينة من كائنات معينة لا يمكن ان نقطع بأنه من الاصل كان مغايرا للانواع الأصلية ، اى انه خلق من منبته مخالفا لها٠٠

ومن ثم ، فكيف تسنى وجود كل الوان التوافق الرائعة التى نراها فى كل حيوان بين احد اجزاء الجسد والاجزاء الاخرى ، وبين كل جزء وظروف الحياة، وبين كل كائن عضوى والكائنات الاخرى ؟

ان الصراع من أجل الحياة يجعل التغيرات والتطورات النافعة لافراد أحد الانواع ـ مهما كانت ضئيلة ، وأيا كان منشؤها ـ تتجه دائما الى صون هؤلاء الافراد ، ومن ثم فانها تنتقل عادة بالوراثة الى نسلهم فيحظى النسل بفرصة للبقاء أفضل مما كانت لسواه ٠٠ وذلك لانه لا يقوى على البقاء عادة سوى عدد بسيط مما يولد من نسل لأى نوع ٠ ولقد اطلقت على هذا المبدأ ـ القائل بأن الطبيعة تعمل على صيانة اضأل تطور ما دام صالحا ـ اسم « الانتخاب **الطبيعى** » ، رغبة فى تمييزه عن الانتخاب الذى يقوم به الانسان ٠٠ ولكن الاصطلاح الذى أكثر هربرث سبنسر من استعماله ـ وأعنى به « بقاء الاصلح » ـ أدق فى المعنى وأبلغ ٠٠

من هذا نرى ان الانسان يستطيع بالانتخاب ان يحدث نتائج جليلة فعلا ، وان يحور الكائنات العضوية ويكيف اشكالها وفقا لمنافعه وحاجاته ، وذلك عن طريق الاكثار من التغييرات البسيطة ـ النافعة ـ التى تهيؤها له يد الطبيعة ٠ ذلك لان الانتخاب الطبيعى قوة متأهبة باستمرار للعمل ، وهى تفوق جهود الانسان بدرجة لا حصر لها ، اذ تجل عن كل تقدير ٠٠ مثلها فى ذلك مثل النسبة بين ما تبتدعه الطبيعة وما يبتدعه الفن البشرى من مناظر وأشكال مثلا ٠٠

كائنات تعيش من القضاء على سواها !

◆ **وجميع** المخلوقات العضوية عرضة لمنافسة شديدة ، وقد يكون الاعتراف بهذه الحقيقة الشاملة الدائمة ـ حقيقة وجود الصراع من اجل الحياة ـ امرا سهلا ٠٠ ولكن استيعابه واقراره فى الذهن من أعسر الامور ٠٠ ومع ذلك ، فما لم تستقر هذه الحقيقة فى الذهن فيتشبع بها ، فان كل النظام الاقتصادى للطبيعة ، بما يتضمن من توزيع ، وندرة ، ووفرة ، وانقراض ، وتطور ٠٠ كل هذا سيظل مبهما غير واضح على حقيقته ٠٠ ذلك لاننا نرى وجه الطبيعة امامنا مشرقا ، وكثيرا ما يتراءي لنا ان الاطعمة ميسرة لنا بوفرة فياضة ٠٠ ولكنالانرى

ـ او لعلنا ننسى ـ ان الطيور التى تصدح حولنا بالاغاريد ، تكاد لا تعيش الا على الحشرات او الحبوب ، اى انها تعيش من القضاء على حياة سواها ! ٠٠ كما ننسى ان هذه الطيور ، او بيضها ، او اعشاشها ، تروح ضحية طيور اخرى او وحوش مفترسة ٠٠ وكذلك لا نذكر دائما ان الطعام وان توفر بغزارة فى بعض الاوقات ، الا انه لا يكون كذلك فى جميع الفصول ، او فى كل السنوات المتعاقبة ٠٠

و « الصراع من اجل الحياة » تعبير شاع استعماله ، سواء بمعناه الحقيقى أوبمعان مجازية ٠٠غير انه نشأ فى الأصل لوصف الطريقة التى تتكاثر بها الكائنات العضوية جميعا ٠٠ **فان من المحتوم على كل كائن من الكائنات التى تنتج فى فترة حياتها الطبيعية عددا من البيض او الحبوب ، ان يمنى فى مرحلة من عمره ـ وفى فصل من فصول السنة ، أو فى سنوات معينة ـ بالفناء ٠٠ ولولا ذلك لضاقت الارض بنتاجه ، طبقا لقاعدة المتواليات الهندسية (التزايد بمربع الاعداد ، مثل : ٢ ، ٤ ، ١٦ ، ٢٥٦ ، ٦٥٥٣٦ ٠٠ وهكذا)** ٠٠ لذلك كان لابد ـ ما دام الانتاج مستمرا ـ من أن ينشب فى كل حالة صراع من أجل البقاء بين الفرد وفرد اخر من نوعه ، او بينه وبين افراد نوع معين من الكائنات ، او بينه وبين ظروف الحياة ٠٠ ومن ثم نرى انه وان كانت بعض انواع من الكائنات تتكاثر الان بدرجات متفاوتة ، الا ان كل الكائنات ليست ماضية فى التكاثر ، والا لما وسعتها الارض ٠٠ اى ان التكاثر يقتصر فى الوقت الواحد على بعض انواع الكائنات فلا يشملها جميعا ٠٠

الفيل أبطأ الحيوانات تناسلا !

◆ **ولا استثناء** البتة لهذه القاعدة التى تحتم فناء الكائن ـ الذى يتكاثر ـ فى مرحلة من مراحل العمر ٠٠ والا كان فى وسع أى زوجين أن يملآ سطح الارض بنسلهما !٠٠ فنحن نرى أن أبطأ الكائنات انتاجا ـ وهو الانسان ـ قد تضاعف فى خمس وعشرين سنة ، ولو ظل فى تكاثره على هذا المعدل ، لما بقى على سطح الارض موضع لقدم فى أقل من ألف سنة !٠٠ ولقد قدر العالم « لينايوس » أنه اذا اقتصر انتاج أحد النباتات على بذرتين فقط فى السنة ـ وليس فى النباتات ما يقل انتاجه الى هذا الحد ـ ثم اقتصر انتاج كل من النبتتين اللتين تنموان من البذرتين على بذرتين فقط فى العام التالى ، وهكذا ٠٠ فلن ينقضى عشرون عاما ، حتى يبلغ عدد النباتات الناتجة ٠٠ مليونا !

والفيل أبطأ الحيوانات تناسلا ، فهو لا يكاد يبدأ فى الانجاب قبل الثلاثين من عمره ، ويظل ينجب الى سن التسعين ، بمعدل ستة أطفال فى كل مرة ٠٠

ثم أنه يعيش حتى سن المائة • وعلى هذا ، فان عدد ما يكون على قيد الحياة من نسل زوج الفيلة بعد ٧٤٠ أو ٧٥٠ سنة من تناسلهما يصل الى حوالى تسعة عشر مليونا من الفيلة !!

ولا تزال الاسباب التى تكبح جماح الاتجاه الطبيعى لتكاثر كل نوع من الكائنـــات ، محوطة بالابهام • ومع ان البيض والحيوانات الصغيرة أكثر من سواها تعرضا للهلاك ، الا أن هـذا ليس بالسبب الجـوهرى • كذلك يصيب التلف بذور النبات على نطاق واسع •

وقد نجد أن كمية الغذاء التى ينالها كل نوع من الكائنات تحدد أقصى مدى لتكاثره ، ولكن الحصـــول على الغذاء ليس بالعامل الذى يحـدد عدد الانواع فى المتوسط ، وانما العامل الحقيقى هو أن بعضها تكون فرائس للبعض الآخر • كذلك نجد أن الجو عامل هام ، اذ يبدو أن الفصول القارسة البرد أو التى تتخللها سيول قوية ، ذات تأثير كبير على السلالات الصغيرة ، الناشئة •

والعلاقات بين الحيوانات والنباتات جميعا فى الصراع من أجل الوجود ، غاية فى التعقيد وعدم التقيد بقواعد منتظمة • فمع ان المعارك تتداخـل بعضها فى بعض فى تتابع تختلف درجاته ، الا أن القوى المشتركة فيها لا تلبث فى الآجال الطويلة أن تتوازن الى درجة تجعل وجه الطبيعـــة يبقى دون ما تغير ظاهر لفترات طويلة •• مع أن أتفه تغير كفيل بأن يتيح لاحد الكائنـــات العضوية أن ينتصر على الآخر ••

ومع ذلك ، فنحـــن لا نزال فى جهـل يجعلنا نعجب اذ نسمع عن «انقراض» كائن من الكائنات !

٤ ـ الصراع من أجل الحيـاة !

◆ ويبلغ الصراع من أجل الحيـاة أشده بين أفراد النوع الواحد ـ على تباين أشكالها ـ كما يصل التنافس الى أقصاه بين الاشكال المتآلفة التى تشغل مركزا واحدا ـ تقريبا ـ فى النظام الاقتصـادى للطبيعة •• ومـع هذا ، فما أشد جهلنا بالعـلاقات المتبادلة بين جميع الكائنات العضوية • **ومن ثم فيكفينا أن نذكر دائما أن كل كائن عضـوى يكافح ليتكاثر وفق معـادلة هندسية ـ أى بمربعـات عدده لا مضاعفاته ـ وأن عليـه ، فى بعض مراحل عمره وخلال بعض فصـول السنة فى كل جيل أو فى فترات متفاوتة ، أن يكافح من أجل حيـاته وأن يتعرض لنكبات فادحة تنزل به ••**

الكائنات الممتازة هي التي تبقى

◆ **والان ، ما علاقة الصراع من اجل الحياة بالتطور** والتغير ؟ .. اننى أعتقد ان الطبيعة تستطيع أن تطبق مبدأ الانتخاب بمهارة لا تقل عما رأينا الانسان يطبقه بها .. اذ يجب أن لا نغفل ان التغيرات البسيطة والفوارق التى لا حصر لها التى تحدث للكائنات المستأنسة التى يربيها الانسان ، تحدث أيضا للكائنات التى تنشأ فى أحضان الطبيعة .. كما يجب أن لا ننسى قوة تأثير الوراثة .. وان كان نظام التطور والتحور يغدو - فى يد الانسان - أكثر مرونة ..

ثم ان التغير الذى نصادفه فى نتاج الكائنات المستأنسة لا يأتى مباشرة بفعل الانسان ، لان الانسان لا يستطيع ان يخلق التغيرات ولا أن يمنع حدوثها، بل كل ما يستطيعه هو أن يحافظ على ما يحدث منها وان يستكثره .

كذلك يجدر بنا أن نذكر مدى التعقيد الذى يشوب العلاقات المتبادلة بين الكائنات العضوية بعضها وبعض ، وبينها وبين ظروف الحياة الطبيعية .. وكيف ان التغيرات المتباينة التى لا نهاية لها فى تركيب الكائنات تكون ذات نفع لكل كائن تحت ظروف الحياة المتغيرة .. فهل نستبعد ونحن نرى نفع هذه التطورات للانسان ، ان تكون ثمة تطورات أخرى تنفع - بطريقة ما - كل كائن فى معركة الحياة .. وان تحدث هذه التطورات في أجيال عديدة متعاقبة ؟

واذا كان الامر كذلك ، ثم اذا ذكرنا ان عدد ما يولد من الكائنات الحية يزيد بكثير عن عدد ما يظل منها على قيد الحياة ، فهل نرتاب بعد ذلك فى أن أفراد الكائنات التى تحرز أى امتياز على سواها ، تحظى بفرص أفضل تمكنها من البقاء والاكثار من نوعها ؟ .. ومن ناحية أخرى ، قد يجوز لنا أن نثق من ان أى تطور مضر - مهما قل ضرره - لا يلبث ان يتعرض للزوال ..

هذا الاحتفاظ بالفوارق والتغيرات الفردية الصالحة ، وهذا القضاء على الفوارق والتغيرات الضارة ، هو الذى عبرت عنه بـ « الانتخاب الطبيعي » او « بقاء الاصلح » .. وهو تعبير كثيرا ما يساء فهمه ، فان الانتخاب الطبيعى لا يمس فى شىء التحورات التى لا تفيد ولا تضر .. وانما هو يعمل فقط على صيانة التغيرات التى تنشأ وتكون نافعة للكائن تحت ظروف الحياة التى يعيش فيها .. وزيادة فى الايضاح ، أذكر اننى أعنى بالطبيعة التى تجرى الانتخاب « الطبيعى » ، مجموع مفعول ونتائج القوانين الطبيعية ، وأقصد بالقوانين تتابع أحداث معينة فى ظروف معينة ، بشكل يجعلنا نتأكد حين تتوفر هذه الظروف من أنها لابد واقعة ..

الطبيعة لا تستهدف الا مصلحة الكائنات ذاتها

واذا كان الانسان يستطيع أن ينتج – بل انه أنتج – نتائج عظيمة بوسائل الانتخاب التى ينتهجها سواء عن تدبير أو عن غير قصد ، فما بالكم بما تفعله الطبيعة – وهى أقوى من الانسان بما لا يقاس – فى الانتخاب الطبيعى ؟.. ذلك ان الانسان لا يستطيع أن يتصرف الا فى صفات خارجية وظاهرة .. أما الطبيعة فلا تحفل بالمظاهر ، اللهم الا بما يكون منها نافعا للكائن ، وانما هى تؤثر على كل عضو داخلى ، وعلى كل النظام الذى تسير عليه الحياة ..

ثم ان الانسان لا يصدر فيما يختار الا عن مصلحته الخاصة ، أما الطبيعة فلا تنتخب الا لمصلحة الكائن الذى تعمل من أجله .. وهى تنتخب كل صفة تعمل على تقويتها ، بحيث تلائم غرضا معينا ، أما الانسان فيحتفظ بكائنات من أجواء متغايرة فى بلد واحد ، ونادرا ما يستخدم كل صفة منتخبة فيما أريد بها ، فنراه يقدم للحمام ذى المنقار الطويل عين الغذاء الذى يقدمه لذى المنقار القصير من غذاء .. ويعرض الاغنام ذات الوبر الطويل لذات الجو الذى يعرض له ذات الوبر القصير .. وهكذا

كذلك لا يسمح الانسان للذكور القوية بأن تكافح للحصول على الاناث ، فضلا عن انه لا يعدم جميع الحيوانات الشوهاء ، بل انه يحمى ما يملك من نتاج بقدرما يستطيع خلال الفصول المختلفة .. وهو عادة يبدأ عملية الانتخاب باختيار شكل ضخم ، أو بتعديل ظاهر بدرجة تستلفت النظر ، أو بتحسين ذى نفع جلى له ..

أما فى حالة الطبيعة ، فان أتفه التحويرات فى التركيب أو البنيان قد تؤدى الى تغيير التوازن فى الكفاح من أجل الحياة ، فترجح كفة الكائن الذى أصابه التغير وبذلك تضمن له البقاء ..

ثم ما أقصر عمر الانسان اذا قيس بالعصور الجيولوجية التى عملت فيها الطبيعة فى تحوير الكائنات وتطورها !.. أفبعد هذا نرتاب فى أن أثر الطبيعة أقوى وأبقى وأكمل من أثر الانسان ؟!

ان بوسعنا ان نقول ان الانتخاب الطبيعى يتتبع فى كل يوم – بل فى كل ساعة – أتفه التحورات فى جميع أنحاء العالم ، فيبعد منها السىء ، ويحفظ الجيد ويزيده ، فى سكون ودأب ، ما سمحت له الفرص وأينما سنحت ، ساعيا الى تحسين كل كائن عضوى بالنسبة للاحوال العضوية وغير العضوية فى حياته . ونحن لا نرى هذه التطورات البطيئة الا بعد أجيال وعصور .. وحتى حين نستبينها ، يقصر نظرنا عن ادراك ما حدث منها خلال العصور الجيولوجية السحيقة ، فلا نكاد نرى سوى ان أوضاع الحياة وأشكالها تختلف اليوم عما كانت عليه فى الماضى !



وهكذا قد يؤدى الانتخاب الطبيعى الى تعديل تركيب الابن بالنسبة للاب ، والاب بالنسبة للابن ٠٠ ففى الحيوانات الاجتماعية ـ التى تعيش جماعات ـ نراه يكيف تركيب كل فرد لمصلحة المجموع ، اذا كان فى التطور المنتخب نفع للمجموع ٠٠ أما الشىء الذى لا يفعله الانتخاب الطبيعى ، فهو ادخال أى تغيير على تركيب نوع من الكائنات لخير أنواع أخرى ٠ دون أن يتيح له ميزة أو منفعة ٠٠

وعلى ذلك ، فان أى جزء ذى أهمية من جسم الحيوان يمكن أن يتحور بالانتخاب الطبيعى الى اى مدى ٠٠ ومن أمثلة ذلك ما تحور اليه الفكان عند بعض الكائنات ، فنراهما فى بعض الحشرات قد كبرا خصيصا لتمكينها من فتح الشرانق ٠٠ بينما استطالا عند الطيور حتى استحالا الى منقار يستعمله الفرخ لكسر البيضة التى تضمه !

واذا شاءت الطبيعة ان تقتضب منقار حمامة كبيرة لمصلحة الطائر ذاته ، فان التعديل يجرى بطيئا ، وفى الوقت ذاته تجرى أقسى عمليات الانتخاب للفروخ التى فى جوف البيض ، بحيث لا يكون ثمة مفر من أن تهلك الاجنة ذات المناقير الضعيفة ، وبحيث لا يبقى سوى النسل الذى يمتاز البيض الذى يضمه برقة جدرانه ٠٠ وذلك لان قصر المنقار لابد أن يعوض بزيادة قوته ، كما يجب أن يصحبه رقة جدران البيضة ليتسنى للصغير كسرها بمنقاره غير المدبب ٠٠

بقاء جزء من ألف من الكائنات يكفى لاستمرارها !

◆ **وجميع** الكائنات معرضة لكثير من ألوان التلف والدمار العرضية ، دون أن يكون لذلك أثر على بقاء النوع كله ، أو على مجرى الانتخاب الطبيعى ٠٠ مثال ذلك اننا نرى قدرا كبيرا من البيض والحبوب يستهلك سنويا فى الغذاء ، مع أن كثيرا منها كان يحتمل أن ينتج أفرادا ، أفضل استعدادا لمواجهة ظروف الحياة مما تنتج زميلاتها التى قدر لها البقاء ٠٠ ومع انه كان من الممكن

ان تتطور ـ بفضل الانتخاب الطبيعى وحده ـ الى شكل أو حال تقيها من أعدائها ٠٠ أى آكليها !

وكذلك الحال بالنسبة للحيونات أو النباتات الكبيرة النامية ، فان عددا هائلا منها يبيد ويفنى فى كل عام لاسباب عرضية طارئة ، لا يمكن حتى تقليلها أو تخفيفها بادخال بعض تحويرات على تركيب أو بنيان تلك الكائنات ، ولو كانت التحويرات نافعة للانواع التى تنتمى اليها ٠٠

ومع ذلك ، فمهما بلغت ضخامة ما يقضى عليه بالفناء من الكائنات التى تجاوزت الطفولة ٠ فان بقاء جزء من مائة ، بل جزء من ألف منها ، كفيل اذا قدر له تطور ملائم وفى اتجاه نافع بأن يسعى الى الاكثار من نوعه بدرجة كبيرة ٠٠٠

ولا يصعب علينا فى سياق هذه النظرية ان نعلل السر فى استمرار بقاء كائنات ذات تركيب جسدى منحط ٠٠ فليس من المحتوم على عملية الانتخاب الطبيعى ان تتضمن تحسينا يهدف للرقى بالكائن ، وانما هى تعنى بتلك التطورات التى تنشأ وتكون نافعة للكائن فى العلاقات المتشابكة المعقدة التى تعترض حياته ٠٠

ومرور الزمن لا يؤثر فى حد ذاته فى الانتخاب الطبيعى ، فلا هو يخدمه ولا هو يعوقه ٠٠ وأقول هذا لانه كثيرا ما عزى الى اننى أزعم ان الزمن يقوم بالدور الرئيسى فى تطور الانواع ٠٠

٥ ـ الصراع الجنسى

◆ **وأعنى** بالصراع الجنسى ذلك الشكل من أشكال « الانتخاب » الذى لا يقوم على الصراع من أجل الوجود بين الكائن والكائنات العضوية التى من فصائل أخرى ، أو بينه وبين الظروف الخارجية ، وانما يقوم على الصراع بين أفراد النوع الواحد التى من جنس واحد ٠٠ أى بين الذكور وبعضهم البعض، فى سبيل الاستيلاء على الجنس الآخر ، ونعنى به الاناث ٠٠ وتتمثل نتيجة هذا الصراع فى انجاب أفراد قلائل من النوع ، أو قد لا يترتب عليه انجاب على الاطلاق ٠٠

ومن ثم ، فالانتخاب الجنسى ليس فى صعوبة الانتخاب الطبيعى ، **فان الذكور الاوفر قوة ، والاكثر صلاحية للحياة ، هى التى تكون عادة اكثر نسلا ٠٠ على ان الفوز لا يتوقف بدرجة كبيرة ـ فى كثير من الحالات ـ على القوة العامة ، قدر ما يتوقف على اسلحة خاصة يختص بها بعض الذكور ٠٠**

فالظبى الذى يحرم من القرون يكون حظه فى الاكثار من نسله ضعيفا .. وكذلك حال الديك الذى لا يؤتى مهمازا - زائدة شوكية - فى ساقيه .. فالانتخاب الجنسى سعيا وراء تمكين المنتصر فى معركة الوجود من ان يبقى ويتكاثر ، يهبه الجرأة والجناح القوى والساق ذات المهماز .. تماما كما يفعـل هاوى المصارعة بين الديكة حين يهجن ما يملك من أفراد لكى ينتـج ديكة قوية للصراع ..

ولست أدرى الى أى مدى تطبق الطبيعة قوانين الصراع هذه على الانواع المنحطة من الكائنات .. غير اننا سمعنا عن عراك التماسيح والزواحف الذكور من أجل الاناث .. كما شوهدت أسماك « السلمون » وهى تتقـاتل يوما بأكمله لهذا السبب ! .. وكثيرا ماشوهد ذكور بعض الحشرات وهى تتعارك من أجل أنثى معينة تقف تشهد الصراع لتنصرف فى نهايته مع المنتصر !

ولعل أقسى أنواع الصراع هى تلك التى تدور بين الذكور من الحيوانات المزواجة ، أى التى لا يقنع الفرد منها بأنثى واحدة .. وهذه الحيـوانات تجهزها الطبيعة عادة بأسلحة خاصة .. وكذلك نجد الوحوش آكلة لحوم البشر مجهـزة بأسلحة قوية ، وبوسائل للدفاع : كعرف الاسد ، والفـك المعقوف الذى نراه فى أسماك « السلمون » .. الخ

أما الطيور فالتنافس بينها كثيرا ما يكون أميل الى السلم والهدوء..فنجدها تتنافس على اجتذاب الاناث بالتغريد مثلا ، كما فى البـلابل .. أو بالاختيال والزهو وعرض الريش الرائع البهاء ، كما فى الطاووس .. وللانثى فى النهاية ان تختار الذكر الاقدر على اجتذابها !

٦ ـ ارتقاء الانواع

◆ **برغم** كثرة ما نرى فى الحيوانات المستأنسة من أوجه التباين التى نشأت عن اختلاف ظروف الحياة ، فان هـذا التباين غالبا ما يكون محوطا بابهام يحملنـا على أن نعتبره ناشئا عن عوامل ذاتية ..

والتطور يخضع لكثير من القوانين المعقـدة ، المترابطة ، التى تسيطر معا وتعمل فى وقت واحد : على النمو ، والاتصال ، والتحور .. ومنها التى تتعلق بالاكثار من استخدام بعض

أجزاء الجسم ، أو اهمال استخدام البعض الآخر ٠٠ ومنها ما يختص بمفعول الظروف والاحوال المحيطة بالكائن ٠٠

وقد يكون من العسير أن نذكر – على سبيل الجزم – مدى ما أصاب حيواناتنا ونباتاتنا الاليفة من تطور ، ولكن فى وسعنا أن نقول ان التطور الذى حدث كان كبيرا ، وان التحورات يمكن أن تنتقل بالوراثة لمدد طويلة ٠٠ وان أى تغير انتقل بالوراثة أجيالا عديدة ، يظل متوارثا الى ما لا نهاية له من الاجيال ، طالما ظلت ظروف الحياة على حالها ٠٠ غير أن الشواهد تدل على أن التطور الذى حدث مرة لا يكف طويلا عن الحدوث مرة ومرات أخرى ، اذا ما روضنا الكائن على أن يكون أليفا ٠٠ اذ لانزال نرى فى سلالات أقدم الكائنات التى استأنسها الانسان ، تطورات تحدث بين حين وآخر ٠٠

الانسان يساعد الطبيعة على احداث التطور

والقدرة على التطور ليست من صنع الانسان ، وانما كل دوره فيها انه يعرض الكائنات العضوية لظروف جديدة من ظروف الحياة ، فتعمل الطبيعة عملها وتحدث التغير ٠٠ ثم انه ينتخب من بين التغيرات التى تتيحها له الطبيعة ما يلائمه فيعمل على الاكثار منها كيفما شاء ٠٠ ومن ثم يهيىء الحيوان والنبات لمصلحته ومتعته ٠٠ وقد يلجأ فى ذلك الى أساليب مرسومة ، أو يحققه دون أن يفطن ، بأن يعمد مثلا الى مجرد الاحتفاظ بالافراد الاكثر نفعا له ، دون أن تكون فى نفسه أية رغبة فى ادخال تحوير على السلالة ٠٠

ومن المؤكد أنه يستطيع أن يؤثر على نسل احدى الفصائل ، بأن يختار بعض الفوارق الفردية البسيطة التى لا تكاد تتبينها سوى العين المدربة الخبيرة ، والتى تظهر فى الاجيال المتعاقبة ، فينميها ٠٠ وهذا الانتخاب كان الوسيلة التى أمكن بها تنمية أبرز سلالات الكائنات الاليفة وأنفعها ٠٠ ومن الغريب أن كثيرا من السلالات التى عمل الانسان على انتاجها تمتاز الى

حد كبير ببعض صفات السلالات التى نشأت بحكم الطبيعة ، مما يدعم الشكوك فى أن كثيرا منها ليست سوى سـلالات متباينة من أنواع معينة واحدة من الكائنات ٠٠ فليس ثمة ما يمنع القواعد التى سرى مفعولها فى حالة تدخل الانسان ، من أن تسرى أيضا تحت سلطان الطبيعة بنفس القوة ٠٠ وانا لنرى فى بقاء الافراد والاجناس الصالحة ، خـلال الصراع المستمر من أجل البقاء فى الوجود ، مثالا رائعا لقوة الانتخاب ٠٠

الصراع بين أفراد النوع الواحد ، أشد منه بين نوع ونوع

◆ **والصراع** من أجل الوجود ينشأ ـ كما ذكرنا ـ عن تزايد الكائنات وفقا لنظام المتواليات الهندسية ، وهى حقيقة أمكن اثباتها حسابيا ورياضـيا ٠٠ **ومن ثم فان ما يولد من الافراد يفوق بمراحل ما يمكن أن يبقى ، وان أتفه اختلال للتـوازن بين الافراد ، ولو مقدار حبة ، لكفيل بأن يرجح كفة ما يحق له منها أن يعيش ، وأن يقرر أيها قدر له الموت ٠٠ وأى تطور يجب أن ينمو ، وأيا ينبغى أن يتلاشى ٠٠ وأى الاشكال يجب أن يتكاثر ، وأيها يحق عليه أن يفنى ٠٠ الخ**

ولما كان التنافس يشـتد عادة بين أفراد النوع الواحد ـ بعضهم مع بعض ـ لذلك فان الصراع عادة يكون بينهـم مستفحل الشدة ، وكذلك يكون بين الاشكال المتغايرة من النوع الواحد ، وقد تخف حدته قليلا بين الانواع المنحدرة من فصيلة واحدة ٠٠

ومن ناحية أخرى ، يشتد الصراع غالبا بين الكائنات العريقة فى الطبيعة ، ولا يلبث أقل امتياز يصيب بعض الافراد دون منافسيهم ، أو أقل تكيف مع الاحوال الطبيعية للبيئة المحيطة بهم ، أن يقلب التوازن على مر الزمن ٠٠

ولما كان كل بلد قد مر بتقلبات طبيعية عظيمة ، كما يقـول علماء الجيولوجيا ، لذلك فجدير بنا أن نتوقع أن نجد الكائنات

العضوية قد تطورت تحت حكم الطبيعة ، كما تطورت بتدخل الانسان حين استأنسها ·· وكما رأينا ، لا بد للتطور الطبيعى من أن يكون قد تأثر فى اتجاهاته بالانتخاب الطبيعى ·

وكثيرا ما قيل - وان لم تقدم أية براهين مؤكدة - أن التطور الذى يحدث بحكم الطبيعة محدود المقدار جدا ، وان الانسان - وان اقتصر تأثيره على الصفات الخارجية أو السطحية - يستطيع أن يصل فى فترة قصيرة الى نتيجة كبيرة ، وذلك بادخال التغيرات الفردية على ما يربى ويهجن من حيوان ونبات ·· على أن علماء الطبيعة يعترفون بأن الى جانب هذه الفوارق ، توجد فوارق أخرى طبيعية واضحة بدرجة تجعلها جديرة بأن تسجل علميا ··

اختلافات فردية ·· أم نتيجة للتطور ؟

◆ **ولم** يحاول أحد بعد أن يفرق بين الاختلافات الفردية ، وبين تلك الناجمة عن التطور ، ولا بين الكائنات التى تعتبر نتاج التطور ، وتلك التى تعتبر اشكالا للنوع الواحد من الكائنات ·· فما أكثر الكائنات المتغايرة التى توجد فى القارات المتباينة ، أو فى الارجاء المختلفة للقارة الواحدة ، والتي يرجعها بعض العلماء الى أنها أشكال تطورت اليها أنواع معينة من الكائنات ، فى حين يعتبرها علماء آخرون أنواعا مستقلة وان شابهت تلك الانواع الاخرى ··

ونخلص من هذا كله الى التساؤل : اذا كانت الحيوانات والنباتات تتطور - ولو كان تطورها ببطء ونسبة بسيطة - فلماذا اذن لا تصان التطورات أو التحورات ذات النفع لتتجمع وتنمو بوساطة الانتخاب الطبيعي او بقاء الاصلح ؟

واذا كان الانسان يستطيع أن ينتخب من التحورات والتطورات ما ينفعه ، فلماذا نستبعد - تحت ظروف الحياة

المتغيرة المعقدة ـ أن تقع تطورات تصلح لمخلوقات الطبيعة الحية ، وأن تحظى هذه التطورات بالصيانة التى تحفظها وتنقحها وتنميها ؟.. ما الذى يحد تلك القوة التى عملت خلال العصور الطويلة على تنقيح بنيان وتركيب وعادات كل مخلوق بدقة ونظام ، بحيث تستبقى الطيب وتقضى على السىء ؟.. اننى لا أكاد أرى حدا لهذه القوة فى تكييف كل شكل للعلاقات والصلات المعقدة فى الحياة ..

اننى أرى ميادين مكشوفة لابحاث مهمة فى المستقبل .. واذا كان كبار المؤلفين قد قنعوا بالنظرية القائلة بأن كل نوع من الكائنات قد خلق مستقلا على حاله ، الا اننى أرى أن من الاقرب الى الصواب أن نأخذ بما نعلم من قوانين من صنع الخالق توحى بأن تكاثر وفناء سكان العالم قديمهم وحديثهم انما يرجع الى أسباب ثانوية ، كتلك التى تحدد ميلاد وموت الفرد ..

أنواع كثيرة انقرضت !

واننى حين أتأمل جميع الكائنات لا كمخلوقات خاصة ، وانما كسلالات تنحدر من بضع كائنات أصلية عاشت فى أقدم العصور السحيقة ، أشعر بأنها تسمو فى نظرى .. وعلى أضواء الماضى ، نستطيع أن نقول ان ليس بين الانواع مايستطيع أن ينقل شكله دون تغيير أو تحوير الى المستقبل البعيد .. ذلك لان الحالة التى تقسم بمقتضاها جميع الكائنات العضوية، تدل على أن القسط الاكبر من الانواع فى كل أسرة ـ بل جميع الانواع فى كثير من الفصائل ـ لم تخلف سلالات ، وانما انقرضت تماما !.. **وقياسا على هذا نستطيع ان نتنبأ بأن الانواع الواسعة الانتشار ، والتى تنتمى الى الجماعات الاكثر سيادة فى كل طبقة من الكائنات ، هى التي ستسيطر وتسود فى النهاية ، وتنجب الانواع التى لها الغلبة والانتشار ..**

ولما كانت جميع الانواع الحية سلالات منحدرة من كائنات كانت تعيش قبل التاريخ بآجال سحيقة ، ففي وسعنا أن نكون على ثقة من أن الاجيال قد تسلسلت فى تتابع لم تتخلله ثغرة ، أى أنه لم تمر بالارض فترة خلت فيها من الكائنات .. وهذا كفيل بأن يطمئننا الى المستقبل .. ولما كان الانتخاب الطبيعى لايعمل الى خير كل كائن ، فان جميع التحورات الجسدية والتحسينات العقلية ستتجه على مر الزمن قدما فى رقى نحو الكمال ..

قوانين التطور والارتقاء

ومن الطريف أن نتصور ضفة نهر كسيت بكثير من النباتات العديدة الانواع ، وقد انتشرت على أفنانها الطيور المغردة ، وسرت فى أرجائها الحشرات المتباينة ، وزحفت فى تربتها الرطبة الديدان .. وأن نتصور أن هذه الكائنات الكاملة التركيب والبنيان ، يختلف كل منها عن الآخر ، ويعتمد كل منها على الآخر فى حالة معقدة متشابكة .. **ثم نتصور أن هذه كلها من نتاج قوانين تعمل حولنا ، هى : النمو عن طريق التناسل ، والوراثة التى تتحقق بالتناسل ، والتطور نتيجة التأثير المباشر - والتأثير غير المباشر - لظروف الحياة ، ونتيجة الاستعمال وعدم الاستعمال .. ومن القوانين أيضا ان التكاثر بمعدل هائل يؤدى الى الصراع من أجل الحياة ، والى الانتخاب الطبيعى الذى يقود الى تحوير الصفات ، والى فناء وانقراض الانواع الاقل كمالا ..**

وهكذا نرى أن تكاثر الحيوانات الراقية يترتب مباشرة على حرب الطبيعة .. فأى جلال فى هذه الحياة ، بما فيها من قوى عديدة نفثها الخالق فى صور قليلة ، أو فى صورة واحدة ، ثم اذا بها تنتج صورا وأشكالا رائعة لا حصر لها ولا نهاية ، بينما تمضى الارض فى دورانها وتطورها وتركزها وفقا لقاعدة ثابتة هي قانون الجاذبية !

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بمكتب تفتيش مشروعات رى قسم الشرق بالزقازيق لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٤ عن عملية تعديل وتوسيع ترعة الصافورية من كيلو ٢٧٠ر٤ الى كيلو ٢٤٥ر١٤ وانشاء جنابيات لها . وتطلب المواصفات من مكتب التفتيش المذكور على ورقة تمغة فئة خمسون مليما نظير توريد مبلغ ٧٥٠ مليما باليد أو ٩٠٠ مليما بالبريد . ويمكن الاطلاع على الرسومات بمكتب التفتيش المذكور وسوف لا يلتفت للعطاء الغير مصحوب بتأمين مؤقت كامل .

٧٢٩٦

مجلس مديرية بنى سويف

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الاثنين ١٩٥٤/٤/١٢ عن توريد أنوال نسيج ميكانيكية لمؤسسة البنين . ويمكن الحصول على الشروط نظير خمسين مليما بخلاف ثلاثين مليما أجرة البريد . وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة خمسين مليما وكل عطاء غير مصحوب بالتأمين المؤقت بواقع ٢٠/٠ من مجموع قيمة العطاء لا يلتفت اليه .

وترسل الطلبات والعطاءات برسم السيد رئيس مجلس مديرية بنى سويف .

٢٧٤٠

اعلان

تقبل عطاءات بمصلحة الضمان الاجتماعى لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم الخميس الموافق ١٩٥٤/٤/١٥ عن مزايدة استغلال بوفيه الدور الرابع بمبنى المجمع الحكومى بميدان الحرية بمصر لمدة ١٤ شهرا تبتدىء من أول مايو ١٩٥٤ حتى آخر يونيه ١٩٥٥

وتطلب الشروط من ادارة مخازن المصلحة بالدور الثالث بالمجمع الحكومى بميدان الحرية بمصر على طلب تمغة فئة ٥٠ مليم نظير ثمن قدره ٢٥٠ مليم خلاف ٣٠ مليم أجرة البريد .

٧٢٢٥

وزارة الصحة العمومية

مستشفى الامراض التناسلية بالقاهرة

تقبل عطاءات بمكتب السيد مدير مستشفى الامراض التناسلية والجلدية بشارع قدرى باشا رقم ٢٢ بالسيدة زينب بالقاهرة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١٩٥٤/٤/٢٤ لتوريد الاغذية اللازمة للمستشفى لعام ١٩٥٥/٥٤ وتطلب القوائم من المستشفى على ورقة دمغة فئة خمسين مليما وثمن القائمة ١٥٠ مليما يضاف الى ذلك ٣٠ مليما أجرة البريد .

٧٢٩١

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزي القارىء ..

في هذا الباب قرات معي في الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

لوكريشيا بورجيا
« تيبريوس » قيصر روما
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
فضيحة «كارولين» ملكة انجلترا
الحب أقوى من الموت !
امراة وملك (مدام دى مانتنون)
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية في روسيا
ملكة الغواية: بولين بونابرت
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا

واليوم أقدم اليك فيما يلى هذه القصة الواقعية «لقلب» الملكة اليزابيث تيودور ، وما تواتر عليه من حب ونزق ونزوات شابت سمعتها وأطلقت الالسنة تنهش سيرتها ، برغم ما قدمت لوطنها من خدمات جليلة طيلة مدة حكمها ..

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله المزيد من قصص التاريخ الشائقة ومآسيه الكبرى ..



غرام الأميرة

القصة الحقيقية لغراميات "الملكة" إليزابث تيودور

للكاتبة المؤرخة مرجريت إروين

القصة الحقيقية ..

◆ شهدت القاهرة فى الشهر المنصرم فيلما سينمائيا يصور صفحة من غراميات الملكة اليزابيث تيودور (ملكة انجلترا فى النصف الثانى من القرن السادس عشر) ، قبل أن يؤول اليها العرش .. ولعل سؤالا طاف بذهن كل من شاهد هذا الفيلم : ما هو نصيب حوادثه من الواقع وما نصيبها من الخيال ؟ .. وما هى القصة الحقيقية لمغامرات «اليزابيث» العاطفية فى تلك الفترة من شبابها ، ثم فى بقية أيامها ؟

اليك القصة الحقيقية ، كما سجلتها الكاتبة المؤرخة « مرجريت اروين » :

ابنة آن بولين !

◆ كانت تقف على سفينة القيادة ، تأكل التوت ، وقد أحاط بها البحر من كل جانب ، يعكس اشعاع شمس الصيف ، ويهتز تحت دغدغة الريح..

وكانت فى الثانية عشرة من عمرها .. والى جوارها وقف أميرال الاسطول « توم سيمور » - شقيق احدى زوجات أبيها الملك « هنرى الثامن » - يداعبها كما اعتاد أن يداعب جميع النساء .. حتى الملكة التى خلفت أخته فى احضان هنرى ... الملك المزواج !

وقال لها : « ماذا تفعلين لو تداعت انجلترا للغزاة ؟ .. هل تؤلفين فرقة تركبين على رأسها ؟.. وأية رتبة تحملين ؟ »

فأجابت فى انفة : « من أدراك بما سوف أكون ؟ »

وأخذ الاميرال بلهجة الصبية اليافعة .. وتأملها طويلا والريح تعبث بشعرها الاحمر ، ثم شد أذنها قائلا : «**حقا ما أدرانى !؟ .. هل ستكونين فاتنة.. او عادية الجمال ؟ .. هل يكون لك وجه طويل ضامر ، وشعر بلون الجزر الاحمر ، وجبين عريض كالتفاحة الخضراء الذاوية ؟ .. أم تراك ستنقلبين فجأة الى امرأة ذات جمال غامض ، بما لك من شعر كاللهب ، ووجه أبيض وعينين تومضان بأسرار خاطفة اللمح ؟ .. ترى ماذا تصبحين أيتها الصغيرة التى تتمثل للرائى سرا غامضا ؟** »

فأجابته : « سأصبح جميلة .. وسوف ترى ! »

وكان الاسطول يقف اذ ذاك على أعتاب معركة فاصلة فى تاريخه .. وكان من المتوقع ان يقبل عليه بين لحظة وأخرى أسطول فرنسا العاتى .. ولكن جمال الطبيعة شغل الصبية عن الخطر .. فتلفتت حولها ، حتى اذا اطمأنت الى خلوتهما ، تمتمت فى صوت خافت ، وكأنها تقول شيئا كان محرما قوله : « أمى ... ترى هل كانت أمى جميلة ؟ »

وتفرس فيها شقيق زوجة أبيها دون أن يتغير شيء من ملامحه ، وقال بصوت عادي وكأن من حقها أن تسأل عن أمها :

ـ لا ٠٠ لم تكن جميلة ، ولكنها كانت من البراعة بحيث تجعل أى مخلوق شاءت يؤمن بجمالها !

ـ وأنا كذلك بارعة ٠٠ وسأجعل الناس يرونني جميلة !

ـ من من الناس تبغين أن يراك جميلة ؟

وشاعت فى أساريرها ابتسامة خبيثة ٠٠ وكان موقنا من أنها ستقول : « أنت » ، ولكنها على العكس قالت في دلال الصبا وحرارة الاخلاص : « كل انسان ٠٠ أو على الاقل بلادى بأسرها ٠٠ فلست آبه بالاجانب ! »

وأخلد الى الوجوم ، وقد خيل اليه أنه يسمع عبر السنين صدى صوت «آن بولين» ٠٠ أمها ، التى أطلق عليها الناس اسم « نان الساحرة » ، اذ خيل اليهم انها استخدمت السحر كى تستحوذ على لب الملك وعقله ، ثم أقصته عنها ست سنوات كاملة حتى دفعته الى أن يقلب الكنيسة والدين ويقيم لانجلترا كنيسة أخرى جعل نفسه « البابا » صاحب السلطان عليها ٠٠ وذلك حتى يتاح له أن يطلق من زوجته السابقة ويتزوج منها !

« دون جوان » البلاط !

◆ **وكانت** « بيس » الصغيرة ـ كما عرفت اليزابيث بين الجميع ـ هى ثمرة الزواج ٠٠ فلما خاب رجاء الملك فى أن يكون له ابن ولد، هجر الساحرة، ثم اتهمها بالزنا وأعدمها ! ٠٠ وتحول الى « جين سيمور » أخت توم ٠٠ فأتاح ذلك لاليزابيث أول لقاء مع أشقاء زوجة أبيها الجديدة، وهم «ادوارد» ـ الذى نصب «ايرل» على «هرتفورد » ، الشاب الطويل الذى كان يدلف الى الاربعين من العمر ، بذكاء يزداد على الزمن قوة ، وطموح يشتد أوارا ! ٠٠ و«هنرى» الذى سمع عن حياة البلاط ما جعله يعاف المناصب الرفيعة ويتشبث بالبقاء فى الريف ٠٠ ثم « توم » ، أصغرهم ، الشاب الذى اعترفت انجلترا بأنه أكثر رجالها أناقة ! ٠٠ وكان على النقيض من أخيه الاكبر ، جريئا لا تكبل جرأته قيود البلاط وتقاليد الملكية ، ولا تحد فتوته وروحه الثائرة مسئولية مهما سمت ، مما انتهى به الى قيادة الاسطول ، بعد أن قضى الشطر الاكبر من سنوات سبع متلاحقة فى مهام وبعثات دبلوماسية فى أوربا ٠٠ ثم فى قيادة الجيش الانجليزى ضد أسبانيا ، مسجلا من الظفر ما رشحه لاسمى ألوان التقدير ٠٠

ولقد أوحت جرأته بالكثير من الاقاصيص ٠٠ كما ادت فتنته للنساء الى اثارة الشائعات ٠٠ ومع أنه كان فى منتصف العقد الثالث من عمره ، الا أنه مهر في تفادي أحابيل اللاتي كن يتهافتن عليه ويصبون الى الزواج منه ٠٠

وتوطد مركز الاخوين « ادوارد » و « توم » حين أنجبت أختهما للملك ابنه الاوحد « ادوارد » ولى العهد ، الذى خلع عليه الملك كل مظاهر شرعية انتسابه اليه ·· فى حين جعل شرعية انتماء ابنتيه الاخريين متعلقة برضاه وسخطه·· فيوما هما ابنتان شرعيتان ، وآخر هما ابنتا سفاح وزواج غير شرعى !

لكن كفاءة الاخوين كفلت لهما باستمرار حظوتهما بثقة الملك ·· حتى بعد ان ذهبت أختهما وخلفتهما فى القصر ملكة جديدة !

◆ **وأفاق** الاميرال من تأملاته على صوت « بيس »وهى تسائله :

ـ هل لك أن تبصرنى بمن أكون ؟

ـ أغلى ما خلق الله ·· انك ابنة الملك بكل جارحة فيك ، ولا يرتاب فى ذلك أى مبصر ذى عينين ··

وأقبل الملك فى تلك الاثناء ، كائن ضخم حجب عنها ضياء الشمس الدافئة ·· وفى معيته « ادوارد سيمور » كالشبح الناحل ·· وكان على اليزابيث أن تتطلع اليه ، وأن تبتسم ، فقد كان الملك يكره الاطفال الهيابين ·· ومن ثم حدقت فى عينيه ، وأرسلت عليه اشراق ابتسامة فاتنة · وبينما كانت أصابعه تتحسس شعرها الناعم ، كانت هى تتأمل كيانه الضخم البدين وتسائل نفسها أهو انسان أو وحش ·· او اله ! ·· لقد رأته يبكى على جسدى أولى زوجاته وآخرهن ، مع أنه الذى أمر باعدامهما ·· ولكن أحدا لم يسمعه ينبس ببنت شفة عن « آن بولين » ـ أمها ـ منذ ماتت !

ولقد تقلبت زوجته الحالية ـ آنذاك ـ « كاترين بار » ، بين أحضان أزواج عديدين ـ كما تقلب هو بين أحضان عدد من الزوجات ـ حتى لقد قيل انها لا تطيق أن تعيش بلا زواج أياما ! ·· وكانت تصحبه فى سفينة الاسطول ، فألقت راحتها بحنان على ذراع « بيس » ·· اذ كانت الصبية محظوظة مع زوجات أبيها الاربع اللاتى تتابعن على القصر بعد أمها ، فكن يحببنها ويأتنسن بها وبأخيها غير الشقيق ادوارد ، الذى كان يصغرها بسنين عدة ولكنه كان يفوقها ومارى ـ أختهما ـ اتقانا للغتين الفرنسية واللاتينية ·· بيد أن كاترين بار ، كانت أبر الملكات بالاخوة الثلاثة الذين انجبتهم أمهات ثلاث ·· فقد كانت بفطرتها ربة بيت وام ·· عوضت الملك عن ابن ثان ، بحيـاة بيتية ناعمة ··

وراحت « بيس » تتطلع الى زوجة أبيها فى حنان بنوى واشفاق ، وهى تفكر فيما سمعته من همسات الحاشية عن ان « الحياة البيتية » لم تغن الملك عن أن يتلفت حوله بحثا عن زوجة جديدة !

ولاح الاسطول الفرنسى فى الافق ·· ثم اقترب ·· ولـكن خاب أمل اليزابيث فى أن تشهد معركة ممتعة ، اذ ما لبث العدو أن انسحب بعد اشتباك قصير··

ولكن القدر كان يدخر لها معركة أخرى ٠٠ معركة حقيقية شعواء ٠٠ بعد أربعين سنة ٠٠

النـــذير

◆ **وتوالت** الاعوام ٠٠ وبدأ هنرى يشعر بالحياة جافة ، مملة ، اذ مات أعداؤه - من عواهل أوربا - واحدا بعد واحد ، وخلت الحياة من لذة الصراع ٠٠ فلم يعد يرفه عنه سوى تلك المآدب الحافلة بأشهى المآكل الدسمة وأعتق الخمور ٠٠

وكان يجمع الاسرة حوله فى عيد الميلاد من كل عام ٠٠ وفى مساء العيد من أحد الاعوام ، تصدر المائدة وقد حشر جسمه المترهل فى مقعد كسى بغطاء عنيت ابنته مارى بتطريزه بنفسها ٠٠ وبدا على غير عادته من الافراط فى الضحك والمداعبة ، اذ كان فى هـذه الليلة ساهما ، زائغ البصر ، وكأنه لا يحس بوجود أحد ممن كانوا حوله ٠٠ فلم يفطن الى شىء حتى أقبل رهط من الخدم يحملون أصناف الطعام ٠٠ فحدق فى الاطباق لحظة بعينين كأنهما عينى الصقر ، ثم استرخى مخلدا الى ما كان عليه من وجوم ، وقد أرسل فكره ينقب بين أطواء الماضى مستعرضا مآدبه ، وما كان له فيها من صـــولات وجولات ٠٠

ومد يده الى كأس مترعة بالخمر ، فعلقت باليد نظرات قلقة من طبيبه الخاص ، ونظرات جزعة من زوجته ٠٠ ولكنه لم ير شيئا من هذه النظرات، بل أفرغ الكأس فى جوفه ٠٠ وشرع يتكلم ٠٠ وانبعث صوته فى حشرجة متأرجحة كريح عاصفة بين هبوب وخمود ٠٠ ولكن لسانه لم يلبث ان تثاقل، وازورقت شفتاه ، واسترخت راحته فى سمنتها المتهدلة ٠٠

واختلست اليزابيث نظرة اليه ، فخيل اليها ان وجهه كقربة خاوية حال لونها ، وراحت تغالب ابتسامة همت بأن ترتسم على شفتيها الساخرتين ٠٠ **وفجأة ، دوى فى القاعة ضجيج أطباق وملاعق تهوى الى الارض ، وتهالك جسد الملك فوق المائدة ٠٠ وأخذت خمر الكأس التى كانت فى يده تتساقط على الارض قطرة اثر قطرة ٠٠ كالدم !**

وصرخت النساء ٠٠ وقفز الرجال من أماكنهم ٠٠ وانبعث صوت « ادوارد سيمور » حادا يلقى بالاوامر ٠٠

نهـاية الملك

◆ **ولم** يتمالك هنرى شيئا من قواه الا بعد أسبوعين ، فكان أول ما حرص عليـه - وهو فى فراشـه - أن راح يوصى « ادوارد سيمور » - ايرل هيرتفورد - بأن يكون استكمال غزو اسكتلندا فاتحة العهـــد الجديد ٠٠

عهد مجلس الوصاية الذى نصب هنرى على رأسه ادوارد بوصفه خال ولى العهد ، وعين معه خمسة عشر وزيرا من أحكم رجال الدولة ، جلهم من المجددين دعاة الاصلاح ، ولكن بينهم المحافظون الذين أراد بهم أن يكونوا بمثابة «فرامل» اذا اشتد بالاولين الشطط ٠٠ ثم ضم « توم سيمور » الى المجلس ، اذ كان يعرف الفارق الكبير بينه وبين شقيقه الاكبر، فاطمأن الى ان كلا الشقيقين سيقيم من نفسه رقيبا على الآخر ٠٠

واستسلم هنرى بعد ذلك للمرض ، وقد أوصى بأن يدفن عند موته الى جوار « جين سيمور » ٠٠ وذات ليلة ، كان الجو عاصفا ، معتما ، مكفهرا ٠٠ ولاحظت « بيس » بين الشموع شمعة انحنى عودها ثم خبا ضوؤها ، فانقبض قلبها ، وآثرت أن تأوى الى فراشها ، ولكنها لم تعرف للكرى طعما ، بل ظلت مسهدة تنصت الى وقع قطرات المطر ، وزئير الرياح ٠٠حتى اشتد بها الذعر ، فقفزت من فراشها ، وتسللت من غرفتها ٠٠

كانت الاضواء تملأ جنبات القصر ، والكل مؤرقون فى صمت واجم يترقبون ٠٠ وهرعت الى الردهة الطويلة ، ومنها الى البهو المفضى الى مخدع الملك ، وقد وقف عند بدايته الحراس مدججين بالسلاح ، فساءلت نفسها : ما قيمتهم ؟ أتراهم يقوون على صد الموت عن المخدع الملكى ؟

واختبأت فى أحد أركان الردهة ٠٠ وبددت السكون دقة ساعة ، دقة واحدة ، أعلنت بدء اليوم التالى ٠٠ ثم فتح باب المخدع ، وخرجت من لدن الملك جماعة يتوسطها كبير الاساقفة ، وقد لمعت قطرات العرق على جبينه تحت لهب الشموع ، فمسحها بكم ردائه ، وسار الى ادوارد سيمور فقال له : « انتهى كل شىء ! »

وتراجعت « بيس » ، ثم عرجت على ردهة أخرى ، واندفعت مذعورة تتخبط ، فاذا ذراعا رجل تتلقفانها ٠٠ وبدأت تبكى ٠٠ وواتاها صوت « توم سيمور » يهدىء من روعها ، فتطلعت اليه ، حتى اذا استبانت وجهه ، أحست بارتياح فأحاطته بذراعيها كأنما كانت تلوذ به من رعب رهيب وهمست :

« لقد مات الملك »

وأرسل توم صفيرا من بين شفتيه وهتف : « اذن ، فقد ربحت الرهان ! »

وصاحت فى حدة غاضبة : « كيف تراهن على موت الملك ؟ »

– لا يا أميرتى ٠٠ انما راهنت على ان دوق « نورفولك » لن يعدم ٠٠ اذ كان الملك قد حدد اليوم موعدا لاعدامه ٠٠ ألا يسرك أن ينجو عم أمك من الموت ؟

– بل يسرنى أن يخرج شخص من سجن « البرج » سليما ٠٠

– ولكن ٠٠ ماذا كنت تفعلين فى ردهات القصر بثياب النوم ؟

– استبد بى الخوف ٠٠ كنت أوجس مما حدث ٠٠

وانحنى فجأة ، فشدها الى صدره واغرق ذقنها ووجنتيها بالقبلات ٠٠ وأفلتها اذ تملصت ، فقالت فى غضب :

ـ اننى قد تجاوزت سن الثالثة عشرة بنصف العام ٠٠ ألا ترى اننى قد كبرت ولم يعد يليق ان يقبلنى أحد ؟

ـ بل انك اصغر مما تخالين ٠٠ وهذا ما يدعونى الى أن ارثى لك ٠٠ اهرعى الى غرفتك ، ولوذى بوصيفتك ولا تبوحى لاحد بانك قابلتنى ٠٠ أتبكين؟٠٠ ليت لى أن أستبقيك معى، ولكن فى ذلك خطورة أخشى على كلينا منها.

زواج الملكة ٠٠ قبل انتهاء فترة الحداد !

◆ **بدأت** حجب الجهل تنجاب عن ادوارد الصبى رويدا ، فأدرك أنه لن يرى اباه ثانية ، واذ ذاك ، القى برأسه على ساعديه ، وانخرط فى البكاء قائلا : « لا اريد أوصياء ٠٠ انما أريد ٠٠ ابى » !

واشتد بـ « بيس » البكاء ٠٠ وتناهى اليهما صوت الطبول ، وصياح المنادين : « مات الملك ٠٠ يحيا الملك النبيل ادوارد » ٠٠ فهتف ادوارد بين الشهقات : « لا أريد أن أغدو ملكا ! » ٠٠ فربتت « بيس » ظهره وقالت : « بل ستغدو ملكا عظيما مثل ابيك ٠٠ ان الخال ادوارد لن يبقى طويلا . فلن تلبث أن تكبر ويكون لك كل ما تشاء »

وانتقل « ادوارد » الى قصر « البرج » حيث اعتاد الملوك الجدد أن يبقوا بضعة أسابيع ريثما يتم تتويجهم ٠٠ وصحبت الملكة ابنة زوجها الاثيرة لديها ـ « بيس » ـ الى قصر « تشيلزيا » الصغير ٠٠ الذى كانت الفتاة تفضله على كل القصور ٠٠ وهناك ، أحست الصغيرة بالطمأنينة والسكينة ، فى رعاية «كاترين» ـ الملكة الارملة ـ ووصيفتها الخاصة «كاترين آشلى» ٠٠ التى روت اليها كيف هب الملك الراحل فى صحوة الموت ، وراح يصرخ باسم أمها : « آن بولين » ٠٠ « آن بولين » !

٠٠ وتجاوزت هذه الرواية ذات مرة ، فقالت وهى تطرز ثوباأسود للفتاة : « ما أظن امرأة ابيك ستبقى فى ترملها اكثر من أيام ٠٠ ولن تلبث ان تأمر باعداد ثوب العرس ٠٠ لتزف الى الاميرال ! »

وامسكت « بيس » نفسها بجهد كى لا تنقض على وصيفتها ٠٠ ولاحظت المرأة غيظها فقالت : « ظننتك ستسرين لان يكون الاميرال آبا ثانيا لك ٠٠ ووصيا عليك ! »

ـ لست أريده ابا ثانيا ٠٠ وما اعتقد ان الملكة تريده زوجا ٠٠

وراحت الوصيفة تدافع عن رأيها ، مسغبة على الاميرال أروع الاوصاف وانبلها ٠٠ حتى تساءلت « بيس » :

ـ ولكن ٠٠ ألا ترين الملكة كبيرة السن بالنسبة له ؟

ـ انها فى الرابعة والثلاثين ٠٠ وهو يكبرها بعامين ٠٠ وان كانا يبدوان

أصغر مما هما ٠٠ ثم ٠٠ لقد كان هذا سرا فى حياة ابيك ٠٠ ولكن ، لا يجمل بى .

وأمسكت الوصيفة عن الكلام بدهاء ، فراحت الفتاة تتوسل اليهـــا ٠٠ واذ ذاك مضت تذكر لها أن « توم » و « كاترين » كانا قد تعاهدا على الزواج قبل ان يتخذها زير النساء زوجة وملكة ٠٠ ولقد اخلصت كاترين للملك خلال الثلاثة أعوام ونصف العام ، حتى اذا مات عنها وهى فى عنفوان الشباب ، آن لها ان تعود الى خطيبها السابق !

ومضت الوصيفة فذكرت أن « كاترين » التقت بتوم ســيمور فى السر مرات قبل أن يشيع هنرى الى قبره ! ٠٠ فقالت « بيس » : هــذه‌مسألة خطيرة ، وما ينبغى لك أن تتحدثى بهذا الحديث يا آشلى ٠٠ لاى فرد سواى على الاقل ! »

وتأملتها الوصيفة فى خبث وهى تسائل نفسها : أهى صبية حقا ، أم امرأة ناضجة فى شكل صبية !؟

تفاحة فى الحلم !

◆ **ذهل** توم سيمور حين ولج حديقة قصر « مانور ـ تشيلزيا » ذات يوم ، فاذا اليزابيث مبهورة الانفاس ، تطوح بكرة ذهبيـــة فى الهواء ثم تتلقفها أو تجرى وراءها فى أرجاء الحديقة وقد تهدل شــعرها ، وتضرج وجهها ، وانبعثت صرخاتها عابثة ، وضحكاتها عالية ٠٠

وخيل اليه أن الماضى يستيقظ على هذه الصرخات والضحكات ٠٠ وقفزت أمام عينيه احدى رؤى ذلك الماضى ٠٠ احدى أمسيات الربيع منذ أربعـــة عشر عاما ، وقد تألقت « آن بولين » فى شرفة قصر « هامبتون كورت » ، وعلا صوتها وهى تقول ضاحكة : « وما كان أشد شوقى اذ ذاك الى تفــاحة ٠٠ أو تدرون ماذا قال الملك ؟٠٠ قال ان هذا الشوق معناه اننى حامل ، فقلت له : لا ٠٠ لا ، لا »

ومع ذلك فلم تنقض أشهر ستة على تلك الليلة ، حتى ولدت « بيس » ٠٠ وها هى ذى تلعب وترقص فى الحديقة وقد غدت على أبواب الانوثة !

وفطنت اليه الفتاة فجأة ، فجمدت فى مكانها ترمقه مستنكرة ان اقتحم عليها خلوتها مع الكرة دون استئذان ٠٠ ثم تقدمت منه فى تؤدة ، فانحنى فى‌احترام وقال : « معذرة فاننى لم أعرف سموك من بعيد ، وانما ظننتك احـدى عرائس الغاب ! »

فدقت الارض بقدمها قائلة : « ما أحب أن تسخر منى »

وسقطت منها الكرة الذهبية ، فالتقطها وأودعها يدها ، ثم أطبق عليهـــا براحتيه ٠٠ وأثار الدفء فى نفسها عواطف جياشـــة لم تدر كنههـــا ٠٠ فانتزعت يدها ثم هرعت الى حافة البركة المائية التى كانت تتوسط الحديقة ،

وقذفته بالكرة ، فالتقطها وجرى خلفها ثم أمسك بكتفيها ولفها نحـوه قائلا : « يالك من نمرة صغيرة ٠٠ ولكنك سرعان ما تنضجين،فما رأيك ٠٠ أتتزوجين منى يا بيس ؟ »

ـ ها أنتذا تهزأ منى ثانية !

ـ ولم لا ٠٠ ألا يمكن ؟

وهمت أن ترميه بما سمعت من وصيفتها ، ولكنها امسكت وقالت :

ـ ولكن ٠٠ ان عمرك يقارب ثلاثة أمثال عمرى ٠٠

ـ بعد عشر سنين يصبح ضعفه فقط !

ـ هذا يعنى أنك فكرت فى الامر من قبل ، فما أظنك تحسب هذه الحسبة فى لحظة ؟

ـ أجيبى ٠٠ هل تقبلينني زوجا ؟

فأومأت بالرفض ٠٠ وفى تلك اللحظة أقبلت كاترين بار ، فلما روى لهـا العرض الذى اقترحه التفتت الى « بيس » فى ابتسامة ذاب لها قلب الفتاة ، اذ أحست فيها بدفء الحنان الحق ٠٠ ولكن لم تمض أربعة أيام ، حتى أنبأتها كاترين بأنها قد اتفقت مع توم سيمور على الزواج بمجرد انتهاء أيام الحـداد الملكى ٠٠ وقد شرع توم يسعى للحصول على موافقة مجلس الوصاية !

وصدمت « بيس » ولكنها كتمت أساها فى نفسها ، وطوت عليه قلبها !

غيرة ٠٠ ودسائس !

◆ **على** أن زواج توم من «كاترين» أثار ثائرة أخيه رئيس مجلس الوصاية ، الذى كان قد خلع على نفسه لقب « دوق سومرست » ، وابتنى لنفسـه قصرا كبيرا يليق بمقامه السامى ٠٠ مما حمل توم على أن يبنى لنفسـه قصرا أكبر ، أطلق عليه اسم « قصر سيمور » !

وكان «ادوارد سيمور» مضطرا الى الرحيل على رأس الحملة التى جهـزت لغزو اسكتلندا ، فتولت زوجته عنه المعركة ضد الزوجين ٠٠ وكانت الفرصة سانحة أمامها ـ بوصفها السيدة الاولى فى الدولة ـ لان تنال من الملكة السابقة ٠٠ حتى انها أوعزت الى زوجها فافتى بأن ليس لكاترين أن تأخذ ما كان لها من حلى ومجوهرات ، اذ اعتبرها من « جواهر العرش » التى حرمت عليها ، وان غدت زوجته تتحلى بها فى المناسبات !

وانتقل توم وزوجته الملكة السابقة الى قصرهما الجديد ، **وكان من بواعث السعادة لدى اليزابيث أن أخذها الزوجان لتقيم معهما ٠٠ ولم يكن يغيظهـا قدر أن يقتحم توم عليها مخدعها فى الصباح الباكر ، فيجذب الاغطية عنهـا ويضطرها الى النهوض ، قائلا : « بونجور يا فليبين » ٠٠ بل كثيرا ما كان يسألها قبلة يبدأ بها يومه !٠٠ وقد كانت فيما مضى تقفز على صدره ، وتحيط**

عنقه بذراعيها ، ولكنها الآن أصبحت تخجل وتستحيى ، فكانت تهرع الى الغرفة المجاورة حيث تكون خادماتها منهمكات فى اعداد الحمام لها ٠٠ لكنه كان يهرع خلفها ، فتروح تحاوره بين الخادمات حتى يمسك بها ، فيلقيهـا بما عليها من ثياب فى ماء الحمام !

وكانت مسز آشلى لا تفتأ تذكرها بمكانتها ، وبأنها قد جاوزت الرابعـة عشرة ، وخليق بها أن تكون ذات جلال ووقار ٠٠ فعولت على أن تتحفظ بعض الشىء مع الاميرال !

وكانت كاترين فى البداية قريرة بما بين زوجها و « بيس » من صـداقة ، ولكنها لم تلبث أن ضاقت بها ، وان لم تقو على ابداء ضيقها خشية أن تكشف عن ريب أو غيرة ! ـ والواقع أن قلب العذراء الصغيرة كان قد تحرك ! ـ ولكن كان يعزى كاترين عن هواجسها أنها حملت من زوجها ٠٠

وأخذت الاسرة تتنقل من بيت الى آخر ، اذ كانت كاترين فى حملها محتاجة الى القيام بنزهات على قدميها فى الهواء الطلق ، والى العيش فى ضـواح خلوية ٠٠ وذات ليلة ، أقام توم حفلة ساهرة للملك الصبى ٠٠ وقام الجميع عقب العشاء برقصة بوهيمية ، كانوا يصعدون فيها السلم ويهبطون مرارا ٠٠ وكانت « بيس » تراقص وصيفا للملك من أبناء ايرلندا يدعى « بارنابى فيتز باتريك » ، فلم تشعر الا وهى تدفع به خلال الرقص بعيدا عن الراقصين الى غرفة تحت السلم ٠٠ وهناك جلست على حافة نافذة ، بينما استند الشاب الى جوارها ٠٠ وسادهما صمت اختلط فيه الارتباك بجيشان العواطف المبهمـة ٠٠ ومدت اليزابيث يدها فى شبه نداء ، فتناولها الشاب بين يديه ٠٠ ثم فطنت الى موقفهما ، والى أنه ما كان ليليق بها وهى ثانية المرشحات لولاية العهـد ، أن تسمح لعواطفها بأن تتجه نحو وصيف أخيها الملك ٠٠ لا سيما وقـد كانت تحس أن قلبها لم يعد طوع أمرها ، اذ تعلق بتوم سيمور على الرغم منها !

وهمت بأن تسحب يدها ، فتشبث بها الشاب لحظة ، ثم قال :

ـ قد لا أمسك بيدك مرة أخرى ما حييت ٠٠ وقد لا يتاح لى أن أتطلع اليك الا عبر القاعات الفسيحة ٠٠ ولكن هذه لحظتى ٠٠ اللحظة التى لى أن أسـعد فيها بأن أنعم بيدك الرقيقة ، وأن أشهد عينيك تنظران الى ٠٠ ولست أطمع فى أكثر من هذا ٠٠ وسأظل من هذه الساعة وفيا لك ولكل ما يتعلق بك ، وأقسم اننى لن أحجم عن أن أترك أى عمل أكون مكلفا به ، لأخف اليـك ـ ولو كانت بيننا بحار ـ اذا علمت اننى قد أجد فرصة لخدمتك !

وانحنى فطبع على يدها قبلة طويلة ٠٠ ولم تتمالك « بيس » نفسها ، فطوقت عنقه ، وقبلته ٠٠ ثم غشيها خوف من موقفها ، فعادت بالشاب الى حلبـة الرقص ٠٠

استجواب بصدد .. قبلة !

◆ وعاق تعب الحمل كاترين عن البقاء الى نهاية السهرة ، فاستأذنت لتأوى الى فراشها .. بينما بقيت « بيس » الى جوار « توم » ليودعا المدعوين .. حتى اذا انصرف آخرهم ، دعا توم الفتاة الى نزهة فى زورقه .. وفيما كان تابعوه يجذفون ، راح يناقشها الحساب اذ لمحها وهى تقبل « بارنابى فيتز باتريك » !.. لكن « بيس » أنكرت فى اصرار .. وكانت المقصورة التى جلسا فيها بمنأى عن أعين المجذفين ، فاذا ذراع توم تمتد لتحيط خصر الفتاة وتجذب غصنها الغض اليه .. وانعكس ضياء القمر على عينيها ، وغمرت أشعته وجهها .. **فاذا شفتاها قد انفرجتا عن ابتسامة منتشية ، مزهوة ، أرسلت فى الرجل الجالس الى جوارها قشعريرة ، اذ أدرك أنها كانت بعيدة عنه بحسها .. كانت ثملة بما اكتشفته من أنها ـ كأمها ـ كانت قادرة على فتنة الرجال !.. وهل بعد ما حدث الليلة من سيطرتها على رجلين ، دليل ؟.. وعاد « توم » يناقشها الحساب متسائلا عن الشاب الذى رآها أثناء الرقص تقبله ، فلما أصرت على الانكار ، صاح غاضبا : « كاذبة ! » .. ثم صرخ صائحا فى رجاله أن يجذفوا عائدين .. وازدادت نشوة «بيس» اذ رأت سحرها يثير رجلا الى حد الغضب والغيرة .. وأحست أن فى استثارة الرجل لذة ومتعة ، فعاهدت نفسها منذ تلك اللحظة أن لا تحفل بتوم ، ولا بأى رجل .. وأن لا تأبه بالرجال الا بقدر ما تستمد من متعة من وراء استثارة غيرتهم وعواطفهم !**

وفى خميلة على ضفاف النهر ، وداخل نطاق الحديقة ، جثت «بيس» على ركبتيها عند قدمى « توم » ـ بعد اذ غادرا الزورق ـ وهتفت ضارعة :

ـ اننى أحبك .. لا تقل اننى طفلة فأنا أدرك كل شىء .. أحبك ، وأريد أن أكون لك .. الآن .. والى الابد !

ـ بيس .. انك مخبولة .. بل كلانا مخبول .. لقد سحرتنى وسلبتنى كل رشاد ..

ـ أأنت الذى تدعونى الى التعقل ؟.. اننى أتوق اليك .. أصبو اليك .. أشتهيك !

وفجأة ، أبصر الاثنان كاترين تقف ازاءهما جامدة ، وقد اكفهر وجهها .. وهز توم الفتاة ثم تحول يذكر لزوجته أنه شاهدها تقبل شابا من الضيوف ، وانها كانت تستغفر لذنبها !.. وهمت كاترين بأن تتكلم ، ولكن صوتها عصاها ، فاستدارت ، وراحت تجرى متخبطة ، متعثرة ، نحو البيت .. وجرى خلفها الاميرال .. وبقيت اليزابيث .. ولاول مرة ، أحست انها وحيدة .. وان الوحدة قدرت عليها .. طيلة العمر !

نبـــوءة ٠٠!

◆ **وبعد** أن هدأت العاصفة ، قالت كاترين للفتاة : « يجب أن تبرحى هذه الدار ٠٠ اننى مسئولة عنك ، ولو مسك سوء وأنت فى رعايتى ، فلن أكون سوى خائنة لمن ائتمنت عليه ٠٠ اننى أعرف ما تريدين أن تقولى ٠٠ وانى لأهفو الى أن أقوله أنا الاخرى ، فأنا موقنة ان زوجى لا يمكن أن يمسك بسوء ٠٠ ولكن الشائعات وأقاويل الناس أشد ايذاء ، لا لسمعتك فحسب ، بل لمكانتك فى الدولة ٠٠ فانى أومن بأن القدر لن يلبث ، بمعجزة ما ، أن يجعل منك يوما ملكة انجلترا ٠٠ نعم ، فان أخاك ضعيف البنيـة ، بل هو أضعف مما يخال الاوصياء عليه ٠٠ ولم تؤت أختك مارى ما أوتيت من استعداد لكسب الشعب وسياسته ٠٠ »

ملكة انجلترا !٠٠ وراحت العبارة الاخيرة تطن فى سمع « بيس » ، فما خطر لها قط أن أحدا سيجرؤ يوما على ذكرها ، ومع ذلك ، فهـا هى ذى تسمعها ٠٠ وممن ؟٠٠ من آخر ملكة كانت على عرش انجلترا !

وكان الفراق شاقا ٠٠ فلقد أحبت « بيس » زوجة أبيها كأم ٠٠ وأحبت « كاترين » الفتاة كابنة ـ وكانت كل منهما تعتز بهذا الحب ! ـ ولم تنس كاترين أن تقول للفتاة وهى تودعها : « ان المستقبل يتوقف على براعتك وحسن تدبيرك ٠٠ ان الشعب الانجليزى لا يمكن أن يقبل على عرشه ملكة نزقة ٠٠ ولقد كان يكره أمك لهذا السبب ، سواء كان عادلا فى حكمه أو لم يكن ٠٠ ولكن حب الشعب كفيل بأن يهيىء لك من المجد فوق كل ما يستطيع أى جيش أن يفعل ٠٠ فاذكرى هذا ما حييت »

٠٠ وفى تلك الاثناء ، كان جون دولى ـ ايرل واروبك ـ يشن فى مجلس الوصاية حملة قاسية ضد تصرفات «توم سيمور» ، وما يتهامس به الشعب من اشاعات عن علاقته باليزابيث ! ٠٠ بل لقد بلغ به الامر ان ذهب مرة الى «ادوارد» كبير الاوصياء ، فهاجم اخاه لديه ، وتمادى فقال : «ان كل الناس تعرف سر اقصاء الاميرة عن بيت الملكة السابقة ٠٠ بل يذهب بعضهم الى حد ان يعزو هذا الى ان الاميرة حملت من الاميرال !٠٠ ولا يعنينى من هذا سوى ان الاميرال يزداد تقربا الى الملك الصبى ، وهو ماض فى تقبيل اخته التعسة ذات الشعر الاحمر ٠٠ كما انه يشجع القراصنة ، ويزيف النقود ، ويعبث بقوانين البلاد ٠٠ حتى بدأت نسائم الثورة تهب ٠٠ فاذكر محاولات التمرد التى انبعثت اخيرا فى اثنتى عشرة مقاطعة !»

الفجيعـــة

◆ وفى اخر اغسطس وضعت كاترين حملها فانجبت للامير بنتا ٠٠ ولكنها دفعت حياتها ثمنا لها ، اذ انتابتها حمى النفاس ، فقضت عليها !

وحزن الاميرال عليها حزنا بالغا ٠٠ ولكنه سرعان ما صار يسعى الى اليزابيث ، فيصارحها بانه كاد يجن شغفا بها ، وانه يبغى الزواج منها ٠٠ لكن الفتاة تملصت منه ذات مرة فى عنف ، قائلة : **«لقد سمعت انك تسعى للزواج من ليدى «جين جراى» .. ولكنك على ما يبدو تؤثر ان يكون لديك وتران حتى لا تتوقف عن العزف ٠٠ اننى لن اتزوج من احد ٠٠ ولو كنت أنت هذا الواحد٠٠لن أقيد نفسى بأى غل ، فان خاتم الزواج ليس سوى طوق الاستعباد ٠٠ اننى اذا تزوجتك فسيتحتم على ان احبك اكثر من نفسى ما دمت سأسلمك قيادى واهبك نفسى .. ثم انك لن تستطيع الزواج منى دون موافقة المجلس ٠٠ وهذا ما لن تناله ! »**

ـ ليس هذا كل ما فى نفسك .. افصحى ٠٠ لماذا تخافيننى ؟

ـ لقد كنت تحب كاترين ٠٠ وكنت تحبنى ٠٠ ولن يحول الزواج بينك وبين ان تحب اخريات !

٠٠ واحس مجلس الوصاية ان الاميرال يلعب لعبة خطرة ٠٠ كان يسعى الى الزواج من احدى اثنتين من الاسرة المالكة ، يحتمل ان يكون لهما حظ وراثة العرش : « اليزابيث » أخت الملك ، والثانيـــة فى ترتيب الوراثة ٠٠ او «جين جراى» ابنة عمة الملك !

ومن الغريب ان اصدقاءه هم الذين كانوا اكثر الناس تحمسا للدس له، والوشاية به ، واظهاره بمظهر المنافس لاخيه ، والمغامر الذى تنتهى كل خيوط تصرفاته ، واستهتاره ، وخرقه للقوانين ، ونشاطه الاجتماعى ٠٠ عند العرش !

وكان «ادوارد سيمور» رغم نفوره منه ، وحقده عليه ، يحاول ان يترفق به ، اكراما لمشاعر امهما ٠٠ ولكن زوجته كانت لا تكف عن ايغار صدره ضد اخيه ، اذ كانت السيدة الاولى فى الدولة ، ولو نجح «توم» فى الزواج من «اليزابيث» لجاز ان تتغير الاوضاع !٠٠ وهكذا انتهى الامر بتوم سيمور ـ الاميرال الاول للاسطول البريطانى والخال الاصغر للملك ـ الى سجن «البرج» ٠٠ بأمر من شقيقه رئيس مجلس الوصاية ! (كما اعتقل فى الوقت ذاته ، وفى نفس السجن ، كل من مسز آشلى ـ وصيفة اليزابيث ـ ومستر بارى خادمها ٠٠)

وجن جنون اليزابيث حين حمل اليها سير روبرت تايرهويت ـ مندوب مجلس الوصاية ـ هذه الانباء ، فانقضت عليه تركله وتصفعه حتى اوقعته على الارض !٠٠ لكن الرجل نهض فى هدوء ليستطرد : «ان وصيفة سموك وخادمك فى «البرج» الان يدليان بالمعلومات عن علاقتك بالاميرال ، وتآمرك معه على الزواج برغم ارادة مجلس الوصاية»

فقهقهت «بيس» فى انفعال وصاحت : «تحفظ فى كلامك ، فاننى الثانية فى ولاية العرش .. ولست غبية ولا طفلة !»

ـ آه ٠٠ اذن فقد فكرت فى هذا ؟ ٠٠ ولعلك ظننت انك بزواجك من الأميرال تستطيعين ان تنالى العرش !٠٠ لا تذهلى ، فلدى ما هو اشد اذهالا ٠٠ يقال انك حامل من الاميرال !

فوجمت «بيس» قليلا ثم قالت : «ستدفع رأسك ثمنا لهذا !

ـ آه ، اراك تخالين نفسك ملكة فعلا !٠٠ تذكرى يا صاحبة السمو انك لست سوى فرد من الرعية ٠٠ كما كانت أم سموك ، ولعلك تتأكدين من هذا حين اقول لسموك ان عليك منذ اللحظة ان تلزمى هذا القصر تحت رقابة صارمة ، بامر الوصى الاكبر !

وانحنى وغادر الغرفة ، ولكنه وقف خارجها يرقب الفتاة وقد جمدت لحظة مضعضعة الحواس لقسوة الصدمة ، ثم ارتمت على الارض وراحت تبكى فى ثورة بالغة من الاسى ٠٠

هل حملت من الاميرال ؟

◆ **وخلفت** «ليدى تايرهويت » ـ زوجة الرسول سالف الذكر ـ مسز آشلى كوصيفة للاميرة اليزابيث ، بامر من مجلس الوصاية ، ولكن الاميرة ابت ان تعترف بها او تطمئن اليها ٠٠ واخذت السيدة تروى لزوجها كيف ان الفتاة تقضى نهارها فى وجوم وصمت ، وليلها فى بكاء وسهاد ٠٠ وراح «تايرهويت» يستجوب الخدم والخادمات ، فلم يحصل على اكثر مما انبأته به الفتاة نفسها عن مدى علاقتها بالاميرال ٠٠ ثم عمد الى خداعها بالقول ان الاميرال قد اعترف بكل شيء ، وان ثروته قد صودرت ٠٠ ولكنها لم تتحول عن موقفها ٠٠ وابت ان تستجيب لمذكرة من كبير الاوصياء او تخضع لتوجيهات سجانها فتكتب لمجلس الوصاية مقرة بـ «اخطائها !» ، مستغفرة لذنوبها ! ٠٠ حتى اذا الح عليها تايرهويت ، كتبت تقول لادوارد سيمور :

« انبأنى السيد تايرهويت وسواه ان ثمة شائعات فى الخارج عن اننى احمل جنينا من سيدى الاميرال . وما هذه سوى ترهات مخزية ، ارجو ان تسمحوا لى بالمثول امام هيئة للمحاكمة ، لاكشف عن حقيقــة نفسى»

واخذ كبير الاوصياء بهذه الرسالة ، فما قدر لفتاة فى الخامسة عشرة ان تنفى عن نفسها شائعات بمثل هذه اللهجة المتزنة ، الوقور ٠٠ وتوالت الرسائل بين رئيس مجلس الوصاية والاميرة الصغيرة ، فلم تزدد لهجتها الا انفة وجلالا ، بلغا اقصاهما حين سألته ببساطة فيها قوة الامر ، ان ينشر على الناس بيانا بان ما يشاع عنها ليس غير اكاذيب !

وثار حقد زوجة دوق سومرست ـ ادوارد سيمور ـ اذ رأت ان الفتاة تتحدث الى زوجها وكأنها ملكة ٠٠ ولكن الدوق لم يسعه الا ان يصدر البيان المنشود ، وان يحرم على الناس تناقل الشائعات ٠٠

اعدام سيمور !

◆ **واصدر** مجلس الاوصياء حكما بادانة الاميرال توم سيمور لمحاولته الزواج من الاميرة اليزابيث رغم ارادة المجلس ، مما اعتبر خيانة عظمى يستحق من اجلها الاعدام ٠٠ ولم يلبث البرلمان ان صدق على الحكم !

ولم يجزع توم سيمور ، ولا قبل ما نصحه به القس الذى اوفد اليه من ان يقدم التوبة فى لحظاته الاخيرة ٠٠ بل لقد حاول ان يصارع الرجل الذى تولى اعدامه ٠٠ ولكن الايدى تكاثرت عليه ، ومات بعد ثالث ضربة بالفـــأس !

ونمى النبأ الى «بيس» فى معتقلها بقصر «هاتفيلد» ، فاصابتها الفجيعة بمرض الزمها الفراش زمنا طويلا ٠٠ فان موت كاترين واعدام توم حرماها من الشخصين اللذين احباها واحبتهما فى حياتها ، فلم تعد راغبة فى هذه الحياة ٠٠ وبعثت فى نفسها المحن التى احاطت بها ، والشائعات التى شوهت سمعتها ، يأسا قاتلا جعلها تكره الدنيا ومن فيها ٠٠

ولكن «كاترين آشلى» ـ وصيفتها لم تلبث ان ردت اليها ، فبدأت تبث فى نفسها الامل ٠٠ وسرعان ما قويت على مبارحة فراشها ، فتهيأت لكى تكسب حب الشعب من جديد ، وتمحو عن نفسها ما احيط بها من فضائح ٠٠ وعمدت الى الدرس ، فأخذت تتعـلم الاسبانية والايطاليـــة ، وتدرس التاريخ والرياضيات ، وتتدرب على الرقص والموسيقى ٠٠ كل ذلك وهى تحبس نفسها عن الدنيا والمجتمع ، وتفرض على حياتها ولباسها قيودا كتلك التى تخضع لها الراهبة فى الدير ٠٠

ولم يكن يعكر عليهـا صفوها وسكينة نفسها ، كلما عاوداها ، سوى ذكرى «توم سيمور» ٠٠ المرح ، المتهور ، الجرىء ، الحنون ٠٠ ومع انهم قتلوه الا ان طيفه ظل يلازمها ٠٠ واخذ الحنين اليه يمزق فؤادها ٠٠ وعبثا حاولت أن تنساه ، فقد قدر لها أن لا تنساه قط !

السماء تقتص لهابيل من قابيل !

◆ **ولم** يكن يرفه عن اليزابيث فى عزلتها الحزينة سوى ما كان يتسرب اليها من انباء عن سريان روح التذمر والتمرد فى الشعب ضد حكامه ، ضد مجلس الوصاية ٠٠ وكأنما لعنة الله بدأت تحيق بكبير الاوصياء ، ولما تكن قد انقضت ثلاثة شهور او اربعة على موت اخيه وضحيته !

ووجد المتمردون قائدا تجمعوا حوله ٠٠ وعجزت القوات التى أرسـلها رئيس مجلس الوصاية ـ والحاكم الفعلى ـ عن ان تخمد التمرد ، لولا ان هب جون ددلى ـ ايرل وارويك ـ بنفسه فقضى على الفتنة ٠٠ ولكنه فى الوقت ذاته اقصى رئيس الاوصياء وتولى منصبه ، ومنح نفسه لقب «دوق نورثمبرلند» ٠٠ وقبل ان ينقضي عامان علي اعدام «توم سيمور» ، هوت رأس

قاتله ، ادوارد سيمور ، فى نفس المكان الذى اعدم فيه !

وكما تنبأت « كاترين بار » – يوم سألت اليزابيث أن تبرح قصرها – لم يلبث الضعف ان تمكن من الملك الصبى «ادوارد» فالزمه الفراش ، واخذ يسلبه الحياة رويدا ..

وجزعت اليزابيث ، فبادرت بالرحيل الى « جرينيتش » لتطمئن ، ولكن حيل بينها وبين ان ترى اخاها .. واذ ذاك تذكرت «بارنابى فيتزباتريك» وصيف الملك الصبى .. كانت السنوات الخمس التى انقضت مذ طوقت عنقه وقبلته ، قد حفلت باحداث تنوء بها خمسون سنة .. وكانت اقاويل السوء قد لطخت سمعة الاميرة الشابة التى كانت تجتاز العام التاسع عشر من عمرها ، ولكنها لم تحول الشاب عن عقيدته فيها .. فلم يك ثمة أتفه دليل على ما زعمته الشائعات من انها حملت من توم سيمور .. وكان اعتزالها العالم ، واقبالها على الدرس والتحصيل ، خير ما يشهد لها بانها ليست النزقة التى صورتها الدعايات ..

ولم يتردد الشاب فى ان يقابلها .. ورآها تسعى اليه وسط حدائق القصر الملكى ، كانها الطيف .. نحيلة ، شاحبة .. لا تكاد تمتاز بشىء من الجمال ، اللهم الا .. تلك العينين الزرقاوين العميقتى الغور ، اللتين سحرتاه حين تطلعتا اليه منذ سنوات خمس !.. وقبل أن يفكر فيما ينبغى أن يقول سمعها تقول :

– ما هذا الذى فعله « ددلى » ؟.. كيف يزوج ابنه من ليدى « جين جراى» فى مثل هذه العجلة التى توحى بانه يهدف الى غرض معين .. الى انه انما يسعى الى حكم انجلترا عن طريق ليدى جراى ، بان يحمل الملك فى ساعاته الاخيرة على أن يعدل نظام وراثة العرش ، ويعين جين خليفة له !

وأحس بقلق .. وقال متعللا : « لعل الدين يبرر ذلك يا صاحبة السمو .. فان الاميرة مارى من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .. وفى تبوئها العرش تهديد للكنيسة الانجليزية »

ولكن الاميرة اليزابيث كانت من أتباع الكنيسة الانجليزية ، فلم يك ثمة ما يبرر اقصائها عن وراثة الملك .. لكن « ددلى » كان قد رسم خطته على أنهما وليدتا زواجين غير شرعيين اقدم عليهما هنرى الثامن .. وما كان بحاجة الى كثير جهد لاقناع الملك الصغير برأيه ، اذ كان هذا ينقم على مارى انها كانت دائمة الشجار معه .. فى حين كانت الفضائح التى اثيرت حول اليزابيث لم تنس بعد !

ونجحت « بيس » فى أن تقنع « بارنابى » ، الذى لم يكن يفارق الملك ، بخطورة الموقف .. وبأن الشعب الانجليزى لن يقبل أن يعبث به « ددلى » فى

سبيل اطماعه ، وان رفع جين جراى الى العرش لن يؤدى الا الى حرب اهلية يقف فيها الشعب فى صف الوريثة الحقيقية ..

ووعدها الشاب وهو يقبل يدها ، بأن يقنع الملك بكل ما قالت ..

اعتقال وريثتى العرش !

◆ **ولكن** الملك لم يلبث أن مات ..

ورأى « ددلى » ، حرصا على نجاح خطته ، أن يعتقل الوريثتين الشرعيتين .. فاوفد لكل منهما فصيلة من الفرسان تدعوها الى لندن زعما بان اخاها كان يحتضر .. ولكن صديقا مخلصا من الوزراء استطاع أن ينذر «اليزابيث» فى الوقت المناسب .. فلاذت بفراشها وادعت المرض !

وهنا لجأ « ددلى » الى حيلة أخرى ، فعرض عليها رشوة ضخمة لتعترف باحقية جين جراى بولاية العرش .. وكانت اليزابيث تدرك انه المسيطر على الموقف ، فعمدت الى الحيلة .. قالت له : «لم تسعى الى الاتفاق معى ؟.. أن أختى وحدها هى صاحبة الحق ، اذ ليس لى فى العرش شىء طالما كانت هى على قيد الحياة»

ولم تكن تدرى اين كانت مارى : حرة او سجينة .. فى انجلترا او انها بادرت الى الفرار !؟

ونفذ ددلى خطته .. لكنه لم ينعم برفع زوجة ابنه الى العرش غير ايام .. ثم هب الشعب .. ورد العرش الى صاحبته .. الى الشقيقة الكبرى مارى تيودور ، فى سنة ١٥٥٣

وغادرت اليزابيث عزلتها ، لتجلس الى جوار اختها وهى تدخل لندن مظفرة ، بين آيات التكريم والتمجيد ..

شكوك .. بين الاختين !

◆ **وخيل** الى اليزابيث ان الحياة مقبلة على صفو دائم .. ولكن زواج مارى تيودور من ملك اسبانيا الكاثوليكى ، جعل شعب انجلترا يوجس خيفة على كنيسته البروتستانتية ، فاذا بثورة تشب ضد الكثلكة !.. واستطاعت مارى أن تخمد الثـــورة ، ولكنها ارتابت فى أن لاليزابيث يدا فى الامر ـ اذ كانت وريثتها التالية ، وكانت فى الوقت ذاته بروتستانتية ـ وكانت اليزابيث فى تلك الاثناء قد لاذت بقصر « هاتفيلد » فأرسلت مارى تدعوها الى لندن .. وأرسلتها خلسة الى « البرج » سجينة !.. ثم أوفدت اليهـــا من يدعوها

الى الاعتراف بالذنب والتماس المغفـرةمن الملكة ٠٠ ولكن اليزابيث أجابت فى اصرار وشمم :

– اننى أوثر أن أقضى فى هــذاالسجن عمرى كله ٠٠ واذا كان ثمـة دليل على أننى أسأت الى الملكة بالفكر ،أو القول ، أو العمل ، فلا ينبغى أن يكون للمغفرة والرحمة مجـال ، بل‌اننى أرجو أن تتخذ العدالة مجـراها ، ويطبق القانون !

على أن مارى لم تلبث أن صفحت‌عن أختها وأفرجت عنهـا ٠٠ وان لم تمر فترة سجنها فى « البرج » دون‌أثر فى حياة « بيس » ، فقد علمت وهى فى السجن أن أفراد أسرة «ددلى» كانوا نزلاء «البرج» مثلها ٠٠ وكانت « بيس » تعرف الابن الاصغر لددلى ٠٠ ومن ثم‌عملت على أن تراه ٠٠

وهمست الاحداث فى أذن التاريخ‌بلهجة مبهمة ، بأن الاميرة الشـابة تعودت بعد ذلك أن تتسلل الى « لورد روبرت ددلى » فى زنزانتـه ٠٠ وان الشهرين اللذين استضافهما السـجن‌فيهما ، شهدا مولد غرام جديد٠٠ لحمته المحنة ، وسداه الشعور بالغبن واليأس‌من العدالة ٠٠

وأفرج عن «ددلى» فى الوقت الـذى‌أفرج فيه عن «بيس» ، فلاذ بنورفولك مع زوجته الحسناء « ايمى روبسارت »

ولم تلبث‌اليزابيث أن عادت الى قصر « هاتفيـلد » فى خريف سنة ١٥٥٥ ، تبغى الفرار من حياة البلاط التى كانت تستثير شكوك أختها مارى نحوها ٠٠ وعادت تعكف على الدرس ، وتقسـم وقتها بينه وبين فلاحة البساتين وزراعة الاشجار فى حديقة القصر ٠٠

وفى أحد أيام نوفمبر سنة ١٥٥٨ ، وقفت الاميرة الشابة بين أشجارها ، تقلب فى يدها خاتما مجللا بالسـواد ، وتقرأ فى سواده رسالة صامتة : لقـد ماتت مارى ، وآن لاليزابيث أن تعتلى العرش ٠٠ كما تنبأت لها «كاترين بار»!

وتناوبها فيض من المشاعر المتضاربة ٠٠ لم تدر أتحزن أم تفرح ٠٠ أتستسلم



٠٠ تتسلل اليه في زنزانته



للأمل ، أم تتخذ من محن الماضى دروسا تدعوها الى شىء من التحفظ والتوجس ؟

وتكلم قلبها فى النهاية ، فترجم لسانها خفقاته الى كلمات لاتينية : « هذا تدبير الله ٠٠ وما أروعه فى نظرنا ! »

تزور عشيقها فى مخدعه !

◆ **وارتقت** «بيس» العرش ، فكانت أول ملكة من دم انجليزى خالص تعتليه ٠٠ وكانت الايام قد صقلتها ، والدراسات التى عكفت عليها بعد موت « توم سيمور » قد وسعت آفاق تفكيرها ٠٠ واقبل الشعب يلتف حولها فى لهفة ، بعد ان عاش طيلة حكم مارى خائفا على كنيسته ومذهبه البروتستانتى

وبدأ التاريخ يسجل أن اليزابيث وهبت نفسها لشعبها ودولتها ، حتى انها رفضت كل من تهافتوا يبغون الزواج منها ٠٠ ولكن همسات من وراء «كواليس» التاريخ ، تسربت الى ابواق الزمن ، تؤكد ان حياة «بيس» بعد التتويج لم تخل من رجال !

٠٠ وكان اول هؤلاء الرجال «روبرت ددلى» ــ عشيق السجن ــ الذى ما ان وليت العرش حتى قربته اليها وبوأته منصبا رفيعا فى بلاطها ٠٠ وترددت الهمسات فى البلاط ان «بيس» كانت ترفض من تقدموا لخطبتها من عواهل وامراء اوربا ، من اجل روبرت ٠٠ وان غرامها به جعلها لا تطيق بعدا عنه !

وكتب سفير اسبانيا لمولاه يقول : « **٠٠ ويقال ان جلالتها تزوره فى مخدعه فى الليل ٠٠ وقد اصبح الناس يتحدثون بهذا جهرا ، ويذهبون الى ان زوجته قد اصيبت بداء عضال ، وان الملكة اصبحت تترقب موتها لتتزوج من اللورد روبرت»**

وجزعت «كاترين اشلى» ــ الوصيفة الوفية العجوز ــ لما كان ينسج حول شرف مولاتها ، فراحت تتوسل اليها ان تقتل الفتنة بان تقصى عنها «روبرت» وتقبل من خطابها من ترى شعبها ميالا اليه ، فتسترد حب الشعب واحترامه ٠٠ ولكن «بيس» اصمت اذنيها ٠٠ ولعل الشبه بين شخصية « روبرت » وشخصية « توم سيمور » جعلها أشد تشبثا به !

الحادث الذى ما زال لغـزا !

◆ **وفى** تلك الاثناء كانت « ايمى » زوجة روبرت تعيش فى ريف مقاطعة « بيركشاير » ، وقد اطمأنت الى الهدوء ٠٠ وسلمت بأن اقامتها فى لندن ليست مما يرغب فيه زوجها ، السادر فى مفاتن مولاته !

ومع أنها ظلت مقيمة على حبه ، الا أنه لم يعد يحفل بها أو يأبه لمشاعرها٠٠ حتى وقع الحادث الذى اختلف الناس والمؤرخون فى تأويله وتفسيره :

ففى أحد أيام سبتمبر سنة ١٥٦٠ ، وجدت الزوجة المهجورة « ايمى » ميتة عند أسفل سلم دارها ، وقد دق عنقها !٠٠ وبادر رسول يحمل النبأ الى زوجها على صهوة جواد انطلق ينهب به الارض نهبا ٠٠ ولكنه التقى فى طريقه بالخادم الخاص لروبرت ، مقبلا ٠٠ فأزجى اليه النبأ ، ثم واصل انطلاقه ٠٠ بينما استأنف «بلونت» خادم الزوج رحلته

وقد روى بلونت فيما بعد أنه تبين أن «ايمى» صرفت خدمها فى ذلك الصباح ليشهدوا مهرجانا نادرا ، واستبقت صديقتين فى صحبتها ، ولكن أيا من هاتين الصديقتين لم تشهد مصرعها ٠٠ وقيل فى تفسير الحادث ان سلم الدار كان حلزونيا ضيقا ، لذلك لم يكن غريبا أن تزل قدم « ايمى » وهى تهبط درجاته ، فتهوى ، ويدق عنقها ٠٠

ولكن ، أحقا كان مصرعها مجرد حادث من تدبير القدر ؟

أم تراه كان مدبرا ؟٠٠ لقد كانت « ايمى » حجر عثرة فى طريق زواج « ددلى » من سيدة البلاد ٠٠ وقد تناثرت الاشاعات من قبل حول أنه كان يدبر الطرق ليقضى عليها بالسم ٠٠ بل ذهبت الى أنه عهد بالفعل الى سير ريتشارد فيرنى ـ أحد وجهاء (وارويكشاير) ـ أن يغتالها بأى الطرق ، وان فيرنى طلب الى طبيب الملكة أن يعد للغريمة نوعا من السم ، ولكن الطبيب أبى ذلك٠٠ ومن ثم استعان فيرنى بشخص يثق فيه ، ودبر خطة لاخلاء البيت الذى كانت « ايمى » تقيم فيه ، من الخدم ٠٠ ثم ألقى بها من قمة السلم فدق عنقها !

على أن التاريخ يهدهد احتمالا ثالثا لعل فيه حلا للغز : لم لا تكون الزوجة المنبوذة قد انتحرت ٠٠ اذ أيقنت أن لا أمل لها فى أن تسترد زوجها الحبيب الذى فتنه حب الملكة ، وأعشت بصره أضواء البلاط ، فلم يشفق على قلبها الذى كان يعمر بحبه أن يصدم ٠٠ بل نبذها وراح يدبر الخطط للتخلص منها !

أما القضاء فقد انتهى الى أن الحادث كان من تدبير القدر وحده !

وأما الشعب فقد ظل يتأرجح فى دوامة تكهناته وتقولاته ٠٠ حتى الآن !

ومع أن « ددلى » لم يتزوج من مولاته ، الا أنه ظل فى رضاها يثرى ويرتفع ٠٠ وبقى التاريخ حتى يومنا هذا يتساءل : هل قتل روبرت زوجته ٠٠ أو أنها انتحرت٠٠ أو ماتت قضاء وقدرا ؟

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ..

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هـذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كمـا كتبهـا أديب من أسرته وذوى قرباه هو « ليون دوديه »

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس البـاب « اعترافات جان جاك روسو » وهـو الكتاب الذى فتح فى الادب « الشخصى » فتحا جـديدا ، اذ كان أول كتاب يتحـدث فيه أديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسـناته بصراحة وجرأة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

وفى الاعداد الثمانية الماضـية من «كتابى» قدمت لك الفصـول الاولى من الكتاب الممتع الذى أصدره الاديب العالمى « أندريه موروا » منذ أسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة «جورج صاند» ، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيلى .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم أقدم لك الفصـل الاخير من هذا الكتاب الشائق



اندريه موروا

حياة جورج صاند
(ليليا)

خلاصة ما نشر

◆ **انحدرت** « جورج صاند » من سلالة عجيبة ، كان منها ملوك ، وقادة ، وراهبات ، وممثلات ٠٠ وكان لكل نساء الاسرة عشاق ، فتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فيها، ولكن الازواج كانوا يعترفون بأبوتهم لهم ، فيحظون بالثراء والترف ٠٠

وكانت أم « صاند » عشيقة للقائد الذى كان أبوها يحارب تحت لوائه فى الحملة الايطالية٠٠ لذلك لم ترض أمه الارستقراطية المتزمتة عن زواجه ولا عن زوجته، فاضطرت هذه بعد وفاته فى حادث مفاجىء الى الرحيل الى باريس، تاركة طفلتها ـ وكانت فى الرابعة من عمرها ـ فى كنف جدتها التى عنيت بتعليمها وتثقيفها ٠٠ **الى أن قدر للصبية أن تعلم من جدتها بماضى أمها الملوث ، فتولتها أزمة نفسية أحنقتها على الجدة ، حتى اضطرت هذه الى أن تودعها أحد أديرة باريس ، الى أن أشرفت على السابعة عشرة ،** فأخرجتها لتعدها للزواج ، ولكنها ماتت قبل أن تحقق أمنيتها ٠٠ فاضطرت الفتاة الى أن تعيش مع أمها ، نصف المجنونة التى كادت تزوجها قسرا من رجل لم تكن تطيقه ٠٠

زواج ٠٠ وغرام ٠٠ وفضيحة

◆ وفى ضيعة أسرة صديقة ، التقت الفتاة بضابط شاب يدعى « كازيمير دوديفان » ، أعجبها فقبلت الزواج منه ٠٠ **ولكنها تبينت ـ سيما بعد أن رزقت منه بابنها « موريس » ـ ان بين طباع زوجها وطباعها تباينا كبيرا ٠٠ كانت تهوى الادب والفن ، وكان هو جهولا جامد الحس ٠٠ وحتى فى علاقتهما الجنسية ، كان ثمة تنافر بين شهوانية الزوج وبرود الزوجة التى كانت تصبو الى الحب الروحى ٠٠**

وفى غمرة هذه العزلة النفسية الموحشة ، التقت الزوجة بالمحامى الشاب « أوريليان دى سيز » ٠٠ فسرعان ما نشأ بينهما حب عفيف طاهر لم تشبه صلة جسدية ـ حتى لقد اقتنع الزوج ببراءته ، ورضى به ـ **ولكنها لم تلبث أن تبينت استحالة البقاء على الحب دون أن تهب عاشقها جسدها ٠٠ فتحولت عن المحامى الى شاب كان أول من أيقظ أنوثتها فى صباها ، هو « ستيفان دى جراندسانى » ٠٠ فلم تلبث رائحة الفضيحة أن أخذت تفوح ، لا سيما حين راحت تتسكع معه علنا فى باريس ٠٠ ثم حين ولدت ابنتها « سولانج » بعد تسعة شهور من اقامتها فى باريس !**

غرام أورثها اسمها الادبى !

ثم تعرفت أثناء مقامها فى ضيعتها بنوهان ، بشاب كان يدرس القانون يدعى « جول صاندو » ٠٠ فمنحته نفسها ٠٠ ثم رحلت الى باريس وراءه ، تاركة زوجها على وعد بأن تقسم أشهر العام مناصفة بين « نوهان » و «باريس»

كانت يومئذ فى السابعة والعشرين ٠٠ وفى العاصمة جمع العاشقان حولهما صالونا أدبيا صغيرا من الشباب ، وتحررت الزوجة من كل قيد لتندمج فى الحياة البوهيمية ٠٠ وكان الدخل الذى يصلها من ضيعتها فى « نوهان » لا يكفى نفقاتها ، فاضطرت الى احتراف الكتابة ، وكانت توقع باسم عشيقها « صاندو » ، حتى اذا ألفت بالاشتراك معه قصة طويلة لقيت رواجا ، أقدمت على تأليف قصة جديدة بمفردها ، فلما أبى عاشقها أن يضع اسمه عليها دون أن يكون قد ساهم فى كتابتها ، انتحلت لنفسها اسما مقتبسا من اسمه ، هو «جورج صاند » !

ونجحت « صاند » ٠٠ وتهافت الناشرون على انتاجها ٠٠

قصتها الخالدة مع « الفريد دى موسيه »

وكان لابد لغرامها بالشاب صاندو من نهاية ٠٠ ولكنها ظلت ظامئة الى الحب ٠٠ **وفى تلك الاثناء التقت بالشاعر الشاب « الفريد دى موسيه » ، وكان منغمسا فى الخمر والافيون وأحضان العاهرات ٠٠ وترددت حين صارحها بحبه ٠٠ فلما بكى استسلمت له !**

وأطلق الغرام الجديد ألسنة الحاسدين ، ولكن صاند استمرأته وسعدت به ٠٠ غير انها ما لبثت ان وجدت نفسها ازاء رجل مزدوج الشخصية ٠٠ كان كريما ، فنانا ، رقيق الحس ٠٠ ولكنه كان يقع فى بعض الاحيان فريسة نوبات هستيرية تجعل منه شيطانا مريدا ، يشعر بلذة جامحة للشر ٠٠ وكانت كلما برمت بصلتها به ، استغل رقة شعورها ، وأسرف فى اظهار الضعف ، الى أن تلين له فيتحول ساعيا الى ايلامها !

وصحبته فى رحلة الى ايطاليا ٠٠ وفى هذه الرحلة ، كشف « موسيه » عن ضيقه بما تسميه « الحب الرزين » وتاق الى الاندفاع الاهوج الذى اعتاده من قبل٠٠ وانطلق وراء النساء والخمر٠٠وصارحها بأنه لا يحبها٠٠فودت لو ترحل لولا اشفاقها عليه ٠٠

عشيق من ايطاليا !

وأصيب « موسيه » بحمى مخية ، أو تيفويد ، كانت تنتابه خلالها نوبات رهيبة ٠٠ جنونية ٠٠ فتوفرت على العناية به كما لو كانت أما رؤوما ٠٠ **لكنها لم تلبث أن أحبت الطبيب الذى استحضرته لعلاجه ! ٠٠ وودعت «موسيه» حين استطاع السفر الى باريس وداع الام الحنون ، ثم بقيت مع « باجيللو » ـ الطبيب ـ فى البندقية خمسة شهور ، صحبته بعدها الى باريس ٠٠**

وكانت رائحة الفضيحة قد سبقتها الى العاصمة فاستقبلها الرأى العام باعراض واضح ٠٠ وكانت قد ضاقت بما كان يبديه الطبيب الايطالى من غيرة مشتعلة ٠٠ فلم ينقض شهران على عودتها الى باريس حتى ارتد موسيه اليها ٠٠ فهجرت الطبيب ، الذى بادر بالعودة الى بلاده ٠٠ واستمرأت صاند وموسيه الغرام من جديد ٠٠ ولكن سعادتهما لم تطل ٠٠ وجاهر موسيه برغبته فى القطيعة ٠٠ وأعرض عن رسائلها وتوسلاتها ٠٠

والآن تستطيع أن تتابع القراءة ٠٠

خصلات من شعر !

◆ **ولم** يأت ديسمبر حتى كان احتمالها قد بلغ غايتـــه ، فرحلت الى «نوهان» ٠٠ وهناك بلغها أنه قال لصديق له ان هذه القطيعة باترة لا رجعة فيها ، فكانت صدمة قاسية لم تحتملها ٠٠ **وأسرعت تقص شعرها الجميل ثم أرسلته له ! ٠٠ فما ان تسلم موسيه الجدائل السوداء الكثة ، حتى انفجر باكيا ٠٠ واستردته جورج !**

ولكن كلا منهما كان مجنونا بأسوأ الخيالات الوهمية ! كان كلاهما يصبو الى « الحب المطلق » ٠٠ ومن قطيعة الى أخرى ، ومن صلح الى آخر ، كان غرامهما المحتضر يتلوى ويرتجف مقتربا من النهاية ٠٠ كانا كرجلين يتصارعان فى استماتة ، وقد لطخ كل منهما بالدم والعرق ، واشتبكا وأخذ كل ينهال باللكمات على الآخر ، دون أن يقوى النظارة على التفريق بينهما ٠٠ حتى لقد هدد موسيه فى احدى المرات بقتلها ! ٠٠ ثم انقلب ينشد لقاء أخيرا قبل أن ترحل ٠٠ ولكنها تحايلت على الرحيل قبل أن يفطن ، وقبل أن تمكنه من لقائها ٠٠ وانطلقت فى ٩ مارس الى «نوهان»

على أنه لم يلبث أن شفى من تباريح هواه ، وبرىء من الشعور بالالم ، فاذا هو ـ وقد استيقظ الفنان فيه ـ ينكأ جراحه ليستلهمها قصائده وبدائع فنه !

وظهر الكتاب الذى كان قد وعد صاند بأن يكتبه عن هواهما فى سنة ١٨٣٥ تحت عنوان « اعترافات فتى العصر » ، فاذا هو قد رسم صورة دقيقة لجورج صاند تحت اسم « بريجيت بيرسن » ، ولكن دون مرارة أو سخيمة ، بل وفى شىء من الاحترام والتبجيل ! ٠٠ وكم بكت صاند حين قرأت الكتاب ، فكتبت اليه تقول انها أحبته كل الحب ، وغفرت له كل شىء ٠٠ لكنها لا تود أن تراه!

وذات يوم ، التقى بها موسيه فى أحد المسارح أثناء رحلة قام بها فى ضواحى فونتينبلو ، فاذا بها لا تزال شابة ، غضة ، جميلة ٠٠ وكانت على شفتيها ضحكة هانئة ٠٠ وأخذت ترمقه كما ترمقه أية غريبة ٠٠ وفى تلك الليلة ، نظم قصيدته « ذكرى » ، التى قال فيها ان الحب ينقضى ٠٠ وكل مشاعر البشر تنقضى ٠٠ حتى البشر أنفسهم ينقضون ويزولون !

الباحثة عن الله !

◆ وفى الشهور التالية عاودت جورج صاند نزعتها الصوفية التى راودتها لاول مرة فى شبابها الباكر أثناء اقامتها فى الدير ، فبدأت تتجه الآن الى الله ، حتى انها أرسلت يوما تطلب نسخة من القرآن ، كما عكفت على قراءة كتب الدين والفلسفة ٠٠ وكانت تتطلع الى سماء « نوهان » المعتمة ، فى دياجير الليل ، تحاول أن ترى الله ٠٠ وراحت تناديه وتناجيه ٠٠ ولكن قلبها كان يرزح تحت ركام من القنوط ، فخيل اليها ان الله نبذها وأسلمها لما فى الارض من ضعف وجهل وشقوة ٠٠ وهكذا ، يئست من الله ، كما يئست من الحب ! ٠٠ وتاقت الى أن تهب نفسها لغرض جليل ، وان تستغل تلك الحيوية الطاغية فى أعماقها لكى تحرر نفسها من الانانية والكبرياء ! ٠٠ ولكنها لم تجد من توجه اليه تلك الحيوية بما تنطوى عليه من عواطف ومشاعر وأحاسيس ، سيما وقد كان ابنها وابنتها فى مدرستيهما بعيدين عنها ٠٠

وفى تلك الاثناء ، التقت بمحام من الجمهوريين المتطرفين ، يدعى « ميشيل دو بورج » ، فاذا القلب الذى أيقنت انه لن يخفق لرجل بعد « موسيه » و « باجيللو » يخفق لهذا المحامى اللبق ، حتى انها قدمت اليه خاتما يحمل تاريخ ٩ أبريل سنة ١٨٣٥ ، تذكارا لاولى لياليهما ، رغم أنها لم تكن قد تعرفت به قبل ٧ أبريل !؟ ٠٠ ورأت فيه الشخص الذى طالما صبت اليه منذ وعت الحياة ، ولكن٠٠ ولكنها اصطدمت به فى الرأى السياسى ، فقد كانت تهدف الى الحب والعدالة ـ حتى فى السياسة ـ بينما كان ميشيل يرى الحكم غاية و«المقصلة» وسيلة ! ٠٠ وحاولت جاهدة أن تثنيه عن اتجاهاته ، لكنه تصدى لها فى قوة أحبتها فيه ، اذ وجدت ـ للمرة الاولى ـ رجلا أقوى منها عزيمة وارادة !

وفى نهاية أبريل ، رحل ميشيل الى باريس ليشترك فى كبرى المحاكمات السياسية فى ذلك العام ـ محاكمة ثوار ليون ـ ورحلت هى وراءه ٠٠ وكان يعود فى نهاية كل نهار مرهقا لفرط ما كان يبذل من جهود فى الدفاع ، فتتلقاه فى حنان ،وتمسح بعواطفها كل ارهاق ٠٠

ولكن نزوعه الى العنف فى اتجاهاته السياسية والى اراقة الدماء ، لم يلبث ان أسقمها ٠٠ وبعد ان كانت تجد فى معارضته وتشبثه بأرائه لذة ، غدت تنفر من مسلكه ٠٠ فقد كانت لا تتزحزح عن ايمانها بالعدالة والحب والحرية ٠٠

وفى أثناء مقامها بباريس ، عرفها « موسيه » بصديق له موسيقى هو « فرانز ليست » ٠٠ ومع ان جورج صاند كانت تهوى الموسيقى ـ بالفطرة والوراثة ! ـ الا أن الموسيقى لم تكن القوة التى اجتذبتها الى « ليست » ، وانما اجتذبها اليه نوع من التصوف الروحى كان قد جنح اليه في تلك

المرحلة من شبابه ٠٠ كان مثلها مفعما بالرحمة ، تواقا الى المعرفة ، وأعجبها فيه شبابه ووسامته وموسيقاه ٠٠ وأعجبته فيها قصصها ، وروحها الشاعرية، وخيالها المتقد ٠٠ .

وودت جورج لو تتخذه عشيقا ، لولا ان علمت انه كان على علاقة بكونتيس ضحت من أجله بأسرتها ، وحملت منه ، وأبدت استعدادها لان تضحى بحبها وحملها ليخلو الى علاقته الجديدة ٠٠ فاذا بصاند تتأثر لروح التضحية النبيلة، فتنزل لها عنه ٠٠ بنفس التضحية الخالصة والايثار النبيل !

وفى عامى ١٨٣٥ و١٨٣٦ مرت بجورج صاند أويقات عصبية من جراء المنازعات القضائية التى قامت بينها وبين زوجها « كازيمير دوديفان » ، حتى انتهى القضاء الى الفصل بينهما ٠٠ وقبلت صاند ان تدع ابنها موريس فى رعاية أبيه ، قانعة بان تبقى ابنتها سولانج فى حضانتها٠٠

وكانت الفترة التالية من حياتها فترة قلقة ، حائرة ، تقلبت خلالها بين الاصدقاء ، ولكن فى علاقات عابرة ٠٠ وتعرفت فى تلك الاثناء بالاب دولامينيه، وهو قس كان يدعو الى مدرسة جديدة يخلط فيها بين الدين والسياسة، ولكنه لم يكن يقوى على المضى وحده ، فتطوعت للاخذ بيده ، وكانت تتبرع له بالمقالات ينشرها فى صحيفته « لوموند » دون مقابل ، وتأويه فى دارها تسبغ عليه من كرمها ، وتعنى به ، وبصحته ٠٠ ولكن القس السياسى - أو السياسى القس - لم يعرف كيف يفهم جورج صاند ويعاملها ٠٠ وأذهلته بعض آرائها ، كمطالبتها بالمساواة بين الجنسين فى الحب !٠٠ وأخذ يعارضها ويحاول توجيهها ، فصبرت فى البداية ٠٠ ثم ما لبثت أن ضاقت بالمعارضة والتوجيه ففترت علاقتها به ٠٠

لقاؤها مع شوبان !

◆ **وكان** صيف سنة ١٨٣٧ من أكثر الفصول جلبا للملل والسقم ، بيد أن أصدقاء جورج صاند لم يلبثوا أن لاحظوا أن بين من اتجهت اليهم أفكارها فى غمرة اضطراب عواطفها ، شابا بولنديا برع فى العزف على البيانو ٠٠ وقد سعت صاند جاهدة كى تجتذبه الى نوهان

ولاح كأنما كانت الاقدار تسوق صاند الى أن تلوذ بشوبان ٠٠ ذلك اللاجىء التعس المرهف الاحاسيس ، المشبوب الحنين الى وطنه وأهله ٠٠ فقد كان يصغر صاند بسبع سنوات تقريبا ، وكان ضعيفا ، معلولا ٠٠ فكان خير شخص تستطيع أن تجمع فى حبه بين العشق والامومة ٠٠ فتتخذه فى آن واحد خليلا وابنا !

بيد أن اجتذابه اليها كان من أشق المهام ٠٠ اذ كان عزوفا عن الناس ، يهاب النقاش الصاخب ، والفضائح ٠٠ وكان لقاؤهما الاول قد بعث فى نفسه

فكرة غير مشجعة عن هذه الروائية التى ترتدى زى الرجال وتدخن السيجار ، وتحدث الاصدقاء العاديين دون ما كلفة ، والتى أشاحت عنها جميع الاوساط عدا الوسط الفنى ، والتى كانت لا تكف عن الحديث عن نظرياتها الاشتراكية والديموقراطية

غير أنه رضى بلقائها حين عادت الى باريس فى أكتوبر سنة ١٨٣٧ ، اذ كان يرزح تحت تعاسة فادحة ، بعد أن اضطرت الفتاة البولندية التى كان يصبو للزواج منها الى أن تكف عن رؤيته خضوعا لاوامر أبويها !٠٠ ومع أنه لم يبث أحدا أساه ، الا أنه كان يهفو الى من يواسيه ٠٠ وكانت جورج صاند خير من يغذيه بالمواساة !

رحلة الى « مايوركا »

◆ وتكرر لقاؤهما فى المرات العديدة التى ترددت فيها على باريس خلال ربيع سنة ١٨٣٨ ٠٠ وكانا يتخيران الامسيات للقاء ، فيخلو كل الى الآخر ٠٠ وسرعان ما خبت ذكرى الفتاة البولندية من فؤاد شوبان ، وقبل فى خريف ذلك العام أن يرافق صاند فى رحلة الى جزيرة « مايوركا » التى خيل اليها أنها قد تجد فيها ما كانت تصبو اليه من سكينة وهدوء ، بعد أن قضت سنوات خمسا فى متاعب وشجون وعناء ٠٠

وبلغا « بالما » - عاصمة الجزيرة - فى نوفمبر سنة ١٨٣٨ فاذا فى استقبالهما شمس دافئة ، وسماء صحوة ، وطبيعة تجلت فى أبهى آيات الجمال ٠٠ وأتم الحب باقى عناصر النعيم الهانىء الذى كانا ينشدانه ، فراحا يقضيان النهار فى تكاسل واسترخاء ، والليل فى خلوات شاعرية ٠٠ ولكن الشتاء أقبل مع ديسمبر ، فاذا البيت الذى استأجراه يستحيل الى كتلة من الاسفنج تحت الامطار ، ويتداعى للرياح اذا ما هبت ٠٠ ولم يحتمل شوبان المعلول هذا الجو ، فأخذت نوبات السعال تنتابه تباعا فى الحاح وقسوة ، حتى بدأ الاهالى يشيحون عنهما ، بل ويقسون عليهما ، اذ ارتابوا فى أن يكون الشاب الناحل مصابا بالسل - وكان داء يرهبه الناس اذ لم يكن له دواء - فاضطر العاشقان الى مغادرة البيت الذى كانا يستأجرانه ، بل الى مغادرة البلدة بأسرها الى التلال المجاورة ، ليقيما فى دير مهجور متداعى البنيان ٠٠

وراح شوبان يذبل ويزداد ضعفا وهزالا ٠٠ ومع ذلك لم يكف عن العمل والتأليف ٠٠ غير أنه لم يلبث أن كره « مايوركا » وأصابه الذعر منها ٠٠ وانتهى بالعاشقين الامر الى أن قررا النزوح الى برشلونة ٠٠ فاذا الرحلة تزيد الطين بلة ، اذ كانت على السفينة التى استقلاها شحنة من الخنازير ٠٠ فضلا عن أن ربانها خشى ان هو أفرد لشوبان حجرة مريحة أن يترك فيها الشاب التعس عدوى دائه ، فأنزله فى حجرة مزرية ٠٠ وأخذ شوبان يبصق دما ٠٠

ثم ازداد نزيف رئتيه رويدا ، حتى أنه كان على شفا الموت حين بلغ برشلونة ٠٠ وبفضل عناية طبيب الباخرة الفرنسية التى أقلتهما من هناك ، تمكن العاشقان من أن يصلا الى مرسيليا سالمين ، ولكن صحة شوبان لم تكن تحتمل مزيدا ، فاستقرا هناك حتى نهاية شهر مايو سنة ١٨٣٩ ، ثم رحلا الى (نوهان) ٠٠

ريح من السعادة

◆ **واستقرت** الاسرة فى (نوهان) ، وقد غدت جورج مسئولة عن شوبان وموريس وسولانج ، فعولت على أن تعيش لهم ولفنها ٠٠ وشعر جميع أصدقائها بأن تحولا قد ألم بحياتها فجعلها تميل الى الهدوء والى أداء واجباتها كأم وربة أسرة فحسب ٠٠

وكان الصيف الاول فى (نوهان) مفعما بالسعادة ، وان كان شوبان لم يعشق الريف ٠٠ « كان فى الواقع لا يحتمل (نوهان) ولا يطيقها ٠٠ وكان يخرج من حين الى آخر فى نزهات على القدمين ، فيجلس تحت شجرة ٠٠ أو يقتطف زهرة ٠٠ ثم يعود الى البيت فيلزم غرفته » ٠٠ وهكذا لم يكن يشاطر جورج وطفليها الحياة التى طابت لهم فى الخلاء والهواء الطلق ٠٠ على أن صحته كانت فى تحسن ، ولم يكن ليكف عن العزف والتلحين من الصباح حتى المساء ٠٠

وعرف شوبان طعم الهناء الحق ٠٠ وبدأ أثر صاند واضحا فى انتاجه وحياته فى الفترة بين سنتى ١٨٤٠ و ١٨٤٥ ٠٠ غير أن أمد الهناء لم يكن طويلا ٠٠ كان المرض يعاوده فيعكر صفو حياته ٠٠ والقلق والحيرة يتنابان روحه من آن لآخر ٠٠ وكانت صاند تعانى وتحتمل فى صمت ، حتى لقد كتبت فى سنة ١٨٤٧ عن هذه الفترة تقول : « لقد عشت سبع سنوات عيش العذارى سواء معه أو مع سواه ، حتى شخت قبل أوانى ٠٠ واذا كان ثمة امرأة تستطيع أن تبث فى نفسه الثقة المطلقة ، فلن تكون سواى ، ومع ذلك فهو قط لم يدرك ولم يفهم ! »

ذلك لانه كان فى بعض الاحيان يشعر بأنه فى الواقع عالة عليها ، فكان هذا الهوان يشعره بالنقص ٠٠ وكان ضعفه واعتلاله يضاعفان من هذا الشعور ٠٠ ثم كانت أعصابه المهلهلة تزيد الوطأة ٠٠ كان لا يكاد يتفق معها فى رأى اذا تناقشا فى المسائل السياسية ٠٠ ولا يحتمل بعض الرجال الذين تعجب بهم جورج ، فيهاجمهم بعنف كلما دافعت هى عنهم بحرارة وتحمس !

غير أن الحنان المتبادل بينهما كان قوى الاسس ٠٠ اذ كان شوبان فى الواقع مغرما بجورج ، وكانت هى تكن له أرق مشاعر الامومة ٠٠ كانت تعجب بنبوغه الموسيقى ، وكان يعجب بعبقريتها الادبية ٠٠ ولكن صاند لم تعد

قانعة به كحبيب ، وان ظلت توليه حنان الامومة ٠٠ ولم يكن فى هـذا ما يكفيها ، فكانت تندم أحيانا ، وتأسى أحيانا ، وتضيق مللا فى أحيان أخرى ٠٠ ومع ذلك ، فان حنانها نحوه كان كفيلا بأن يبقى على علاقتهما ، لولا تدخـل الآخرين !

ففى سنة ١٨٤٥ ضمت صاند الى الاسرة المقيمة فى (نوهان) فتـاة ذات قرابة بعيدة لها ـ ولم تلبث أن تبنتها ـ تلك هى « أوجستين برو » ٠٠ وكانت « سولانج » فى تلك الاثناء تعيش بلا رقيب ولا حسيب ، فلم تلبث فى خريف ذلك العام أن أعلنت خطبتها الى شاب كان فى الواقع جميـلا ، عريق الاصل ، ينتمى الى أسرة ثرية ، فلم تجد صاند داعيـا للمعـارضة ٠٠ وان كانت لم تجد ـ فى الوقت ذاته ـ داعيا للتعجل فى الزواج ٠٠

« نحات » وصـولى !

◆ وكانت الام ترقب من طرف اخر موريس واوجستين ، تـود لو انهما ائتلفا ٠٠ ولكن الفتى كان متقلب المشاعر ، متردد الفكر ٠٠ ثم حـدث أن دبت فى نفس سولانج غيرة غريبة نحو أوجستين ، فأوعزت الى شوبان بأن الفتاة خليلة لموريس ، فاستشاط شـوبان سخطا ٠٠ وتكهرب جو (نوهان) وراح يتلبد بالمشاحنات والشقاق !

وفى نوفمبر سنة ١٨٤٦ ، غادر شـوبان (نوهان) ـ دون ان يخطر له أن قد قدر له أن لا يعـود اليها قط ! ـ ومع أنه ظل يبعث برسائل ودية لصاند ، الا أنه كان يسخر ـ فى خطـاباته لسواها ـ من الاسرة التى استضافته سنوات ٠٠

وكان الاستعداد لزواج سولانج يمضى قدما ٠٠ حتى اذا ذهبت الفتـاة الى باريس مع أمها ـ فى أوائل سنة ١٨٤٧ ـ لتعد ثيابها ، اذا بفـارس ، ترك الجندية ليتحول الى ناحت تماثيل ، يقحم نفسه عليهما ، ويصر على أن ينحت لهما تمثالين من الرخام ٠٠ وفعلا نحت لسولانج تمثالا يصـورها فى شكل صائدة ، وقد تشعث شعرها وتعرى كتفاها ٠٠ فاستشاط خطيبها غيرة وفسخ خطبته لها ! ٠٠ وسرعان ما تقدم ذلك المثـال ـ وكان يدعى « أوجيست كليسنجر » ـ ومازال بصاند حتى حملها على الموافقة على زواجه من سولانج ، فتم هـذا الزواج فى ٢٠ مايو ٠٠ واستقر الزوجان ـ بعد رحلة قصيرة ـ فى دار صاند بنوهان ٠٠

وفى تلك الاثناء ، كان موريس قد دعا صديقا له يدعى « تيودور روسو » الى نوهان ، فاذا الشاب يقع فى هوى أوجستين ، وكانت صاند تشعر أنهـا مدينة للفتاة ببعض التجاوب العاطفى ، فأنبأت « روسو » بأنها على استعداد ـ اذا صـدق فى عزمه على الزواج منهـا ـ لان تمنحها صداقا قدره ألف

فرنك ، فاذا بهذا السخاء يذكى الغيرة والكراهيـة فى قلب سولانج ، حتى لقد عملت جاهدة على الوقيعـة بين الحبيبين ، وتنفير روسـو من أوجستين !

وثارت صاند على ابنتها ٠٠ وشب فى دار الاسرة نزاع حاد ، هم فيـه « كليسنجر » بأن يهـوى على رأس موريس بمطرقة ، فاذا صاند تنقض عليه بقوة خارقة ، وسولانج تذكى أوار الشجار ٠٠ وانتهى الامر برحيل الابنة وزوجها المثال ٠٠ وكتبت صاند الى صديقة لها تقول : « رحل الزوجان الشيطانان ٠٠ قط لا اريد ان اراهما ثانية ٠٠ وابدا لن تجتاز اقدامهما عتبة دارى ٠٠ يا الهى العزيز ٠٠ ماذا فعلت لتكون لى مثل هذه الابنة ! »

الغيرة والوشاية ٠٠ تفضيان الى القطيعة !

◆ **وكانت** سولانج تعرف مـدى مكانتها وتأثيرها على شوبان ، فعملت - بمساعدة نفس الصديقة التى كتبت لها صاند السطور السالفة - على ايغار صدره ضد أمها ٠٠ **زعمت له أن الشجار انما نشب لان أمها صـارت عشيقة لشاب يدعى « فيكتور بورى » ، كان يشاطرها آراءها السياسية ، وكان كثير التردد على دارها فى (نوهان) ٠٠ وقد رغب اليها أن تقصى ابنتها وزوجها ليخـلو له الجو ٠٠ كما كان موريس يؤيده ليخلو له الجو بدوره كى يمضى فى علاقته بأوجستين ٠٠**

وكان شوبان على استعداد لان يصـدق كل هذه الافتراءات ، فكف عن الكتابة الى صاند ، ولم يجب دعوة كانت قد وجهتها اليه كى يلحق بها فى (نوهان) ٠٠ واستبد القلق بصاند ، وجزعت من انقطاع انبائه عنها ٠٠ وفى الوقت الذى كادت فيـه تقرر الرحيل الى باريس لتتحرى أمره ، وصل اليها خطاب منه قسا فيه عليها لما آمن به من افتراءات سولانج ، وانذرها فيه بالقطيعة !

وكتبت اليـه تصف له مدى ما كانت فيه من قلق ، وما قابلت به خطابه ، ثم قالت : « فليكن يا صديقى ٠٠ افعل ما ينبئك به قلبك ٠٠ أما ابنتى، فقد رضت نفسك على أن تعيرها أذنا صاغية ، ولعلك تصـدق فعلا ما تخبرك به ٠٠ ولن أزج بنفسى فى اللجاج ، فانه يملأ قلبى استبشاعا ٠٠ وخير لى أن اراك تقف فى صف العدوة عن ان أشهر سلاحى فى وجه هـذه العدوة التى أنجبتها من بدنى وغذوتها بلبنى ٠٠ فلتعن انت بنفسك ما دمت قد قررت - على ما يبدو لى - أن توليها ودك وتكرس لها نفسك ٠٠ أما أنا فلن أؤاخذك بهذا ، ولكنى أرجو أن تفهم ما أعنى اذا قلت أننى سـأتمسك بموقف الام الغاضبة ٠٠

« وداعا يا صديقى ، وارجو ان تشفى من جميع عللـك ٠٠ بل آمل

أن تكون الان بريئا منها ٠٠ فان صح ذلك ، فانى اقدم الشكر لله لهذه الخاتمة الخيالية لصداقة استوعبتنا معا تسع سنوات ٠٠ »

وكانت نهاية مؤسفة لحب قوى ٠٠ ولكن الاستياء يقلب أحيانا الحب الى كراهية ٠٠ وبقدر ما كان الهوى تكون البغضاء ٠٠ وهكذا لم تعد صاند منذ ذلك الحين تبغى أن تسمع عن شوبان الا ما يطمئنها على صحته فحسب !

وكان لقاؤهما الاخير – بعد تسعة شهور – محزنا بقدر ما كان عاديا ٠٠ فقد ذهب شوبان لزيارة صديقة له ، فاذا به يرى صاند أمامه ، وجها لوجه ٠٠ وكتب لسولانج يقول « وسألتها عن حالها وعما اذا كانت قد تلقت أنباء حديثة عنك ، فقالت : « تلقيت منها أنباء منذ أسبوع » ٠٠ قلت : «أولم تتلقى بالامس او امس الاول ؟» ٠٠ قالت : «كلا» ٠٠ قلت : «اذن دعينى أنبئك بأنك قد غدوت جدة ٠٠ فقد رزقت سولانج بابنة ٠٠ ويسرنى أن أكون أول من ينبئك بذلك » ٠٠ وأنحنيت ، ثم هبطت السلم ٠٠

ووصفت صاند من ناحيتها هذا اللقاء الاخير قائلة : « ظننت ان فراق بضعة شهور عنه كاف لان يبرىء الجرح ، ويمهد لصداقة هادئة ٠٠ لقد رايته للحظة قصيرة يومئذ ، فى مارس سنة ١٨٤٨ ، فتناولت يده ، واذا بها مثلوجة ترتجف ٠٠ ووددت لو اتحدث اليه ، ولكنه سرعان ما انصرف ٠٠ وكان يحق لى أن اقول انه لم يعد يحبنى ، ولكننى اعفيته من الالم ، وتركت كل شىء لله وللمستقبل ٠٠ بيد اننى لم اره بعد ذلك قط !»

خريف حياتها !

◆ **ان** سن اليأس لا تنال سوى من اولئك النسوة اللاتى حرمن حياة المراة ٠٠ اولئك اللاتى اذا ما بدأت الشيخوخة تنال من اجسامهن ، تملكتهن الحسرات الى حد التهوس ٠٠ **ولكن جورج صاند كانت قد عرفت الحب واكتنزت ثروة من مباهجه وامجاده ، فلم تهف اليه حين احست بالكبر ، اذ كان لها من ذكرياته غنى ٠٠ ولم تجزع لذبول جمالها ، اذ كان لها من شهرتها عوضا وضمانا طمأناها الى ان الناس لن تنبذها ٠٠ وفعلا ، ظلت صاند موضع تهافت ، وغدت فى دارها بنوهان كأم ذات جلال قدسى ، تتلقى آيات التكريم من اصدقاء ابنها موريس الذين كانوا دائمى التردد على الدار ٠٠ ولم تلبث ان ارتاحت الى شاب منهم يدعى «مانسو» فقربته اليها ، حتى غدا كالحوارى يلازمها ويعنى بشئونها ٠٠**

وكانت الحياة تسير فى الدار على وتيرة منتظمة ، مهما ازدحمت بالوافدين **٠٠وكانت جورج تتسلى بعد العشاء بلعب «الدومينو» ، ثم تجمع الحضور**

حول المائدة البيضاوية الكبيرة ، فيتولى احدهم القراءة بصوت مرتفع من احد الكتب التى كان كبار المؤلفين يبعثون بها اليها ، ثم يدور النقاش حول الموضوع ٠٠ وكثيرا ما كانت صاند تتركهم يتناقشون وتنصرف الى التطريز وحل الالغاز ، **حتى اذا انتصف الليل ، نهضت ٠٠ فيحمل لها «مانسو» المصباح الذى كان يوقد بالبترول ، ويرافقها حتى يسلمها الى مكتبها ، حيث تعكف على الكتابة حتى الساعة السادسة من الصباح التالى ، وهى لا تكف عن التدخين والقاء أعقاب اللفافات فى كوبة الماء !**

وفى الاصيل ، كانت تعنى بشئون الدار والحديقة رغم من كانت تزخر بهم الدار من خدم يفوق عددهم الثمانية ٠٠ وكان يحلو لها ان تصنع المربى بيديها وان تزهو بما كانت تبتدعه من اصنافها ٠٠

وكانت فى الحق سخية تجزل العطاء لخدمها ، وتأبى ان تفرق بينهم وبين سواهم ، اذ كانت ترى ان لا سيادة لامرىء على انسان حر ٠٠ ومن ثم فما الخدم الا عمال يجيدون الاعمال المنزلية ٠٠

لا سعادة فى العلاقات المحرمة !

◆ **واخذ** الزواج يشغل مكانة محترمة فى الكتب التى كانت تؤلفها فى تلك المرحلة ٠٠ وراحت تبشر بان الحب ارادة من الله يمليها على القلوب ، وانه يختلف عن الفريزة الحيوانية فى ان العقل يتحكم فيه ، فاذا ما اختار كان اختياره استسلاما للقلب والجسد معا ٠٠ الى الابد !٠٠ وفى كتاب «كونستانس فيرييه» ، تناولت تلك المشكلة الخالدة على لسان احد ابطالها : «وماذا يكون اذا مات الحب٠٠ ألا يجوز للمرء فى هذه الحال أن يبحث عنه فى مكان آخر؟»٠٠ ثم تحل المشكلة على لسان البطلة قائلة : «وفيم البحث فى مكان اخر ؟٠٠ جدير بك ان تستغل هذه القوة المنبعثة من القلب فى علاجه من نزوته الآثمة» ٠٠ **ومن ثم فلا سبيل للمرأة الى تذوق السعادة الزوجية الا اذا قتلت شيطان الشهوة فى نفسها ، وبدلا من ان تبحث عن خليل غير زوجها ، تسعى الى دراسة هذا الرجل الذى ارتبطت به حياتها ، والى التعرف عليه ، وفهمه !**

ولم يكن يحز فى نفس جورج سوى حال ابنها موريس ٠٠ كان يجيد كثيرا من الامور ، ولكنه لم يكن يذهب فى اجادتها الى حد الكمال ٠٠ وكأن شهرة امه كانت عبئا على كتفيه ، يعوقه عن الكفاح ٠٠ وكان قد اشرف على الاربعين ، ولا يمض الرجل فى هذه السن سوى ان يشعر ان ليس له من سمعة او مكانة الا تلك التى تسبغها عليه شهرة امه وعظمتها !

ولقد حاولت صاند ان توجهه ، ولكن فى رفق ولين ٠٠ وحاولت ان تحمله على الزواج ، فقد كانت تصبو الى ان تراه زوجا ٠٠ ولكنها اخفقت فى الناحيتين



وفى تلك الاثناء تملكتها رغبة مفاجئة فى ان تبتـــاع دارا صـــغيرة فى «جارجيليس» ، فاستأذنها «مانسو» فى ان تسمح له بان يبحث عن دار تلائم هواها ، فيبتاعها ويقدمها هدية لها ٠٠ وفعـــلا وفق الى دار جميـــلة عـــلى شاطىء النهر ، اصلحها ، واثثها ، ووهبها اياها ، فاغرمت بها ، واخذت تلوذ بها كلما احست بالرغبـة فى ان تنصرف الى العمل فى جو مشبع بالهدوء والسكينة ٠٠ وكان «مانسو» يلازمهـا دائما فى هذه الاعتكافات الناعمة ، يعنى بشئونها وقد شملتهما سعادة ضافية ٠٠

صديق الشيخوخة

على ان اعظم اصدقاء صاند فى شيخوختها لم يكن سوى «جوستاف فلوبير» مؤلف (مدام بوفارى) ٠٠ وقد بدأت علاقتهما تتوثق خلال رسائل كانا يتبادلانها بانتظام ٠٠ فكان يناديها بـ «استاذتى العزيزة» او «استاذتى الحبيبة» ٠٠ وكانت تناديه بـ «يا راهبى» او «يا شاعرى الصداح» ٠٠ اذ كانت تحب ان تشبه نفسها واياه فى اجتماعاتهما بجانب المدفأة ، بعصفورين على «ميناء» ساعة صنعت بخيال فنى رائع ، كتلك الساعات التى تقتنى للزينة اكثر منها للدلالة على الوقت !

والواقع ان الود المتبادل الذى جمع بينهما كان غريبا فى حد ذاته ، فقد كانا شخصيتين متناقضتين : كانت جورج بوهيمية تحب التنقل والترحال ٠٠ وكان فلوبير لا يطيق بعدا عن داره فى «كرواسيه» وعن مخطوطاته وما وفره لنفسه من اسباب الراحة ٠٠ **ولقد كان يبيت الليل مسهدا يفكر فى كلمة واحدة قد تستعصى عليه ٠٠ بينما كانت صاند تكتب ثلاثين صفحة فى الليلة الواحدة وتبدأ رواية جديدة بمجرد الفراغ من رواية اخرى !٠٠ وما ذلك الا لان فلوبير كان لا يعشق شيئا فى الحياة سوى الادب ، فى حين ان صاند اتخذت من التأليف موردا للرزق ، ولو انها وجدت مهنة اخرى لكان من من المحتمل ان تقبل عليها ٠٠** وقد كتبت له عن نفسها تقول : «اننى احب ترتيب الاشياء ، وفى نفسى كثير من خصال المدوسات ٠٠ ثم ان بى شغفا الى

الحياكة والعناية بنظافة الاطفال ، ومن ثم ففى اخلاقى الكثير من مؤهلات الخادمات» ٠٠ وكتبت له مرة اخرى تقول «ان الادب «المقدس» كما تدعوه، لا يشغل سوى المكانة الثانية فى حياتى ٠٠ ولقد كنت دائما احب بعض الاشخاص اكثر منه ، كما كنت احب اسرتى اكثر من هذا «البعض» ٠٠»

وكثيرا ما كانت خطاباتهما تمثل مساجلات ادبية رائعة ٠٠ كان فلوبير يرفض ان يكتب «الروايات ذات الهدف» او الروايات التى تستوحى من حياة الكاتب ٠٠ وقد برر ذلك بقوله : «ليس من حق الروائى ان يعبر عن رأيه الخاص فى اى شىء» ٠٠ فردت صاند عليه قائلة : «اعتقد ان على الفنان ان يعيش وفيا لطبيعته الى اقصى ما يستطيع ٠٠ »

وكانت خطاباتها له تتضمن احيانا نصحا وارشادا ٠٠ فكتبت له مرة تقول : « **لم لا تتزوج ؟٠٠ ان حياة الوحدة فظيعة ٠٠ انها موت ودمار لك ، وقسوة على من يحبونك ٠٠ ان خطاباتك مفعمة بالتعاسة حتى لتمزق قلبى ٠٠ أليست ثمة امرأة تعشقها أو تطمئن الى أنها تحبك ؟٠٠ أليس ثمة طفل تستطيع ان توحى لنفسك بانك ابوه ٠٠ ان وجد مثل هذا الطفل فكرس حياتك لتربيته ، واجعل من نفسك عبدا له ، وانس نفسك لتفكر فيه ٠٠** »

الجدة السعيدة

◆ **وعندما** قامت الحرب بين فرنسا وبروسيا فى سنة ١٨٧٠ ، كانت جورج صاند جدة تقدم احفادها على كل شىء فى الحياة ٠٠ اذ كان موريس قد تزوج وانجب ثلاث بنات اتحن لها ان تستغل ما فطرت عليه من خصال المربيات والمدرسات ٠٠ وكانت تجد فى العناية بهن لذة ما بعدها لذة ، وهناء لا يفوقه هناء ٠٠

وانقضت فترة لم يبد النقاد خلالها اهتماما برواياتها ، حتى فيكتور هوجو لم يخص مؤلفاتها بمقال يرد به ما كان لها من دين ادبى عليه ٠٠ فاخذت تحس ــ فى حياتها الادبية ــ بعزلة ٠٠ ولكنها سرعان ما وجدت عزاء فى قيام بعض أدباء الجيل الجديد بتمجيد آرائها واتجاهاتها الادبية ٠٠ كما راح « أناتول فرانس » ــ وكان اذ ذاك فى صدر شبابه وباكورة مجده ــ يمتدح نبوغها وعبقريتها ٠٠

ولم تشعر بالكبر حتى حين بلغت الثانية والستين ٠٠ ولكن الموت زائر مفاجىء ، يلج اية دار خلسة ودون استئذان او ضجيج ٠٠ ففى اول يونيو سنة ١٨٧٦ ، اصابت صاند وعكة مؤلمة : «كأن شيطانا ينشب مخالبه فى جوفى ! » ٠٠ وبلغ بها الالم انها كانت تصرخ وتبكى ٠٠ فلما عادها صديقها الدكتور «بابيه» تبين ان لا حيلة للطب فى مرضها ٠٠ ولم يكن بد من ان تعانى وتتألم وتتمنى الموت ، حتى اذا كان السابع من يونيو ، دعت اليها حفيداتها

الثلاث وقالت لهن : «الكم احبكن ايتها العزيزات . قبلنني .. ولتكن فتيات طيبات» .. وفى ليل ذلك اليوم ، راحت تصرخ مرارا : «دعنى أمت يا الهى! .. دعنى امت !»

واستجاب الله دعاءها فى الساعة السادسة من الصباح التالى !

«فلوبير» يرثيها «لترجنيف» !

ودفنت جورج صاند فى (نوهان) ، وكانت الريح تعوى وتعول .. وركعت جميع جاراتها الفلاحات حول ضريحها يصلين من اجلها .. وفى وسط هذا السكون الرهيب ، انطلق عصفور يغرد على حين غرة ، فلم يتمالك كثير من الحضور ان قالوا : « آه .. هذا خير حديث تتطلبه المناسبة»

وكتب فلوبير الى ترجنيف يقول : «لقد خلف لى موت أمنا المسكينة صاند الما لا حد له .. لقد بكيت حتى تقرح جفناى فى جنازتها .. بكيت مرتين : اولاهما حين احتضنت حفيدتها الصغيرة «اورور» ــ التى بدت عيناها شبيهتين بعينى صاند ، حتى لقد خيل الى أنها خرجت من قبرها ! ــ والثانية حين مروا بنعشها امامى .. يا للمرأة المسكينة ، الحبيبة ، العظيمة !.. لن يتسنى الا لأولئك الذين عرفوها كما عرفتها ، أن يتبينوا أى قدر من الانوثة كان فى ذلك الرجل العظيم !.. وما اعمق حنانها الذى كان جزءا لا يتجزأ من عبقريتهـا ! »

تم الكتاب

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات بتفتيش صحة مديرية القليوبية عن توريد الاغذية اللازمة لوحدات الوزارة بدائرة التفتيش عن عام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ لغاية الساعة الثانية عشر ظهرا من الايام المحددة أمام كل وحدة :

١ - مستعمرة الجذام بابى زعبل يوم ١٩٥٤/٤/١٣

٢ - مستعمرة الناقهين والمصح والمستوصف بالمرج يوم ١٩٥٤/٤/١٤

٣ - مستشفيات بندر بنها يوم ١٩٥٤/٤/١٥

٤ - مستشفيات بندر طوخ يوم ١٩٥٤/٤/١٧

٥ - مستشفيات بندر شبين القناطر يوم ١٩٥٤/٤/١٨

ويمكن الحصول على شروط المناقصة من الوحدات نفسها مقابل ١٥٠ مليما لكل قائمة يضاف اليه مبلغ ٣٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما .

٧٢٠٧

وزارة المواصلات

مصلحة البريد

اعــلان

- تقبل العطاءات بمكتب المدير العام لمصلحة البريد لغاية ظهر يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٥٤ عن توريد اكياس بأحجام وأنواع مختلفة لارساليات البريد لازمة فى السنة المالية ١٩٥٤/٥٣ وذلك حسب الشروط والمواصفات والعينات التى يمكن الاطلاع عليها بمكتب مدير مخازن البريد بالقاهرة فى مواعيد العمل الرسمية . وتطلب كراسات الشروط وقوائم الاصناف والمظاريف بالثمن وقدره ٢٣٠ (مائتان وثلاثون مليما لا غير) خلاف دمغة عليها .

وكل عطاء يرد غير مصحوب بالتأمين المؤقت كاملا - وقدره ٢٥٫٠٪ لا يلتفت اليه .

٧٢٧٢

اعــلان

يشهر مجلس السويس البلدى فى المناقصة العامة عن التوريدات الاتية :

١ - توريد أخشاب لشبكة الكهرباء وثمن النسخة من الشروط ١٠٠ مليم خلاف تمغة الطلب

٢ - توريد ٢٠٠ كانصوله حديد زاوية لشبكة الكهرباء وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم خلاف تمغة الطلب

٣ - بناء اربعة اكشاك للمحولات الكهربائية وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم خلاف تمغة الطلب

٤ - توريد كابلات مسلحة أرضى لشبكة الكهرباء وثمن النسخة من الشروط ٢٠٠ مليم خلاف تمغة الطلب

وقد تحدد لفتح المظاريف ظهر يوم ٣ مايو سنة ١٩٥٤ وتقدم الطلبات برسم بلدية السويس

٧٢٩٨



دائرة معارف
الثقافة العالمية

مطالعات

في الكتب والمجلات والموسوعات

ومشاهدات

في المسارح والمعارض
ودور السينما.

روضة الشعر

ليلة مايو

ترجمة الدكتور
محمد مندور

قدمت لك فى العدد الماضى الليلة الاولى من « ليالى » الشاعر الفرنسى الخالد « ألفريد دى موسيه » ، التى بكى بها غرامه الصريع لملهمته « جورج صاند » .. وفيما يلى الليلة الثانية من هذه الليالى الخالدة :

الهة الشعر : أى شاعرى ! خذ العود واشجنى بقبلة . ها براعم الورد تتفتح عن أزهارها ، وها الربيع يبعث هذا المساء فتلهب حرارته نسمات الرياح ، وقد أخذت البلابل تأوى الى ما اخضر من غصن فى انتظار ضياء الفجر .. أى شاعرى ! خذ العود واشجنى بقبلة !

الشاعر : ما أحلك ظلمة الوادى ؟ ما هذا الشبح الذى لاح لى عن بعد . أتى من المروج الى حافة الغابة وكأن أقدامه تمس الحشائش؟ يا لها من رؤيا عجيبة ! ها هى تتلاشى ثم تختفى !

الهة الشعر : أى شاعرى ! خذ العود فها الليل يرنح النسيم فى ردائه المعطر . وها عذارى الورود تضم أوراقها غيرى على صدفى الفراش فتميته من ثمل . اصغ الى صمت الوجود ، واذكر من أحببت

.. وها هو الشفق الآفل يرسبل خلال أغصان الصفصاف الداكنة آخر أشعته ، وداعا ما أرقه ! سيزدهر هذا المساء كل ما فى الوجود ، وستمتلىء الطبيعة الخالدة عطرا وهمسات وحبا ، كمخدع سعيد بعشاقه !

الشاعر : ما لقلبى يخفق حثيثا ؟ ما الذى يختلج به فيملأنى رعبا .. أما يدق طارق ببابى ؟ وما لمصباحى المتهافت يبهرنى ضياؤه ! الهى القدير ! ما لجسمى يرتعد ! من القادم ؟ من المنادى ؟ لا أحد ! انى وحيد والساعة تدق ! أيتها الوحدة ، أيها الشقاء !

الهة الشعر : أى شاعرى ! خذ العود ! ها رحيق الشباب يختمر فى عروق الآلهة ! وها قلبى تضنيه رغبات الحس الملحة ! وها هى الرياح تهب جافة فتضرم النار بشفتي ! أنظر أيها العزيز المتواني!

أنظر كم أنا جميلة ! أما تذكر قبلتنا الاولى عند ما مسك جناحى فشحب لونك وتساقطت دموعك فارتميت بأحضانى ملتمسا السلوى عن ألم مرير ! وا أسفاه ! لقد عاجلتك محن الحب صغيرا ! وها أنا هذا المساء أموت أملا ، ولا بد لى من الضراعة حتى أصل الى ضوء النهار ٠٠ أو ما تملك لى من سلوى ؟!

الشاعر : هل النداء نداؤك ربتى البائسة ٠٠ وهل أنت المنادى ، أيتها الزهرة المشرقة ، أيها الملاك الخالد ؟! وقد أمحى حبى من كل قلب الا من قلبك النقى الامين ؟ نعم ! ها أنت بشعرك الذهبى ، أنت الاخت الحبيبة ، وها رداؤك الذهبى يغمرنى فى أعماق الليل فتنساب أشعته الى قلبى ٠٠

الهة الشعر : أى شاعرى ! خذ العود ! فها أنا رمز حبك الخالد آتيك فى ظلام الليل وقد رأيتك حزينا صامتا ! أتيتك هابطة من السماء لأبكى معك كما تهبط الطيور لتحتضن فراخها ! هلم الى ! فما أشك فى أنك تألم أيها العزيز ، وما أريد أن ينفرد بك ذلك الالم المضنى! ما لقلبك يئن ! لقد أصبت من دنياك حبا على نحو ما نرى فى دنيانا ! أصبت ظلا من سعادة وسرابا من سرور ! هلم الى ولنغن سويا أمام الله ! لنغن هواجس نفسك ! لنغن ما أخطأك من سرور وما انصرم عنك من آلام ، ولنرتحل سويا فى قبلة الى عالم المجهول لنبعث ما نستطيع من أصداء حياتك ٠ لنتحدث عن السعادة والمجد والجنون ! وليكن كل ذلك حلما ! أول حلم يعرض ٠٠ لنبحث عن مستقر للنسيان ٠٠ لنرتحل سويا وحدنا فالعالم كله ملك لنا ! ها هى ايقوسيا الخضراء وها هى ايطاليا الداكنة وها هى أمى أرض اليونان حيث العسل عذب: « أرجوس » و « بليون » مدينة المقابر و « مسا » الالهية حيث يطيب للحمام أن يشدو ٠ وها هى صفحة البليون المتغيرة بما يكسوها من أشجار ! والتتاريز الازرق وخليج الفضة الذى تنعكس من مرآته طيور اليم ! قل لى بأى أحلام ذهبية ستنطلق أغانينا ! وعلام ستسيل منا الدموع ! ثم خبرنى عندما هب الضياء بأجفانك هذا الصباح أى ملاك حنا فوق رأسك الساجى فهز مايحلى رداءة الشفاف، من سوسن ، وقص عليك همسا ما تراءى فى أحلامه من حب ! سنتغنى الالم ، أم الحزن ، أم الفرح ؟ أنسكب الدم على دروع رجال الحرب ، أم نعلق العاشقين بأراجيح الحرير ، أم ننثر الزبد من أفواه الخيل العادية ، أم نتغنى بتلك اليد الطاهرة التى اقتبست من قبة السماء ضياء نشعل به تلك المصابيح التي لا عداد لها فتضيء ليل

نهار ، ووقودها حياة طاهرة وحب خالد ! أم نصيح « بتره كان » ٠٠ لقد حان الحين هيا الى الظلام ! أم نغوص الى أعماق الميـاه نلتمس أصدافها ! أم نسوق المعز الى مر الحياض ، أم نظهر السماء على ما فى الارض من أحزان ! وما لنا لا نقفو أثر الراعى على سفوح الجبال الوعرة وقد تطلعت اليه ظبية باكية متضرعة وصغارها منتظرة عودتها ، ولـكنه أخذها وذبحهـا وألقى الى الكلاب اللاهثة قلبها الذى ما يزال ينبض٠ وما لنا لا نصف عذراء متـوردة الخدود وقد سارت الى الصلاة يتبعهـا خادمها ساهمة البصر الى جوار أمها وقد نسيت صلاتهـا عندما انفرجت عنها شفتاها ، اذ استرعى منها السمع ـ وفرائصها ترتعـد ـ صدى مهماز فارس جسور تردد فى قباب الكنيسة ٠٠ أو نوجه القول الى أبطال فرنسا القدماء طالبين اليهـم أن يسموا الى قمم الابراج مدججين بالسلاح ليبعثوا تلك الاغنية الساذجة التى أنطقت ألسنة شعرائهم بما خلفوا من مجد ٠٠ أو نسـدل على مقطوعات الغـرام الرخوة ثوبا أبيض ٠٠ بل ما لبطل « واترلو » لا يقص علينا حياته ٠٠ وما أزهق من أرواح قبل أن يأتيه رسـول الليل على قمـة تله الاخضر فينقض عليه بضربة جناح ويجمع يديه الى صدره ٠٠ وما لنا لا نرشـق ذلك الهجاء الحقير بسهام محكمة وقد

سامه الجوع الى الخروج من خموله الى كيل السباب لما انتشر من أمل على جبهة ذوى العبقرية ٠٠ وقـد انتفخ حقدا وعجزا فخف الى تيجان الغار يعضها بأنيابه ٠٠ فتدنسـها أنفاسه ٠ أى شاعرى خذ العـود خذ العود فما أستطيع بعد اليـوم صمتا ٠٠ وها جناحى يحملنى الى نسمات الربيـع ، ها هى الرياح تحملنى ٠٠ سأترك الارض ٠٠ أما من دمعة تذرفها ؟ لقد حان الحين٠٠ اسمعى يا سماء ٠٠

الشاعر : أيتها الاخت العزيزة ٠٠ ان كان كل ما تريدين منى هو قبلة من شفة محبة ٠٠ أو دمعة من أحداقى ٠٠ فانى خاف الى اعطائك ما تريدين ٠٠ ولكن لتـذكرى اذا ما عدت الى السماء ما كان لى من حب ٠ وما أتغنى بأمل ولا مجـد ولا سعادة ٠٠ بل ولا أتغنى بالالم ٠٠ وقـد صمت الفم لينصت الى القلب

الهة الشعر : أتحسـبنى اذن كريح الخريف تتغذى بالدموع حتى فوق القبور ٠٠ والالم عندما كقطرة من الماء ٠٠ أى شاعرى ٠٠ أما القبلة فأنا التى أمنحك اياها٠٠ وما أردت أن أقتلع من هذا المكان الا تراخيك ٠٠ دع أملك فى كنف الله ، ومهمـا يكن عظم تلك المحنـة التى نزلت بشبابك ، فلتدعها تعمق ٠٠ لتترك ذلك الجرح المقدس الذى أدمت به أعماق قلبك تلك الملائكة السوء ٠٠

وما من شيء يسمو بنا قدر ما يسمو الالم ٠٠ ولكن ما ينبغى لك شاعرى أن تلزم صوتك الصمت مهما يكن ألمك ٠٠ وأعذب الاغانى أمعنها يأسا، وأخلدها فيما أعلم زفرات خالصة ٠٠ أما تذكر البجع وقد أضناه السفر فعاد وسط الضباب فى مساء الليل الى فراخه ٠٠ ورأته الفراخ جائعة ، فعدت اليه على شاطىء البحر وقد رأته يتساقط على صفحة المياه ، عدت آملة أن تصيب مغنما ٠ عدت الى والدها مرسلة صيحات السرور ٠٠ وقد أخذت تنفض مناقيرها فوق صدورها البشعة ٠٠ وأما البجع ففى خطى متثاقلة صعد الى صخرة مرتفعة ، وقد نشر جناحه المهيض فوق فراخه٠٠ يا له من صائد تعس يرسل الى السماء نظرة بائسة ٠٠ وها هو الدم يتدفق أمواجا من صدره المشقوق وقد جاب عبثا أعماق المياه ٠٠ والمياه خاوية والشواطىء موحشة ٠٠ فعاد الى أفراخه لا يحمل لها من غذاء غير قلبه ٠٠ وها هو ملقى على الحجارة صامتا حزينا ، والفراخ تقتسم أحشاء أبيها ٠٠ وقد أخذ يرنح ألمه فى حبه النبيل ٠٠ وقد تداعى وخر فى وليمة الموت وقلبه يسيل دما تحت بصره ، وقد أثملته اللذة والحب والرعب ٠٠ ولكنه لا يتمالك نفسه من الخوف ـ وقد أضناه موته الطويل ـ من أن لا تحمل فراخه التضحية الى غايتها ، فتتركه وبه رمق من حياة ٠٠ فيتماسك لينشر أجنحته فى الهواء ثم يصدع قلبه بصيحة مفجعة ، ويرسل فى ظلام الليل نعى الوداع تدوى نغماته المخيفة فى شواطىء اليم ٠٠ فتهجر الطيور أوكارها رعبا ، ويحس من تخلف من البشر بالشاطىء الموت مارا الى جانبهم فيسلمون أمرهم الى الله ٠٠ أى شاعرى ٠٠ هذا مثل كبار الشعراء ، يتركون المرح لمن يمنحون الحياة رهينة ، بينما تشبه الولائم التى يقيمونها فى أعيادهم وليمة البجع ٠٠ وليس فيما يتغنون به من آمال خائبة وأحزان ونسيان، وحب وشقاء ، ما تتفتح لنغماته القلوب ٠٠ وصيحاتهم حراب يخطون بها فى السماء دوائر تبهر الابصار ٠ ولكنك واجد دائما نقطا من الدم عالقة بمحيطها

الشاعر : الهتى ٠٠ أيها الشبح الدائم العطش ٠ لا تطالبينى بكل ذلك ٠٠ والمرء لا يستطيع أن يخط على الرمال عندما تهب العواصف٠٠ ولقد مر بى زمن كان شبابى دائما على شفتى مستعدا للغناء كما تتغنى الطيور ٠٠ ولكنى قاسيت آلام الشهداء ، ولو أنى حاولت أن أنطق العود ببعضه لتحطم ٠٠ كما يتحطم الغاب !



◆ .. هذه الاسماء الطنانة التى تسمع أو تقرأ اشارات عابرة عنها بين الحين والآخر : « كيوبيد » اله الحب ، و « مارس » اله الحرب ، و « ابولو » اله الشمس والشعر والموسيقى ، و « فينوس » أو « افروديت » ربه الحب والجمال ، و « زيوس » أو « جوبيتر » رب الآلهة والبشر أجمعين .. و « أوديب » ملك طيبة ، و « بيجماليون » ملك قبرص ، و « اخيل » بطل حروب طروادة .. وغيرهم من أبطال الاساطير القديمة — الاغريقية والرومانية — هل تعرف قصصهم ومغامراتهم الشائقة التى تركت آثارا خالدة فى شتى الآداب والفنون العالمية ، يكاد يتألف منها تراث الحضارة الفنى فى القصة ، والمسرح ، والرسم ، والنحت ، والموسيقى ؟.. اذا كنت لا تعرف قصصهم فاقرأها فى هذه السلسلة التى سنوالى نشرها ابتداء من هذا العدد :

بدء الخليقة

◆ **كان** يحكم الكون فى البداية اله يدعى « خاوس » لا يعرف أحد شيئا عن هيئته أو مظهره ، لان الظلمة التامة التى كانت تشمل الكون فى تلك الحقبة — قبل خلق الشمس والقمر والنجوم — لم تكن تسمح برؤيته .. وكانت تقاسمه السلطان والعيش زوجته ربة الليل «نوكس» ، وقد كان سواد بشرتها وثيابها يزيد الظلام اظلاما.. وبمرور الزمن تعب الزوجان من أعباء الحكم والسيادة ، فاستدعيا ابنهما « ايريبوس » ليحمل عنهما بعض العبء .. **فكان أول عمل أقدم عليه أن خلع أباه عن العرش وحل مكانه! .. ثم أمضه الشعور بالوحدة فاتخذ امه زوجة له !** واستمر « ايريبوس » و «نوكس» يحكمان العالم الهيولى البكر زمنا حتى اشتد ساعد ابنهما «ايثر» — ومعناه النور — وابنتهما « هيميرا » ، ومعناها النهار ، فخلعا والديهما عن العرش واستوليا على السلطان بعدهما !

وأشاع « النور » و « النهار » ضياءهما فى أرجاء الكون ، لاول مرة ، فاستطاعا أن يتبينا على هديه أوجه النقص فى الخليقة الاولى ، فقر رأيهما على وجوب ادخال « شىء من الجمال » على الكون المقفر .. فاستعانا بدورهما بابنهما «ايروس» — ومعناه الحب — كى يشاركهما الحكم .. وبمجهود الثلاثة وتضافر قواهم تم خلق الارض « جيا » والبحر « بونتوس » !



بؤس

للفنان « ك٠ البيكوكو »



غيـــوم .. ونخيل   تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى

◆ ولم تكن الارض فى البداية حافلة بمظاهر الجمال ، كما هى الآن ، بل كانت جرداء تماما ، ليس بها أشجار تتماوج أغصانها وأوراقها على سفوح التلال ٠٠ ولا أزهار تتفتح براعمها وأكمامها فى جنبات الوادى ٠٠ ولا حشائش تنمو على أراضى السهول ٠٠ ولا طيور تحلق وتغرد فى الفضاء ٠٠ بل كان يخيم عليها الصمت والخواء والسكون ، ويكتنفها العراء من كل جانب ٠٠

وكان « ايروس » أول من تنبه الى هذه النقائص ، فتناول سهامه التى تمنح الحياة ، ورشق بها الارض الباردة الجامدة ٠٠ فاكتسى سطحها الاغبر من فوره بالخضرة الزاهية ، وحلقت الطيور الملونة الجميلة فى فضائها الرحيب ، ونبتت فيها الاشجار والغابات ٠٠ ومرحت الحيوانات من كل فصيلة ونوع فى سهولها الخصيبة ، وسبحت الاسماك تمرق فى مجاريها الصافية ٠٠ وامتلأ الكون حياة وحركة وبهجة ٠٠

وأفاقت الارض « جيا » من جمودها فأعجبت بكل هذا الذى انجز ببراعة ٠٠ فكان أن خلقت بدورها السماء « أورانوس » ٠٠ وهكذا تمت الخليقة !

العمالقة الاثنا عشر !

◆ **ولكن** لم تلبث الارض «جيا» والسماء « اورانوس » أن انتزعتا



آلهة الاساطير الاغريقية !

السلطان بدورهما من « ايثر » و « هيميرا » ٠٠ ولم يطل الزمن بالحاكمين الجديدين حتى وجدا نفسيهما أبوين لاثنى عشر طفلا ، بلغت قوتهم حدا مخيفا جعل أباهم أورانوس يخشى خطرهم على حياته ومنصبه ، فيعمد الى تقييدهم بالاغلال وحبسهم فى هوة عميقة مظلمة ! وقد اطلق على هؤلاء العمالقة لفظ « تيتان » نظرا لضخامة أجسامهم ٠٠ (وكان ذلك بداية ظهور العمالقة فى الاساطير وقصص الاطفال الخرافية) ٠٠

وكان ستة من هؤلاء العمالقـة ذكورا ، وست « أناثا » ٠٠ لكنهم سرعان ما تضاعفوا ، وألحق أبوهم بهم أولاده الثلاثة الجدد ذوى العين الواحدة : « الرعد » و « البرق » و « البرق الخاطف » ، الذين جعلوا الحياة فى الهاوية جحيما لا يطاق بزئيرهم المستمر فى طلب الحرية ! ٠٠ ثم اتبعهم الاب بثلاثة آخرين من أولاده الجدد لكل منهم مائة يد !



بينما صور المصريون القدماء آلهتهم فى صور حيوانات ومخلوقات غير آدمية ، جعل الاغريق آلهتهم على صورتهم !

وكانت صرخات الاسرى جميعا تبلغ أذنى أمهم المكلومة « جيا » فتفطر قلبها ، فاحتجت وحاولت أن تقنع زوجها باطلاق سراح أولادها، ولكن بغير جدوى ٠٠ فهبطت بنفسها الى الجب وأخذت تحرض من فيه على الانطلاق والتمرد وانتزاع السلطة من يد أبيهم ٠٠ لكنهم جبنوا جميعا عن الانصياع لرغبتها، ما عدا أصغرهم « كرونوس» الذى استجاب لتحريضها ، فأطلقته من عقاله بعد أن زودته بمنجل حاد وأوصته أن ينطلق لينتقم من أبيه !

انتصار « كرونوس »

◆ **وبعد** أن تسلح الابن على هذه الصورة ، فاجأ أباه على حين غرة وهو مجرد من كل سلاح ، فتغلب على مقاومته وأوثقه جيدا ٠٠ ثم خلفه على العرش الشاغر ، وفى نيته أن يحكم الكون بمفرده ٠٠ فلم يجد الاب فى وسعه غير أن يلعن ابنه ويتنبأ له بأن يلقى يوما على يد أولاده نفس المصير الذى لقيه هو على يديه !

٠٠ لكن كرونوس لم يعبأ بلعنة أبيه ، بل واصل الاضطلاع بمهام الحكم فى هدوء ، وبدأ باطلاق سراح اخوته واخواته من الهاوية اللعينة ، فدفعتهم فرحة الحرية وعرفان الجميل الى قبوله ملكا عليهم والخضوع لسلطانه ٠٠ واختار الملك الشاب أخته « ريا » زوجة له ، ثم عهد الى كل من اخوته وأخواته المطلقى السراح بحكم بقعة من بقاع

الكون ..
وساد الامن والسلام قمة جبل أوليمبوس ، مقر الالهة ، وما حوله من ممالك الارض .. وهنأ «كرونوس» نفسه على نجاحه الباهر فى ادارة دفة الامور .. **لكنه فوجىء ذات صباح برسول ينبئه بمولد ابن له من زوجته ، فاغتم اذ ذكر لعنة ابيه المخيفة ، ومن ثم بادر - حرصا على سلطانه - بالتوجه الى مكان زوجته وقد اعتزم أمرا .. ولقيته « ريا » فرحة مهللة ووضعت الطفل فخورة بين يديه ، ولكن كم كانت دهشتها ورعبها حين رأته يرفعه الى فمه ، ويبتلعه فى حلقه الرحيب ..!**

الحيلة امرأة !

◆ **ومر** زمن ، ورزق كرونوس طفلا آخر لقى نفس المصير الرهيب الذى لقيه الاول ! .. وظل الاب ينجب ليهلك طفلا بعد آخر ، والام مفطورة القلب تحاول عبثا شراء حياة أفلاذ أكبادها بالتوسلات والرجاء .. واخيرا قر رأيها على **بلوغ غرضها بالمكر والحيلة ، فلم يكد يولد طفلها الاخير «زيوس» حتى اخفته عن ابيه ! .. لكن هذا** سرعان ما عرف النبأ فهرع الى زوجته كي يتخلص من المولود بالطريقة المألوفة . وأخذت الزوجة ترجو وتتوسل أن يعفو عن وليدها، **فلما أبى تظاهرت بالخضوع لرغبته ولفت حجرا صغيرا فى لفافة الطفل وسلمته اليه وهي تبكي وتنتحب..**

أسطورة رأس ميدوزا

◆ **كانت ميدوزا فتاة حسناء تباهت بأنها تضارع الآلهة جمالا ، فغضبت عليها الربة « أثينا » ومسختها الى حيوان قبيح الخلقة ، بشع الوجه ، وحولت كل شعرها الى آلاف من الثعابين الرفيعة ، وصار كل من ينظر اليها ينقلب حجرا !.. وأراد البطل « بيرسيوس » ذو الحذاء المجنح أن يقطع رأسها فاستخدم درع الالهة أثينا كمرآة ، حتى لاينظر الى وجه المخلوقة البشعة ، وهكذا أجهز عليها بسكين رسول الآلهة .. وهناك من يقول انه قتلها وهى نائمة !**

وقد استوحت مصورة اللوحة الفوتوغرافية التى نشرناها على صفحة ٣ هذه الاسطورة حين التقطت صورة الحسناء فى وضع يظهر خصلات شعرها كالثعابين، لكن خيالها احتفظ لها بجمالها الغابر !

فلم يتردد وابتلعه فى جوفه بغير ان يتحقق من محتوياته !

ويظهر أنه كان ذا معدة جبارة وأمعاء قوية ، فانه لم يتنبه فيما بعد الى الخدعة التى جازت عليه ! أما زوجته فقد استخفتها الفرحة فأخذت تبحث عن وسيلة للمضى فى الخدعة الي النهاية ، فعهدت

بالطفل الى حورية من القاطنات فى كهوف جبل « ايدا » ، كى تحمله معها الى كهفها ٠٠ وهناك أرضعته لبن عنزتها حتى شب عن الطوق ٠٠ ولكيلا تبلغ صرخاته أذنى أبيه فى جبل أوليمبوس كلفت أمه كهنتها بتناوب المراسم الدينية التى تتخللها صيحات تقليدية ورقصات صاخبة وأغان وأناشيد حربية حماسية ٠٠ !

وخلال ذلك كله كان «كرونوس» يغبط نفسه على الدهاء الذى أوتيه والذى حال دون تحقق لعنة أبيه! ٠٠ **لكن مخاوفه كلها هبت من مرقدها حين اكتشف فجأة الخدعة التى كان ضحية لها وعلم أن ابنه الاخير زيوس ما يزال على قيد الحياة ، بل انه بلغ مبلغ الرجال ! ٠ ٠ وعندئذ جعل همه الوحيد أن يفكر فى وسيلة للتخلص من الشاب الذى يهدد عرشه ٠ لكنه قبل أن ينفذ ما اعتزم فوجىء بالابن يهاجمه ، ويغلبه على أمره ٠٠ بعد معركة حامية !**

زيوس يستولى على الحكم !

◆ **وتربع** زيوس فوق قمة جبل أوليمبوس وانفرد بالسلطان، تعاونه أمه « ريا » بنصائحها وتوجيهها السديد ٠٠ ثم سقى اباه جرعة من سائل كريه الطعم جعلته يتقيأ أطفاله الاول الابرياء الذين ابتلعهم واحدا فى أثر الاخر حرصا على منصبه العظيم ، حتى الحجر الذى ابتلعه بتأثير مكيدة زوجته يوم مولد زيوس ، أخرجه من جوفه بفعل السائل السحرى ! ٠٠ ثم جمع زيوس اخوته وأخواته وقسم عليهم مناطق النفوذ فى مملكته نسجا على منوال أبيه ، فقبل أربعة منهم الخضوع له دون تذمر ٠٠ أما الباقون فتمردوا ورفعوا راية العصيان، كما سترى فى الاسطورة التالية ٠٠ وموعدنا بها العدد القادم باذن الله ٠

نتيجة استفتاء

الزوجة التى يفضلها الرجل

◆ **كان** اقبال قراء « كتابى » على استفتاء « الزوجة التى يفضلها الرجل » دليلا على مدى اهتمام الرأى العام فى مجتمعنا المصرى ــ بل فى المجتمع العربى عامة ، كما دلت ردود القراء ــ بمشكلة الموازنة بين الزوجة الجامعية والزوجة متوسطة الثقافة ٠٠

ولقد انهالت الردود على « كتابى » ، فكشفت فى مجموعها عن وعى اجتماعى، وارتفاع فى المستوى الادبى ، وفى التفكير فى المسائل الاجتماعية وتحليلها ٠٠ وكانت الظاهرة البارزة أن ٤٣ فى المائة من القراء فضلوا الزوجة ذات النصيب المتوسط من التعليم ، فى حين أن ٣٠ فى المائة فقط اثروا الجامعية !٠٠

أما الباقون ، فتراوحوا بين مترددين ذوى « عين فى الجنة وعين فى النار » — أو حائرين لم تتضح آراؤهم ، أو بالاحرى لم يهتدوا الى رأى .. ومنهم من كان غامضا فى أسلوبه ، وقد بدا عليه أنه كان يخشى أن يجهر بايثاره لاى الزوجتين ، رغم اننا حرصنا على أن نذكر فى الاستفتاء ان الجائزة من نصيب صاحب أحسن رد ، بغض النظر عن الرأى الذى ينحاز اليه ..

وكانت هناك ردود أجاد أصحابها العرض والتحليل والاسلوب .. حتى جاءت أبحاثا قيمة ، لولا أنهم غفلوا عن أحد شروط المسابقة ، ولاسيما شرط أن لا يتجاوز الرد ٨٥٠ كلمة ، اى نحو ثلاث صفحات من « كتابى » .. وقد أوردنا فيما يلى أسماء أفضل المجيدين ممن اشتركوا فى الاستفتاء ، وأن أخطأتهم الجائزة ، وهم :

أنصار الزوجة متوسطة التعليم !

◆ **حبيب ابراهيم سليمان ، الظاهر بالقاهرة . محمد حامد على ، رمل الاسكندرية . منصور شاكر ، مصر القديمة . السيدة ملكة السراج ، بالمنصورة . عبد الهادى عثمان العشماوى ، بالاسكندرية . خالد ناصر مرسم ، ببغداد ، العراق . دولور رفلة بشارة ، بالقاهرة . سهيل داود الجزائرى ، بالبصرة ، العراق . محمد حافظ رجب ، بالاسكندرية . المهندس يحيى أحمد عبده ، بكفر الشيخ . مصطفى فريد الجبر ، بالمملكة الاردنية . فتحى احمد سليمان ، كلية آداب القاهرة . وديع ميخائيل ، بمحرم بك بالاسكندرية . عبد الاحد هرموش ، بالقامشلى بسوريا . أمين صادق ، المفتش العام بوزارة الشئون الاجتماعية . مصطفى توفيق صالح ، بالاسكندرية . محمد طه صالحه ، بغزة ، بفلسطين . أحمد عامر ، بالبلاح . أحمد سلامه سليم ، بالقاهرة . زكريا محمد شمس الدين ، بالقاهرة . شوقى الرمحى ، بالكويت . محمد حسنى موسى ، المحامى بشبين الكوم . محمد عبد الحافظ السلمى ، برمل الاسكندرية . توفيق درغوث ، بيروت بلبنان . غالى شكرى ، منوف . سيد محمود زيدان الشريف ، كلية حقوق القاهرة . سبع أبو لبدة ، عمان بالاردن . نبيل حزقيال ، شبرا بالقاهرة . جميل العبيدى ، بغداد بالعراق . عبد الفتاح ابراهيم مشالى ، بالسويس . عبد العزيز محمد حسن ، مفتش بديوان الموظفين . رمسيس ميخائيل سليمان، بسلاح الحدود بالقاهرة . محمود أحمد متولى ، برمل الاسكندرية . الانسة جليلة مصطفى خليل ، بالمعادى . محمود سمير منير ، بالقاهرة .**

أنصار الزوجة الجامعية !

◆ **أحمد فتحى الحنفى ، كلية حقوق جامعة ابراهيم . محسن جمال الدين ، اللاذقية بسوريا . المهندس شاكر عبد السيد ، بادفو شرق . فريد**

زكى ناشد ، بالقاهرة • فكرى البغدادى ، بالجيزة • صالح مرسى صالح ، بالاسكندرية • عبد الله محمود ، كلية آداب القاهرة • الانسة هلن سمعان ، ببيت لحم بالمملكة الاردنية • على حسنى ، بالقاهرة • كميل أبو حديد ، بالقاهرة • توفيق سعد بازرعة ، بحقوق القاهرة • ثروت عبد الحميد عباس ، بكلية علوم القاهرة • الانسة علية محمد على محمد ، بحقوق القاهرة • جورج زيناتى ، بيروت بلبنان • عبد الفتاح بركات ، بنى سويف • محمد السيد عبد المجيد ، بالاسكندرية • على الشاذلى ، بالقاهرة • المغازى معروف مشالى ، طنطا • سعيد عبد النبى ، القاهرة • الانسة مديحة محمود ، بحقوق القاهرة • حمدى أحمد ابو الشيخ ، بكالوريوس زراعة • عبد المقصود سليم القلش ، مدرس بالعياط الثانوية • مروان المالح ، بدمشق بسوريا •

رد ممتاز ولكن ..

وكان أحسن الردود اطلاقا ، هو رد « مصطفى محمود فرحات » بشبين القناطر .. ولكنه أطلق لقلمه العنان ، فكتب ١٥٦٠ كلمة .. وأفلتت منه الجائزة ! (وقد رأينا أن نعوضه عنها بجائزة اضافية هى اشتراك لمدة سنة فى كتابى ومطبوعاته) •

أما السعيد الذى فاز بجائزة الخمسة جنيهات فهو الاديب **عبد الوهاب محمد** – طالب طب – ٢٨ شارع النواوى بالسيدة زينب ، بالقاهرة – (وقد أرسل اليه شيك بقيمة الجائزة بتاريخ ٣٠ مارس) وفيما يلى ننشر رده الفائز :

الزوجة التى يفضلها الرجل

ضريبة الحياة العصرية على أبنائها ثقيلة فادحة ، فلابد لرجل اليوم من أن يبذل من ذات نفسه وقواه كثيرا جدا لينهض بما عليه من واجبات شتى نحو مجتمعه .. وهو فى حمله هذه الامانة على وجه يرضى ضميره الوطنى والجماعى قد يرهق جسمه وعقله ، وقد يعتصر ذوب الحياة من قلبه وحسه وعصبه ..

هذه هى الحياة التى ترسم صورة البيت العصرى على نحو يتفق ومقتضياتها ، وترسم صورة راعية ذلك البيت وملاكه ، أى الزوجة التى يفضلها الرجل ..

لقد شاءت الطبيعة أن تخلق الانسان من ذكر وأنثى ، وكان حتما أن يقتضى هذا الخلق المتباين لكل من الزوجين رسالة فى الحياة خاصة : فالرجل بقوته وشدة مراسه واحتماله يؤثر المغامرة والموقف الايجابى • والمرأة بتكوينها الجسمى ووظيفتها الانثوية تؤثر الاستقرار والموقف السلبى ..

وغريزة الام وطبيعة الانثى فى المرأة عميقة متأصلة اصالة تكوينها

«الفيزيقى» نفسه ، فاذا ما هيمنت على مجتمع ما عوامل من اقتصاد أو سياسة أو حرب جعلته ينتزع المرأة من البيت ويقذف بها للحقل أو المصنع ، كان معنى هذا ان تتغير فى ذاتها طبيعة الانثى ويتبدل «مزاج» الاستقرار ، وتخرج لنا مخلوقا جديدا : تنقصه من الرجل الايجابية والجرأة ، ومن المرأة السلبية والحنان !

ومجتمع مثل هذا قد يفيد اقتصاديا أو ماليا ، ولكنه لاشك يخسر انسانيا واجتماعيا ٠٠ **والا فتخيل معى حالة رجل عصرى يؤوب الى بيته بعد ساعات مريرة فى عمل مرهق ليلقى زوجته الجامعية وقد تغيبت عن البيت مثلما تغيب ، وشقيت مثلما شقى ، وأرهقت روحها وبدنها وعصبها ٠٠ أيمكن لصاحبنا أن يجد عند زوجته هذه سلوى أو ايناسا ؟٠٠ انها نفسها تفتقد من يحمل عنها بعض ما تلقى من كدر ونصب ٠٠ وفاقد الشىء لا يعطيه ٠٠**

ثم ماذا يلقاه أطفال بيت زوجاه مشغولان بمعركة العيش ، من رعاية خادمة او تربية مربية ؟٠٠ ان بيتا كهذا ليغدو أمامهم كمدرسة الحضانة ، مليئة بالمسئولين والمشرفين ، مقفرة يبابا من حرارة العطف وفيض الشعور !

والجامعية ، بدخلها ، قد ترفع كثيرا من مستوى عيشة البيت ، وقد تناقش زوجها بلباقة وبلاغة وذكاء فى أسرار السياسة أو الحرب ، وقد تبدى له خير الاراء فى شئون عمله ومعاشه ٠٠ ولكنها فى عالم الحب والمشاعر والاحساس تتركه فى مجاعة روحية وظمأ عاطفى لا ينطفىء !

لا ٠٠ ان الجامعية التى تقوى شخصيتها على حساب أنوثتها قد تصلح للرجل سكرتيرة أو زميلة أو صديقة ، ولكنها لن تكون له الزوجة التى يفضلها !

◆ **أما متوسطة التعليم ، ذات الانوثة الانسيابية الدافئة ، والعاطفة الخصبة البكر ، فتدخل بيت زوجيتها وعندها أن هذا البيت هو دنياها ومستقبلها ٠٠ ولذلك تحشد له مواهبها وعواطفها وتغمره بفيض من حيويتها وسحرها ٠٠ ورجلها قد لا يلقى عندها الرأى السديد ولا الحيلة البارعة ولا المناقشة الواعية ٠٠ ولكنه عندما تثخنه الجراح لاشك واجد عندها البسمة الحانية والعاطفة الحرى والصدر الحنون ٠٠وبذلك يقوى على دهره ، ويقدر على أيامه ، لانه يرى أنه يكافح لغاية ويجاهد لسبب ٠٠ ورحم الله فولتير اذ قال : « اذا اجتمعت عقول الرجال كلها فى كفة ميزان ، فانها لا تساوى عاطفة امرأة واحدة !! »**

ثم من يقول اننا لا نفيد ولا نسعد الا بمناقشة العلماء والمثقفين ؟٠ ومن يقول بأن الملاحظة الدقيقة والوجدان الذكى والبصيرة

النيرة وقف على حملة الشهادات العليا دون غيرهم فى العالمين؟٠

لقد حدثنا التاريخ كثيرا عن فلورنس نايتنجيل وجورج صاند وشجرة الدر ومى وسينت جون وغيرهن ممن وصلن الى مستوى فكرى رفيع ، ولم يستطعن أن يسعدن أزواجهن بدرجة تناسب ذلك المستوى ٠٠ بل ان بينهن من لم تربط حياتها بزواج !

وحدثنا التاريخ كثيرا عن نابليون وفيكتور هوجو ولورد بايرون وموسولينى والملك كارول وادوارد الثامن وغيرهم ممن حلقوا فى سماء الزعامة والفكر ، ورشفوا رحيق السعادة من أيدى نساء لم يشتغلن بشئون الرجال ولم يتعمقن فى بحور العلم والفكر ٠٠

واذا تركنا صحائف التاريخ جانبا ونظرنا فى أمر حاضرنا لرأينا أن الامريكية والروسية قد بلغتا مستوى الرجال من حيث النشاط الفكرى والاجتماعى ٠٠ ولكن من يقول أن الحياة الزوجية فى روسيا وامريكا هى خير حياة ؟٠٠

عدت من سباق النيل الدولى الذى أقيم أخيرا وهذه الاسئلة تلح على فى اصرار: أكان «موران» الفرنسى مستطيعا أن يهزم « حيتان البحر » الكبار لولا أن زوجته كانت تشاركه كفاحه بين أمواج النيل الهصور ؟٠٠ أكان « موران » مستطيعا أن يغالب الاعياء والضعف والخور لولا أن زوجته كانت تنفث فيه من روحها روحا ومن حرارتها حرارة ؟٠٠ أكان « موران » مستطيعا فوزا لو أن زوجته كانت وقتذاك مشغولة « بجلائل الاعمال » فى باريس واكتفت ببرقية قبيل السباق تتمنى له فيها الفوز ؟

أغلب ظنى أن العالم ما كان ليردد اسم «موران» لولا «مدام» موران !

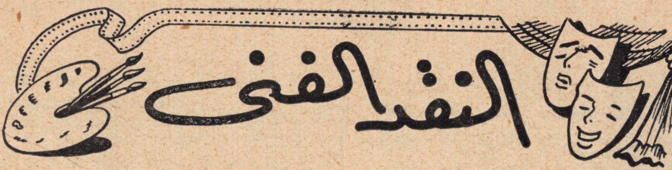
وهذه حقيقة ضخمة من حقائق الوجود : اننا كلنا « موران » ٠٠ اننا لا نحتاج الى عون المرأة المادى مثلما نحتاج الى عونها الروحى والعاطفى ٠٠ اننا لا نحتاج الى المرأة زميلة أو صديقة أو مساعدة ٠٠ ولكننا نحتاج اليها « امرأة » بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى العذوبة والدفء والضعف والاعتماد والحنان !

وهذه هى ارادة الطبيعة التى خلقت الليل ليكمله النهار ، والقلب ليكمله العقل ، والسالب ليكمله الموجب ، والزهر ليكمله الشوك ، والمرأة ذات الانوثة ليكملها الرجل ذو الفحولة ٠٠

وارادة الطبيعة من ارادة الله ٠٠ وويل للانسان اذا تمرد على ارادة الطبيعة أو استهان بكلمة الله !!

عبد الوهاب محمد

طالب طب ـ ٢٨ شارع النواوى بالسيدة زينب ، مصر



◆ فى هـذه الصفحـات التى نخصصها لهذا الباب ، سنحاول أن نستعرض صورا سريعة لاهم أحداث الفن التى تجرى فى عاصمة مصر وما حولها ، بعين الناقد المحايد ، الذى يحاول أن يـكشف عما فى بعض الانتـاج الفنى من مواطـن نقص ٠٠ لا بغرض التشهير ، وانمـا لمساعدة القارىء على أن ينتقـد ويكشف بنفسه العيوب ٠٠ فـان اليوم الذى يصبح فيه المتفرج ناقدا، هو اليوم الذى يهتم فيه كل فنان بمضاعفة جهوده فى أداء فنـه ، والسمو برسالة الفنون الى ما ينبغى لها من مستوى ٠٠

السينما

◆ يتحسس الآن رجال السينما فى مصر قلوبهم بأيديهم فى توجس وقلق ، اذ أصبح مؤتمر « كان » السينمائى على الابواب ٠٠ وقد طار بعضهم فعلا لكى يشترك فى هـذا المهرجان العالمى ، حيث سيعرض من الانتاج المصرى فيلم « صراع فى الوادى » ٠٠ ولعل الفرصة لـم تفت بعد لاشتراك فيلم « الوحش» أيضا فى المهرجان ٠

وقبل أن أكتب عن الافلام التى عرضت اخيرا وقيمة كل منها من ناحية النقد ، اقف متفائلا قليـلا بفكرة مهرجان القاهرة السينمائى الدولى «المزمع» اقامته فى نوفمبر من هذه السنة ٠٠ فانى أعتقد أنـه سيكون فاتحة لخير يصيب صناعة السينما عندنا ، اذ يتيح لنا ان نلمس الفرق واضحا بين ما نصر على أن ننتجه أو ما «نقتبسه» بطريقة «سطحية» ، وبين ماينبغى أن يكون!

صراع فى الوادى

◆ ولنبدأ بفيلم « صراع فى الوادى » أو فى الصعيد ، اذ تجرى حوادث الفيلم بين آثاره ، وتتلخص قصة الفيلم فى هذه السطور : اعتادت شركة السكر أن تبتاع من أحد باشوات الريف « زكى رستم » محصول القصب الذى ينتجـه فى آلاف الافدنة من أراضيه ، وبالسعر الذى يحدده ٠٠ فى حين ان أهالى القرية كانوا رغم كدحهم وحاجتهم لا يملكون أن يبيعـوا للشركة

شيئا من محصولهم ٠٠ غير ان الشاب المكافح أحمد « عمر شريف » ابن ناظر عزبة الباشا « عبد الوارث عسر » لا يلبث أن يفلح فى اقناع الشركة بالتعاقد على شراء قصب أرضه ٠٠

وما ان يعلم الباشا بذلك حتى يغضب ، ويوسوس الشيطان له ، ولابن أخيه « فريد شوقى » الذى يقيم معه فى قصر فخم على ضفة النيل ، أن يدبرا خطة لافساد الامر على أحمد ، فيأخذ « فريد شوقى » على عاتقه أن يفتح هويس الماء فى احدى ليالى الفيضان ، (وقد شغل أهل القرية ليلتئذ بزفاف « أحمد غيث » ابن شيخها الوقور الذى فقد نعمة البصر فعوضته الاقدار عنها بعقل راجح وحكمة وافرة) ٠٠ حتى اذا أغرقت المياه أرض أحمد ، كان محتوما على الشركة أن تتحول الى محصول الباشا تبتاعه بأى سعر !

وهذه اولى نقط الضعف فى القصة، فكيف يتسنى للمياه المتدفقة من الهويس أن تغرق أرض احمد دون أرض « الباشا » برغم انهما متجاورتان ؟ ٠٠ وكيف تكتفى الشركة بمحصول ارض احمد وهى ضئيلة المساحة اذا قيست باراضى الباشا التى يدر محصولها ـ فقط ـ ستين الفا من الجنيهات ؟ ٠٠ ثم ما هذا التوافق الغريب بين موعد المؤامرة ، وبين الفيضان ، وبين زفاف ابن شيخ القرية ؟

ولكن خيال المؤلف لا يقف فى الاعتماد على عنصر المصادفة عند هذا الحد ٠٠ فهناك الكثير الذى سنلمسه اذ نستطرد فى الرواية ٠٠

٠٠ وقبل أن تتم المؤامرة ، يعلم « الباشا » ان وحيدته « فاتن حمامة » قادمة من القاهرة بعد غياب تجاوز الثلاث سنوات ، فيدعو سائق سيارته ـ **الذى يبدو فى ثياب السائق «الارستقراطى» رغم أنه فى الريف !** ـ ويسأله أن يستقبل ابنته ويقلها الى القصر ٠٠

وكان المعقول أن يخف الباشا لاستقبالها بنفسه ، لا سيما وانها وحيدته ٠٠ ولكن المؤلف لم يشأ له ذلك !

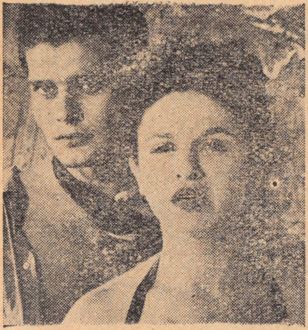
وتفاجئنا مناظر الفيلم بأن الذى يصحبها من المحطة هو ابن عمها « فريد شوقى » الذى لا تبدى الفتاة اكتراثا به٠٠وفى الطريق الى القصر ترى الفتاة أحمد ، ابن ناظر العزبة « **وهذه مصادفة أخرى** » ، فاذا بهما على تعارف وصداقة منذ الطفولة٠٠ وتستخفهما ذكريات الماضى ، **حتى ان الفتاة لا تؤثر ابيها ـ عند وصولها الى القصر ـ بأكثر من دقيقة تقبله فيها ، ثم تهرع الى حيث يريها أحمد بعض ذكرياتهما ٠٠ ويكون المؤلف ـ أو المخرج ، لست أدرى ـ قد صحب أحمد فى هذه الاثناء الى سطح داره ، حيث توجد حقيبة**

الذكريات ٠٠ التى شاء لها المخرج أن تبدو جديدة رغم طول السنين وشمس الصعيد !

وتظل الصدفة تدفع أحداث القصة ٠٠ اذ تعرف «فاتن» ان فى القرية زفافا ، فتذهب لمشاهدته ، ولكنها لا تلبث أن تتسلل مع أحمد الى الآثار ٠٠ والى الساقية ! ٠٠
وفى تلك الاثناء يكون « فريد » قد نفذ المؤامرة ، وفتح الهويس٠٠ فاذا المياه تفاجىء أهل القرية وهم فى العرس وتغرق بيوتهم ، فينقلب الفرح الى مأتم !

ويدور بين شيخ القرية وناظر العزبة جدل حول الحادث ، اذ يتهم الاول الثانى بأنه كان على علم بالمؤامرة التى يجهر بأنها من تدبير الباشا ٠٠ لذلك يقرر الباشا أن يتخلص من الشيخ والناظر معا ، فيدبر مع ابن أخيه مؤامرة لقتل الشيخ ، وتوجيه أدلة الاتهام الى الناظر ٠٠ ومن ثم يوعز « فريد » الى أحد رجاله أن يسرق بندقية ناظر العزبة فيصرع بها الشيخ أثناء صلاة المغرب !

ولم يبين لنا المؤلف ـ ولا المخرج ـ أين ذهب الناس ، وكيف وجدوا مأوى بسهولة بعد غرق بيوتهم !٠٠ بل الظاهر انه نسى مسألة الغرق هذه ، فعاد بالاهالى الى القرية ليؤدوا صلاة المغرب ويقضوا ليلتهم ، ورد الارض جافة تماما !



فاتن حمامة وعمر الشريف فى فيلم « صراع فى الوادى »

ليس هذا فحسب ، بل ان المؤلف ـ والمخرج ـ اتفقا على أن يجعلا الصدفة « أيضا !! » سببا فى أن يكون ناظر العزبة ـ بالذات ـ واقفا فى الطريق حين تنطلق الرصاصة التى تصرع شيخ القرية، فيهرع ليمسك بالجانى الذى يختفى فى محصول الذرة الذى أصر المخرج على أنه قصب !!

وتتلاحق الحوادث فيتهم أهل القرية ناظر العزبة، ويقبض البوليس عليه ، ثم يقدم الى المحاكمة بسرعة غير معتادة ٠٠ ويسرف المؤلف فى السخرية فيجعل القاتل بين الشهود ٠٠ ، وبسرعة أيضا ، تقضى المحكمة باحالة أوراق المتهم الى المفتى !

وفى تلك الاثناء، تدور فى القرية حوادث غريبة يبديهاالاخراج وكأنها حدثت فى يومين فقط !!٠٠ اذ يعمل « فريد » على اخفاء القاتل الحقيقى عن أحمد الذى ينطلق للبحث عنه ، فيختار له احـدى المقابر « غير » المهجورة ـ **وكان الاقرب الى العقل أن يخفيه فى احدى مغارات الجبل ، أو على الاقل فى مقبرة مهجورة ! ـ** غير ان أحمد لا يلبث أن يعـرف القاتل ومخبأه ، فيجرى اليه ، فى الوقت الذى يتبعه ابن شيخ البلد لينتقم لابيه منه بعد أن أثبت القضاء ان ناظر العزبة هو القاتل ٠٠

وتتلاحق الاحـداث ، فتصيب رصاصة ابن شيخ البلد صاحبـنا أحمد بينما كان هذا يجرى ليلحق بالقاتل الحقيقى ، **الذى يدهمـه ـ بدوره ـ قطار ٠٠ وهكذا يسرف المؤلف والمخرج فى استغلال الصدف دون حساب !**

وتسرع الاحداث فى تلاحقها ٠٠ اذ يحكم على ناظر العزبة بالاعدام ، ويستطيع ابنه أحمد أن يصل الى منزله رغم جرحه ـ **وكأنما أشفق عليه المخرج فشاء لملابسه أن تجف من البلل الذى أصابها اذ خاض مياه الترعة فى مطاردته للقاتل ! ـ** وهناك يرتمى على الارض والدماء تسيل من الجرح٠٠وفى تلك الاثناء تصل ابنة الباشا فتحاول أن تهرب به الى أحد المعابد الاثرية ٠٠ ويصل ابن عمها أيضا ليجهز على أحمد ! ٠٠ ويصل ابن شيخ البلد كذلك ـ ليتم الاجهاز عليه ـ وخلفه أهل القرية ٠٠ ويدور صراع عنيف يبدو خلاله ان ابنـة الباشا قد اكتشفت مؤامرة أبيهـا وابن عمها !

وينتهى الفيلم باغتيال الباشا فى المعبد ، ويقبض البوليس على ابن أخيه، ويتآلف قلبا ابن ناظر العزبة وابنة الباشا على جثة الاخير !

الاخـراج : فى مجموعه محاولة طيبة لأن ينقل المخرج « الكاميرا » من الاحداث والمناظر العادية الى الريف والآثار ٠٠ ولكنه لم يكن واقعيا٠٠ اذ ما علاقة آثار « جزيرة فيله » وقصر « أنس الوجود » بقرية يظهر فيها معبدا « الاقصر » و « الكرنك » ٠٠ وكلها تبدو متقاربة ، وكأن كلا منها لا يبعد عن الآخر أكثر من دقائق معدودات ! ؟

وفى الوقت الذى يصر فيه المؤلف على أن المحصول الذى كانت تشتريه شركة السكر هو محصول القصب ، نجد المخرج من ناحيته يصر على أن يظهر بدلا منه محصـول أنواع من الذرة ٠٠ وأنواع لا تنبت فى الوجه القبلى وانما فى البحرى !

واللقطات عادية٠٠الا فى الصراع الذى جرى فى المعبد ، فقد وفق فيه المخرج ٠٠ ويلاحظ أنه لم يستغل الريف استغلالا كافيا ٠٠ كما ان صور الفيلم لم تبد متتابعة !

التمثيل : كان تمثيل فاتن حمامة رائعا فى أغلب المواقف • كذلك أجاد عمر شريف التمثيل ، ولكن صوته ما زال بعيدا عن السينما ، رغم أن المخرج استغله أكثر من اللازم فى مقدمة الفيلم •• كما أجاد كل من حمدى غيث وفريد شوقى وزكى رستم •

الموسيقى : كانت الموسيقى التأثيرية المصاحبة ، والاصوات الموسيقية ، المدروسة مع تطورات القصة ، سببا فى النجاح «المتوسط» الذى أحرزه الفيلم •

« الوحش »

◆ **ولعل** فيلم الوحش يمتاز بقصة أحسن صياغة وواقعية من قصة « صراع فى الوادى » •• رغم أن حوادثهما فى صعيد واحد •• وتدور حول القتل والاجرام !

و « الوحش » قصة مجرم فى احدى مدن الصعيد ، مستوحاة على ما أعتقد من « الخط » • الذى أرهب مديرية اسيوط •• وتروى حكاية الفيلم كيف كانت عصابة الوحش تعتدى على الآمنين من التجار والملاك ، وما يتخللها من قصص انسانية صغيرة : قصة الراقصة التى يغار زوجها من الوحش ، فيكون جزاؤه أن يسكت لسانه الى الابد •• وقصة أنور وجدى ضابط البوليس الذى يتعقب الوحش ، وقصة زوجته وابنه الصغير •• ثم قصة الفلاح الذى هدد فى ولده فالتجأ الى أحد الاغنياء يطلب منه أن يقرضه مالا ليفتدى به ابنه من الوحش •• وهى كلها قصص تقذف بها الحياة على صفحات الحوادث كل صباح ، ولكن الوحش يقف دائما خلفها •• من أول الفيلم حتى آخره •• حتى يغلبه آخر الامر ضعفه للافيون فيفلح البوليس فى محاصرته !

والقصة تعكس صورا مبالغا فيها من قسوة الوحش وجهالة بعض العمد وبشاعة الجنازات وما يتخللها من عديد وصراخ وعويل ••

ولكن فيلم « الوحش » أكد أن وراء هذه الصور مخرجا ممتلئا حيوية ودراسة (صلاح أبو سيف) ، ومصورا ممتازا (عبده نصر) • فالكاميرا لا تقف ، والموسيقى منسجمة مع حوادث القصة •• كذلك كان الاخراج مدروسا من ناحية الديكور الذى صممه عبد الفتاح البيلى • وأعتقد أن صلاح أبو سيف قد نقل الفيلم المصرى فى قصة « الوحش » الى مصاف الافلام الغربية من الناحية الفنية ، رغم أن هناك بعض المآخذ : هناك مثلا حركات مبالغ فيها الى حد كبير ، كفرار الوحش من نافذة المستشفى والزجاج مقفل ! •• والمبالغة فى سرعة الحركة للعمال فى الحقل ، وهدوء الوحش وتجرده من عناصره الانسانية كلها ، ووجود بعض الشخصيات المتشابهة فى خطوطها كمحمد توفيق زوج الراقصة سامية



«جين سيمونز» بطلة فيلم
(غرام الاميرة)

جمال ، وعمر الجيزاوى - وكانا ضعيفين - ثم الضابط « حمدى » وكان من الممكن أن يكون دوره أكثر ايجابية فهو صالح للشاشة وجها وصوتا وجسما ..

وبعد .. فاننا نطمئن لاشتراك هذا الفيلم فى أى مهرجان عالمى .. بعد أن ارتفع بالقصة مخرجنا صلاح أبو سيف ..

آن ، الاميرة المتوحشة

◆ أما الفيلم الهندى«آن» ، فهو نسخة دولية أخرجتها الهند التى مر على صناعة السينما فيها ٤٠ سنة ! وأقول دولية ، لانهم حذفوا من فيلم آن ثلثه تقريبا اذ أن طول هذا الفيلم الزمنى ٣ ساعات ، كأغلب الافلام الهندية ، التى يأتى ترتيبها من ناحية العدد فى المقام الثانى بعد انتاج أمريكا ! هذا اذا لم نحسب حساب الكتلة الشرقية ، أقصد روسيا .

وفيلم آن ملون راقص غنائى ، والرقص والغناء فيه هما العماد الاول ، أما القصة فعادية جدا تدور حول حب احدى بنات مهراجا من حكام الهند لشاب من أبناء الشعب، كانت تحبه فى الوقت نفسه قروية مثله .. والرقص فى الفيلم آية فى الابداع حقا .. فقد كان على طريقة الباليه الشعبى ، ولم يكن فيه ابتذال بالمرة ، ومع ذلك فقد نجح الفيلم نجاحا ساحقا بالنسبة للافلام الشرقية . وأغلب مناظره تدور فى الريف الهندى فى تصوير جيد .

حياة هانز أندرسن

◆ ومن الافلام الملونة التى عرضت فى القاهرة وقوبلت بنجاح، فيلم حياة « هانز أندرسون» المؤلف الدنماركى الذى اشتهر بقصصه للاطفال .. والذى اتخذ شخصيته فى السينما الممثل « دانى كاى » .. والقصة السينمائية مختلفة اختلافا ظاهرا والى حد كبير فى التفاصيل عن الحياة الواقعية لاندرسون والتى عاشها سبعين سنة ابتداء من عام ١٨٠٥ بالدنمارك ، متنقلا بين قريته وعاصمة بلاده كوبنهاجن وأوربا..

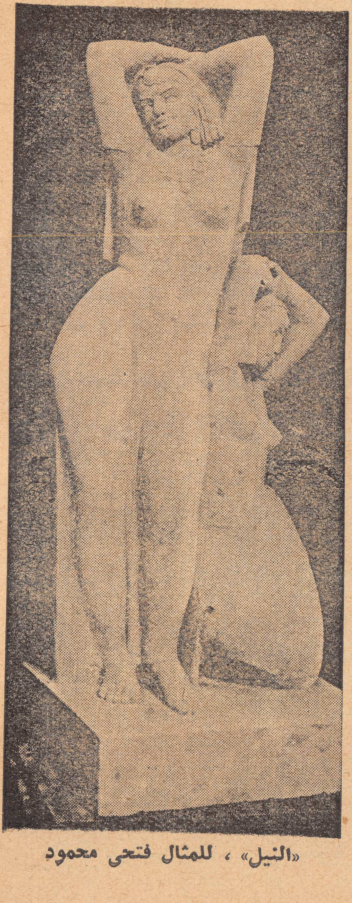
وكان يصح أن يلحق الفشل بهـذا الفيلم لولا شخصـيـة دانى كاى وأغانيه وحكايات أندرسون وكيف جمـع دانى كاى بين الكوميديا والدراما بل وحتى رقص الباليـه ، فى حركات طبيعـية بسيطة . كما ساعدت على النجاح راقصة الباليه الفرنسية «جانمير» والصبى الممثـل « جو والسون »

◆ **من هنا حتى الابدية : تمثيل** بيرت لانكستر ومونتجومرى كليفت وفرانك سينترا والممثلة دونا ريد. حوادثه تدور حول ميـنـاء بيرل هاربور فى مطلع الحرب العالميـة الثانية والجندية فى الجيش الامريكى وحوادث الغرام بين شاويش وامرأة ضابطه . الفيلم جرىء والتمثيـل جيد جدا والفيـلم بصـفة عامة **(جيد)**

وقد جاءت الاخبار بأن ممثلتـه قد نالت جائزة أوسكار هـــذا الاسبوع .

التصـوير

ولعل من أهم الاحداث الفنية فى القاهرة هذه الايام تنسـيق قاعة العرض لنادى خريجى الفنـون الجميلـة وازدياد (جاليـرهات) العاصمة بضم ناديين جديدين وهما جماعة مرسم (الاتيلييه) بالقاهرة وقاعة السيدة (بيبريا) ، واعادة تنظيم متحف الفن الحديث تنظيما



«النيل» ، للمثال فتحى محمود

كاملا وافراد صالات للمدارس المصرية نسقت فى ترتيب تاريخى منـــذ ارتفعت صيحة الفن الحديث فى مصر من ٤٥ سنة ..

وأرجو أن لا يلهينى جو القاهرة عن الاسكندرية فأقول ان نشاطها الفنى طغى على القاهرة من ناحية المعارض الفردية فى الشهر الماضى ، وقد حدث هذا لأول مرة فى تاريخ العاصمتين الحديث .. ولعل من أهم أحداث الثغر تلك العناية الكاملة التى تحيط متحفه الجديد للفن بعد أن كمل بناؤه . ولعـــل فى انارته الكهربائية مثلا كاملا يجب أن تحتذى به متاحف الدولة ، اذ قد صـممت الاضواء فيه على أحدث ما هو متبع فى أمريكا !

جمعية محبى الفنون الجميلة

.. بلا رئيس !

ومرة أخرى نعود الى جو القاهرة الفنى .. لنرى المشكلة التى تحوم حول جمعية محبى الفنون الجميلة بعد وفاة ءاهلها ورئيسها المليونير (م.م.خليـــل) ، رئيس مجلس لشيوخ الاسبق، الذى رأس مجلسها أكثر من ربع قرن فى سيطرة لم تكن تقبل المناقشة .. والمشـــكلة التى تواجه الجمعية الآن هى صعوبة اختيار رئيس جديد ، وأخاف أن لا تجده بين أعضائها – على أن هذا الارتباك لم يمنع الجمعية من ان تعاود نشاطها (الروتينى) فتحدد موعدا لصالونها السنوى ، ولكن مشـكلة جديدة تتراقص حولها : **هى صعوبة العثور على مكان لمعرضها بعد أن شغلت أبنية الجمعية الزراعيـــة بالجزيرة بالاسواق الاجنبية الرسمية التى تقيمها الدول كالمجر وألمانيـا الشرقية وغيرها .. ولهذا فجمعية محبى الفنون ما زالت حائرة ... تسأل أين تعرض !؟**

وعلى ذكر تركة المرحوم م.م.خليل أتساءل عن مصير تركته الفنية من صور وتماثيل وتحف يســـيل لها لعاب أى متحف عالمى ، وتقدر بأكثر من ٣/٤ مليون جنيه ! ترى هل ستحتفظ مصر والشرق بهذه الكنوز النادرة أم تذهب الى ضفاف السين؟

رسوم جديدة للعملة

◆ **وعاصمة** الدولة مشغولة هذه الايام باختيار رسوم جديدة للعملة المصرية ، وقد استقر الرأى بصفة نهائية على شكل رأس أبى الهول على أن تظهر فى وضع ثلاثى .. الا أن هناك حيرة فى هل يظهر شكله بأنفه الاصلى ، كاملا سليما .. أم بأنفه الحالى المهشم ؟.. كما تهتم الدولة باختيـــار اشـــكال قلائدها ونياشينها الجديدة التى اشترك فى تصميمها أكثر من ١٥ فنانا وفنانة واحدة . **وتعمل الدولة أيضا على تثقيف هيئة المرشدات السياحيات الجـديدة لتـزويدهن بالمعلـومات الصحيحة عن الحـــركة الفنيـــة فى مصر . فوضعت برنامجا كدراسة هذه الحركة وتطورها والقائمين بها فى محاضرات نظرية وعملية تلقى فى**

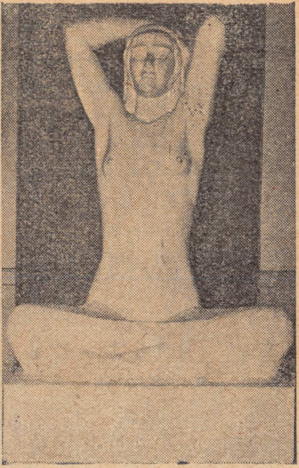
متاحف الدولة ومسارحها ! واستديوهاتها ودار الاوبرا. وما من شك فى أن هذا وعى جديد يقابل بكل الاعجاب !

* * *

وقبل ان انتهى من استعراض نشاط الفن الشكلى ، أود أن أشير الى نجاح معرض الفنانة « **أنجى أفلاطون** » بالقاهرة منذ شهر مضى وبالاسكندرية هذا الاسبوع ، حيث أقامت كعادتها معرضا مستقلا لها هذه الايام ، فحصرت لوحاتها فى اطار فنى ، حددت الشعبية اتجاهه ، فعنيت بمشاكل الريف المستترة خلف صوره وألوانه ، وان



«كفاح الارض» لوحة نحاسية بارزة للفنان «السجينى»


«ايزيس» ، تمثال لمختار

كان ينقصها حتى الآن تكييف مظهر المادة فى اللون ..

◆ **وننتقل** الى القاعة الثانية التى زادت (جاليريهات) عرض القاهرة، وأعنى بها جاليرى السيدة «بيبريا»، وهى رومانية الاصل جاءت مصر فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ومن ثم اتصلت بالاوساط الفنية وعملت قومسيونة لبعض المعارض الكبرى التى كانت تقام فى فندق شبردقبل حرقه وفى صالته الفنية «ايزيس». ومن ثم عملت فى تنظيم بعض المعارض الدولية التى أقيمت فى مصر . ثم اختارها م.م. خليل قومسيونة لجمعية محبى الفنون الجميلة ..

وقد بدأت مشروعها الجديد بتحويل منزلها (١٤ شارع اسماعيل بجاردن سيتى) الى قاعة للعرض ، ولعل هذا أول حدث من نوعه – فى مصر والشرق خاصة – أن تعد قاعة للعرض فى سابع دور فى عمارة سكنية !.. والجديد أيضا أنها تعرض لثلاثة عشر فنانا وفنانة .. من بينهم الفنان الكبير « محمود سعيد » وبراندانى وعمر فوزى وماريل ودى ريس وفينى ومدام لاروس .

وقد أفردت بيبريا قاعاتها هذه الايام لاعمال أربعة من الفنانين، أولهم المثال جمال السجينى ، ثم المصور عبد الهادى الجزار ، فالفنانة ايمى نمر ، فالفنان الاسكندرى ساليناس .

وقد عرض «**السجينى**» عددا قليلا من لوحاته « النحاسية» ، انفرد فيها بدراسته الدراسة العميقة الاولى من نوعها فى مصر ، وأخرج منها وما يزال يصور بها عن طريق (الطرق) **موضوعاته العديدة حول مشكلة الفرد** والمجتمع ضد الاستعمار والطغيان.. اذ أن أسلوبه الرمزى قد اتخذ هدفا واضحا يخدم به وطنه .. ولعله **أول فنان مصرى ، أو من الشرق الاوسط ، يحتفظ له متحف موسكو** باحدى قطعه للنحت . وهى «حمامة السلام» التى سبق أن عرضها من قبل .

وتمتاز لوحات «**الجزار**» برسومه لا ألوانه ، حيث بدا فيها اتجاهه

السيريالى واضحا فى آفاقه البعيدة الحالمة وكأنها وادى السحر البعيد .. ولو أن جذوره ما زالت متمسكة بأرض المشكلات ..

واتجهت « **ايمى نمر** » الى الاسلوب الشاعرى فهى تصور الاشياء بنظرة الاجنبية البعيدة عن عمق الموضوع .. وصحيح ان ألوانها جميلة وتوزيع موضوعها الزيتى مدروس دائما على اللوحة .. ولكن خيالها ما زال بعيدا عن البيئة كما أن ألوانها فى حد ذاتها بعيدة عن حرارة الارض ، أرض مصر .. التى تعيش عليها !!

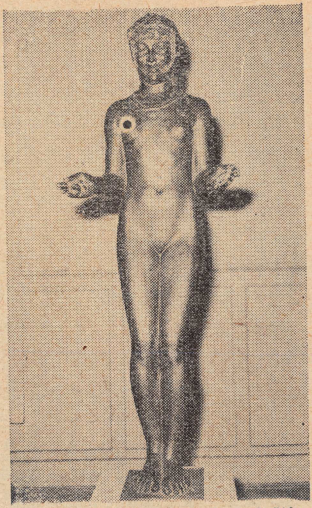
أما « **ساليناس** » فقد اتجه بأسلوبه الى (**التجديدية الزخرفية**) حيث تمسك الى حد كبير بموضوع الطبيعة الصامتة ، وكانت له بعض محاولات فى تقليد الفنان الفرنسى الكبير (براك) ، وخاصة فى استخدام تعارض اللونين كالابيض مع الاسود أو الاحمر أو الازرق مثلا !

◆ **كما** يعرض متحف الفن الحديث بالقاهرة هذه الايام أيضا مجموعة لجماعة الفن الحديث ، وهم الفنانون : **محمد عويس وصلاح يسرى وأحمد تيسير ومحمود موسى ومحمد نبيه عثمان وسميرة عبد الرزاق وصفية امين ومحمد عبد الخالق** . وقد امتاز هذا المعرض بناحيتين : الاولى منهما هى الاهتمام الكافى بدراسة الخزف وعرضه الى جوار النحت والتصوير فجاء فريدا فى نوعه بالنسبة لمعارض التصوير أو لذات الجماعة .. والناحية الثانية هى عدم الطفرة فى التجديد .. فقد حاول أغلب هؤلاء الفنانين والفنانات أن يتمسك كل منهم بأن هناك أصولا للفن ليس من السهل تجاهلها .. لخاطر التجديد فقط .

وفى الوقت الذى ذهب فيه المثال «موسى» نحو تخليد مشاعره عن طريق النحت المعبر عن طريق الكتلة والانشاء النحتى مع دراسة ليونة الخط مع الموضوع .. نجد أن «أحمد تيسير» يذهب فى نحته نحو التجريد.. بينما اتجه «محمد عويس» فى تصويره الزيتى الى دراسة



« **الحزينة** » **تمثال آخر لمختار**



«اللقية» .. من روائع مختار أيضا

الموضوع العمالى فى بساطة وقوة تعبير استغل فيه التضخيم . وقد قفز عويس قفزات واسعة هذا العام وعرض «صلاح يسرى» قلة من لوحاته التى خرج فيها عن الاسلوب التجريدى ، وقد ذهبت ألوانه الى الناحية الشاعرية أيضا فى هذا المعرض. وعن طريق الهارمونى ذهب أيضا « محمد نبيه عثمان » مع ألوانه نحو هدفه المرسوم .

أما « سميرة عبد الرزاق » ، فقد عرضت بعض لوحاتها (الصوفية) والزيتية ، وفى كلتيهما تميل الى ناحية المناظر الخيالية، سواء للحديقة أو البحر ، حتى أنها قاربت التخصص فى هذه الدراسة للمناظر . كما اشتركت « صفية أمين » و « محمد عبد الخالق » بتصوير وخزف مدروسين وفيهما شخصية مصرية واضحة ..

متى نخلد « مختار » ؟

◆ **وقبل** أن أفرغ من حديث الشهر ، أحب أن أختتمه بالكلمة التى فكرت ان أبدأ بها كل هذه الصفحات وهى ذكرى «مختار» – مثال مصر الاكبر – الذى ولد فى ريف الدلتا عام ١٨٩١ ومات فى ٢٧ مارس عام ١٩٣٤ .. وهو الريفى الصغير ، الذى عرف كيف ينتقل من خيال القرية ، الى عاصمة مصر ، ثم الى باريس عاصمة الفن والنور حيث لمع فى دائرته .. ليعود منها الى مصر بطلا من أبطال نهضتها فيقيم هنا وهناك اكثر من ٧٠ تمثالا خلدته ، وهو الذى لم تتجاوز حياته ٤٣ سنة !

وأحب هنا أن أكرر أن الدولة ما زالت مقصرة الى حد كبير نحو مختار وفنه ..

فأين فيلم حياة مختار !! وطابع بريد مختار !!

وأين تماثيل ميادينه التى وضع تصميمها ولم تقم بعد فى عواصمنا؟

وأين النشرات عن فن مختار فى سفارات مصر .. وخارج مصر؟!

وأين مقبرة مختار ؟!.

كل هذه أسئلة تنتظر الجواب ! وأخاف أن نحتفل بعد خمس سنوات بذكرى مرور ربع قرن على وفاته ونحن ما نزال نسأل يومها ذات الاسئلة !

كمال الملاخ

وما خاف يا أم بل ضمني   وألقى على مبسمي نجمتين



الهوى والشباب

لشاعر لبنان الكبير: بشارة الخوري

أغاريد « الاخطل الصغير »

◆ فى العدد الماضى قدمت لك من الكتب «العربية» الحديثة كتاب العقاد الجديد « أبو نواس» ٠٠ واليوم أقدم لك مختارات رائعة من الديوان الجديد الذى نشر حديثا لشاعر لبنان والعروبة الكبير بشارة الخورى ـ أو « الاخطل الصغير » كما أطلق على نفسه ـ فتعال معى نطرب ساعة بهذه المنتخبات من أهازيج الشاعر الرقيق التى ستخلد اسمه على مر الزمان ٠٠ وقد صدرتها بقصيدته المشهورة « الهوى والشباب » التى أطلق عنوانها على ديوانه :

الهوى والشباب

الهوى والشباب والامل المنشود توحى فتبعث الشعر حيا
والهوى والشباب والامل المنشود ضاعت جميعها من يديا
يشرب الكأس ذو الحجى ويبقى لغد فى قرارة الكأس شيا
لم يكن لى غد فأفرغت كأسى ثم حطمتها على شفتيا
أيها الخافق المعذب يا قلبى نزحت الدموع من مقلتيا
أفحتم على ارسال دمعى كلما لاح بارق فى محيا
يا حبيبى لاجل عينيك ما ألقى وما أول الوشاة عليا
أأنا العاشق الوحيد لتلقى تبعات الهوى على كتفيا
أسقنى من لماك أشهى من الخمر ونم ساعة على راحتيا
أنا ماض غدا مع الفجر فاسكب نغمات الحنان فى أذنيا

آه ما أحلى الحميا

آه ما أحلى الحميا تحت أذيال السكون
والهوى يوحى اليا برسالات العيون
ليس ما يشجيك منى نغمات فى فمى
انها وا لهف نفسى قطرات من دمى
ملأوا كأسى خمرا ليس من خمرى و دنى
وسقوا عودى فغنى وفؤادى لم يغن
أكما شاؤوا غنائى وكما شاؤوا نواحى
أفليس اللهو لهوى والجراحات جراحى
يا حبيبى قم نرصع بالهوى ثغر الحياة
نح هذى الكأس عنى واسقنى هذى الشفاه
كلما اومض لحظا ك بلحن يا حبيبى
كلما شبب خدا ك بخمر أو بطيب


من ٥ إبريل بسينما الكورسال بالقاهرة
شركة أفلام الكواكب تقدم
ليلى مراد
يحيى شاهين
محمود المليجي
تأليف وإخراج
سيف الدين شوكت
موسيقى وألحان : محمد عبد الوهاب ، محمود الشريف
حوار
يوسف جوهر
تصوير محمود نصر
فيلم أغلى من الحياة وأخلد من الزمن
الحياة الحب

كلما رتل نهدا ك تراتيل المغيب
صفق القلب ونادى يا حبيبى يا حبيبى

كفانى يا قلب

كفانى يا قلب ما أحمل أفى كل يوم هوى أول
أفى كل وجه لنا مرتع وفى كل ثغر لنا منهل
كفى نهما لن يفر الجمال وترحل أنت ولا يرحل
عذرتك يا قلب من للهوى أنتركه بعدنا يذبل
سكتنا فما غرد العندليب وتبنا فما صفق الجدول

يا عاقد الحاجبين

يا عاقد الحاجبين على الجبين اللجين
ان كنت تقصد قتلى قتلتنى مرتين
مولاى لم تبق منى حيا سوى رمقين
صبرت حتى برانى وجدى وقرب حينى
ستحرم الشعر منى وليس هذا بهين
أخاف تدعو القوافى عليك فى المشرقين

حكمة الدهر أن نعيش سكارى

ألقيت فى الحفلة التأبينية التى أقيمت فى بيروت للنابغة اللبنانى جبران خليل جبران فى سنة ١٩٣١ .

حكمة الدهر أن نعيش سكارى فاجمعا لى الكؤوس والاوتارا
واجلواها دنيا ممتعة الحسن كما تجلوان احدى العذارى
هى كالوردة تحمل الشوك والعطر وان خير اللبيب اختارا
كلنا كلنا نجاذبها الوصل ونجنى اللذائذ الابكارا
فانهب العيش لا أبا لك نهبا واطرح عنك وجهك المستعارا
لست مهما عمرت غير جناح حط فى الدوح لحظة ثم طارا

بلغوها اذا أتيتم حماها

لم يشقنى يوم القيامة لولا أملى اننى هناك أراها
ولو ان النعيم كان جزائى فى جهادى والنار كانت جزاها
لملأت السماء شكوى غرامى فشغلت الابرار عن تقواها
ومشى الحب فى الملائك حتى خاف جبريل منهم عقباها
قلت يارب أى ذنب جنته أى ذنب لقد ظلمت صباها
أنت ذوبت فى محاجرها السحر ورصعت باللآلىء فاها

أنت غسلت ثغرها فقلوب الناس نحل أكمامها شفتاها

رحمة ، رب ، لست أسأل عدلا … رب خذني ان أخطأت بخطاها
دع « سليمى » تكون حيث تراني … أو فدعني أكون حيث أراها

الجابي

في أغسطس سنة ١٩٣٥ أطلقت وزارة المالية اللبنانية جباتها في القرى اللبنانية يمعنون في الاهلين ارهاقا لتحصيل بقايا الاموال الاميرية خلال أزمة مضنية ، فأوحى ذلك الارهاق للشاعر بهذه القصيدة :

من الناعب قبل الفجر من هذا على الباب

أقبل الشمس في الآفا … ق والعصفور في الغاب ؟
وما زار الكرى جفني … ولم تعلقه أهدابي
ولا غذيت أطفالي … سوى همي وأوصابي
فما تبغيه في بابي … ومن أنت ؟ أنا الجابي
رويدا يا أخا الهيجا … ء قد أسرفت في القتل
ألا تبقى على شيء ؟ … فمن يحيا بلا أكل
كفانا اننا نمشي … من البؤس بلا نعل
فمن أغرى الرزايا بي … ومن أنت ؟ .. أنا الجابي
برب الارز حدثني … أحقا قولهم حقا
بأن الناس في بيرو … ت لا تشقى كما نشقى
وان الاتن والثيرا … ن تلقى العطف والرفقا
فان صح الذي قالوا … أيرضى العدل ذا الفرقا
ويرضى صاحب السلطا … ن أن نفنى وأن يبقى
أللحكام ما نجني ؟ … متى كنا لهم رزقا
فعد بالله عن بابي … وخذ ما شئت يا جابي
لمن ينساق هذا الما … ل قولي يا سما قولي
يباع الخبز في بيتي … لتزمير وتطبيل
وخنق الدمعة الحمرا … ء في كف الاباطيل
ولا يرثى أولو الامر … لأشباح مهازيل
نيام بين توراة … وقرآن وانجيل
فما في الغاب من ناب … فزمجر أيها الجابي

ندى

ومن قصيدة في طفلة في الخامسة تدعى « ندى » :

ندى ، بسمة الور … د للندى في الصباح
ندى ، ندى همسة الطهر في شفاه الاقاحي



لقد وقع اختيار ماكس فاكتور الابن على مارجريت لندساى ، نجمة هوليوود الشابة الفاتنة ، عندما كان يبتكر مستحضره الحديث ، « ماكياج بان ستيك » العجيب ، لاختباره عليها ومعرفة مقدار مفعول هذا الماكياج كريم على بشرة الوجه فى اضفاء المظهر الطبيعى الساحر عليها ، وكم كان استعماله سهلا سريعا بفضل تركيبه الذى يشبه القلم (ستيكس)



من اجلك ياسيدتى

باترون حسب الطلب مع بروفه	٢٥
سراجة الفستان	١٢٥
تفصيل الفستان	٢٥٠
تفصيل التايير او البالطو	٣٥٠
منهج كامل فى التفصيل	٤٥٠
منهج كامل فى التفصيل بالمراسلة	٥٥٠

جراند شيك

١٤ شارع فؤاد الأول
عمارة الجندول ثالث دور

ندى ، ندى شعلة الحب قبلة الارواح
رضابها للحميا والخد للتفاح
كم من وشاح كساها الجمال كم من وشاح
رددت لى بعد يأسى حلم الهوى والشباب
من أنت ؟ !
الله الله لما عضت على العناب
وصفقت بيديها وغمغمت بالجواب
سل الرياحين عنى وسل حنين الرباب

وما خاف يا أم بل ضمنى ..

أتت هند تشكو الى أمها فسبحان من جمع النيرين
فقالت لها : ان هذا الضحى أتانى وقبلنى قبلتين
و فر فلما رآنى الدجى حبانى من شعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمنى وألقى على مبسمى نجمتين
وذوب من لونه سائلا وكحلنى منه فى المقلتين
وجئت الى الروض عند الصباح لأحجب نفسى عن كل عين
فنادانى الروض يا روضتى وهم ليفعل كالأولين
فخبأت وجهى ولكنه الى الصدر يا أم مد اليدين
ويا دهشتى حين فتحت عينى وشاهدت فى الصدر رمانتين
وما زال بى الغصن حتى انحنى على قدمى ساجدا سجدتين
وكان على رأسه وردتان فقدم لى تينك الوردتين
وخفت من الغصن اذ تمتمت بأذنى أوراقه كلمتين
فها أنا أشكو اليك الجميع فبالله يا أم ماذا ترين
فقالت ، وقد ضحكت ، أمها وماست من العجب فى بردتين
عرفتهم واحدا واحدا وذقت الذى ذقته مرتين

كذب الواشي وخاب !

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب
عمره فجر من الحب وليل من شراب
كيف أصحو !؟ خمرتى من شفتيك والمنى تضحك لى فى ناظريك
غننى يا بلبلى واسقنى يا جدولى الليالى الحمر لى يا سليمى
كذب الواشي وخاب ..
رددى ذكرى لقانا الاول وتساقينا كؤوس الغزل
وافتراش العشب عند الجدول أنا لا أنسى وقد غنيت لى
عندما الليل احتوانا كيف سالت دمعتانا وتلاقت شفتانا يا سليمى

كذب الواشي وخاب ..

يا ليالينا على شط الخليج   وملاهينا على مرمى الثلوج
حبذا لبنان من أفق بهيج   فاسفحي الخمر على تلك المروج
واسقني الشهد المذاب   فاذا ولى الشباب   كل ما يبقى تراب   يا سليمى

كذب الواشي وخاب ..

أنا طيف من خيالات الليالى   من صدى الوادى ومن همس الدوالى
كم على الصحراء وشى من خيالى   وعلى البحر يتيماتى الغوالى
منهما صنعت حلاك   ومنى النفس رضاك   أنا والشعر فداك   يا سليمى
كذب الواشي وخاب   من رأى الشاعر تاب
عمره فجر من الحب   وليل من شراب

سلى الليل

سلى الليل عن عينى اذا رابك الفجر   أفاز بها الاك والأنجم الزهر
قسمت فؤادى بين بؤسى والهوى   فهذا له شطر وهذا له شطر
حياتى هل ثغر البنفسج يفتر   كعهدى وهل يجرى كعادته النهر
وهل يذكر الصفصاف اذ نحن عنده   وفى أذن الظلماء من همسنا نقر
سقيت مرارات الحياة فلم أجد   كمثل الذى يسقيه من كفك الهجر
وأشقى شقى فى الورى قلب شاعر   نبا الحظ عنه والتقى الحب والفقر
ففى كل أفق من أمانيه مأتم   وفى كل عضو من جوارحه قبر

قبلات الهوى

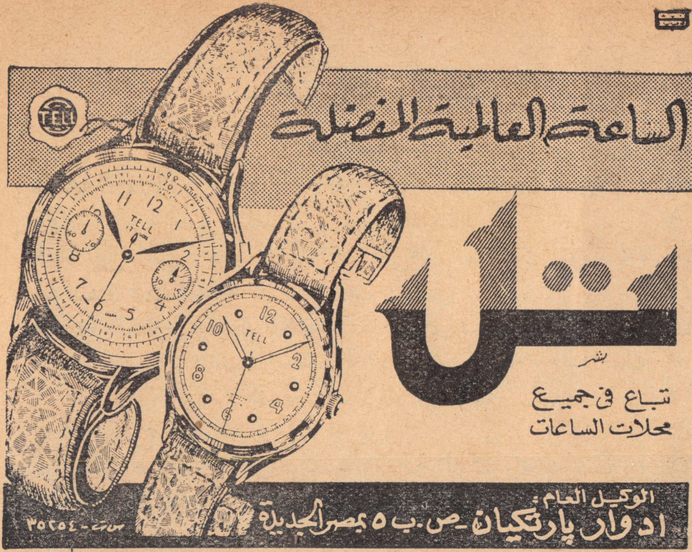
ما كان أحلى قبلات الهوى   ان كنت لا تذكر فاسأل فمك
تمر بى كأننى لم أكن   ثغرك أو صدرك أو معصمك
لو مر سيف بيننا لم نكن   نعلم هل أجرى دمى أو دمك

القبلة الاولى

ان كان أحلى الحب أول قبلة   ما ضره لو مات أول عمره
كالزهر مات مكفنا بأريجه   ووسيم نضرته ونشوة طهره

الصبا والجمال

الصبا والجمال ملك يديك   أى تاج اعز من تاجيك
نصب الحسن عرشه فسألنا   من تراها له فدل عليك
فاسكبى روحك الحنون عليه   كانسكاب السماء فى عينيك
كلما نافس الصبا بجمال   عبقرى السنا نماه اليك
ما تغنى الهزار الا ليلقى   زفرات الغرام فى أذنيك
سكر الروض سكرة صرعته   عند مجرى العبير من نهديك
قتل الورد نفسه حسدا منك   والقى دماه فى وجنتيك
والفراشات ملت الزهر لما   حدثتها الانسام عن شفتيك
رفعوا منك للجمال مثالا   وانحنوا خشعا على قدميك


الساعة العالمية المفضلة
TELL
تل
تباع في جميع
محلات الساعات
الوكيل العام:
ادوار پارتكيان - ص.ب ٥ بمصر الجديدة
ت - ٣٥٢٥٤


يونكرز
سخان المياه
ذو الشهرة العالمية
يدار بغاز شل بوتاجاز
أو بغاز الاستصباح
جودة - ضمان - متانة
الموزع الوحيد بالقطر المصري:
فتحي ا. شنوده
١٥ شارع عماد الدين القاهرة

محتويات الكتاب

الموضـــــوع — الصفحة

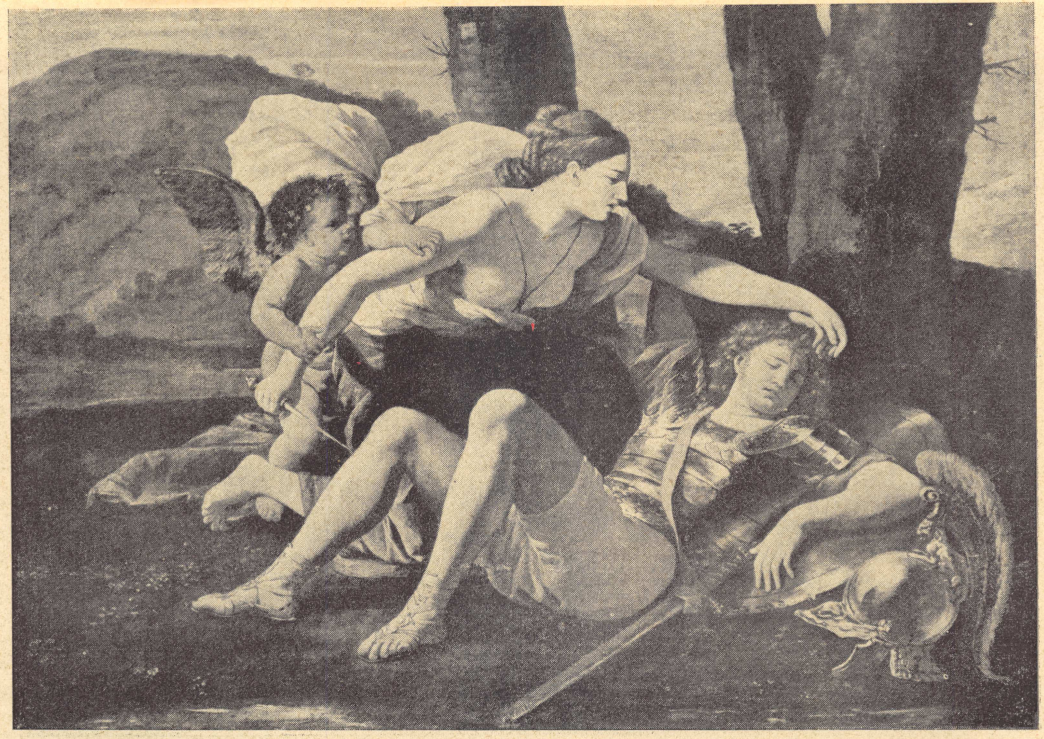
الصـــــور

غلاف هذا العدد : نتيجة لخلل أصاب آلات المطبعة التى تتولى طبع وتلميع غلاف كتابى، جاء غلاف بعض نسخ هذا العدد معيبا .. فمعذرة

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية



افطار على العشب للرسام الفرنسي «ادوار مانيه» (١٨٣٢ - ١٨٨٣)



« أرميد » و « رينو » للرسام نيكولا بوسان (١٥٩٤ – ١٦٦٥)

كتابى

مأساة «الماضى» !

عند ما وضع «بول بورجيه» هذه القصة، فى عام ١٩٢٨، كانت المرأة الفرنسية تجتاز دور الانتقال، أو الانقلاب، الذى تجتازه المرأة المصرية فى هذه الأعوام.. الانتقال من عصور التحفظ والاعتزاز بالأنوثة الخالصة وقيودها، الى عصر التحرر والارتماء فى خضم الرجال.. القاسى المتلاطم الأمواج!

.. فهى قصة الفتاة العصرية التى اكتسحتها موجة ما بعد الحرب الأولى، وخلبتها أضواء الحرية والانطلاق، فانساقت فى تيار التشبه بالرجال، ومواجهة الحياة خارج البيت بكل متاعبها.. وكان لابد أن تتخذ لنفسها المظهر الجسور الذى يناسب مقتضيات حياتها الجديدة: فقصت شعرها، وكشفت ذراعيها، وارتدت الثوب القصير، ومارست أعنف ضروب الرياضة.. فظهرت عضلات ساقيها تحت جوربها الحريرى - الذى مايزال ورديًا! - ثم قادت السيارة، والطائرة، وراهنت فى حلبات السباق.. وامتهنت مهن الرجال، فصارت محامية أو طبيبة أو مهندسة أو موظفة فى بنك .. الخ

وهكذا نسيت - أو تناست - أنها امرأة.. لكن الرجل لم ينس! بل ظل - وسيظل دائمًا - أمينا للطبيعة، لا يكاد يلتقى بالمرأة حتى ينسى هو، وتنسى هى، انها محامية أو طبيبة أو معلمة أو موظفة.. ولا يذكر الا أنها.. انثى!

وفى هذه الحقيقة الأزلية تكمن العظة الكبرى، لمن يريد أن يتعظ!